

كتاب أمي



سلسلة  
ثقافية  
مصرية

# أمين الراجحي

شهادة الوطنية المصرية  
صبرى أبوالمجد



# كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد

نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبوالمجد

رئيس التحرير : د. حسين مؤنس

سكرتير التحرير : عايد عياد

## مركز الإدارة

دار الهلال ١٦ محمد عزى العرب

تليفون ٢٠٦١٠ ( عشرة خطوط )

KTAB AL-HILAL

العدد ٣٦٦ - شعبان ١٤٠١ - يونيو ١٩٨١

No. 366 — June 1981

## الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى - ١٢ عددا - في جمهورية مصر العربية جنيهاً مصرياً بالبريد المادى . وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى وباكستان ثلاثة ونصف جنيه مصرى بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم سبعة دولارات بالبريد المادى وخمسة عشر دولارا بالبريد الجوى .  
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى  
ج.م.ع. بحواله بريديه غير حكومية وباقى بلاد العالم  
ف.ق.م. مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد  
د. الطلب .

رات ٢٠٠١

السلام العمرى

كتاب اهل



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغسلان بريشة :  
الفنانة : سميرة حسنين

صبرى أبوالمجد

# أمين الراجى

## شهيد الوطنية المصرية

(١٨٨٦-١٩٢٧)

دارالهدى

يَا أَمِينَ الْحُقُوقِ أَدَّيْتَ حَقِّي  
ثُمَّ تَخُنْ مِصْرَ فِي الْحُقُوقِ فِتْيَا  
وَلَوْ اسْطَعْتَ زِدْتَ مِصْرَ مِنْ  
الْحَقِّ عَلَى نِيْلِهَا الْمُبَارَكِ نِيْلًا  
تَنْشُدُ النَّاسَ فِي الْقَضِيَّةِ لَحْنًا  
كَالْحَوَارَى رَتَّلَ الْإِنْجِيلَ  
مَا تَبَايَ مَضَيْتَ وَحَدَّكَ تَحْمِي  
حَوَازَةَ الْحَقِّ أَمْ مَضَيْتَ تَبِيلًا

أَشْجَعُ مِنْ لَدُنْكَ  
فِي رِثَاءِ أَمِينِ الرَّافِعِي

## تقديم

### بقلم: الدكتور حسين مؤنس

هذا كتاب يسعدنى أن يكون لى فى نشره نصيب .  
فان موضوعه عظيم . انه رجل من اعلام تاريخنا  
وشخصياته التى تعتبر معالم مضيئة على هذا التاريخ .  
انه امين الرافعى مثال المصرى فى اصفى وانبل صوره ،  
الكتاب فى ارفع مراتبه ، والصحفى فى اشرف مواقفه .  
ومن منا لا يتشرف أن يكون له مكان فى ذكره ؟  
ومؤلف الكتاب صديق حياة ، وزميل قلم . معا عملنا  
فى دار الهلال ، وربطنا روابط القلب والعلم والحب لهذا  
البلد ، ولكل من احبه وجاهد فى سبيله ، ولا زال صبرى  
أبو المجد مؤرخ الصحفيين المصريين وراصد تاريخ القومية  
المصرية عامة .

\*\*\*

رايت امين الرافعى مرة واحدة . كنت فى السنة  
الاولى بالمدرسة الثانوية ، وكان لنا صاحب من اولى  
النخلة ، يكبرنا سنا وكان وطنيا متوقد الحماس متجدد  
النشاط ، ويبدو ان شباب تلك الايام كان كله على هذه  
الوتيرة حبا لمصر وتغانيا فيها .

كان هذا الشاب يقضى يومه متنقلا بين الزعماء

والصحف ، مشاركا في المظاهرات حيثما كانت ، لا تراه إلا وتحت إبطه صحف مصر كلها ، وكان يحفظ ما يكتبه أمين الرافعي عن ظهر قلب ، فأمين الرافعي كان رمز حبه ومعتقد ولائه ومثار إعجابه .

وفي ذات يوم أضربنا في المدرسة ، ولم يفلح صاحبنا المتفاني في السياسة في تكوين مظاهرة ، فتبددنا أول الطريق ، وقال لنا : نزور أكبر زعيم في مصر .

سألت : سعد باشا ..

- لا .. أمين الرافعي .

وذهبنا معا . كنا أربعة ، والمنزل كان في شارع متفرع من درب الجماميز . كان دارا صغيرة من دورين ، الأول للتحرير والثاني كان سكنا للأستاذ . وقيل لنا ان الأستاذ موعوك ولكننا نستطيع أن نصعد اليه . وصعدنا يتقدمنا صاحبنا عاشق أمين الرافعي . أذكر ان الغرفة كانت نصف مضيئة . كان هناك باب كبير يؤدي الى يكون فيما تصورت . وكان هناك مكتب عليه أكوام من الصحف واكدايس من الكتب . وكانت هناك كنيبة وبعض كراسي .

وكان الأستاذ جالسا على سبجادة خضراء . كان قد صلى الظهر وجلس يسبح . ثمان اشبهب شاحب اللون خفيض الصوت . ولكن الله أفرغ عليه جلالة ووقارا لم أعرفهما الى ذلك الحين .

كان يقول ان الباشا يؤذيه ، والباشا كان سعد زغلول . وحمل صاحبنا الشاب على سعد زغلول ، فرفع الرجل يده وقال : لا يا أخ مختار . نحن لسنا ممن يسب ويتحدى . دعهم يفعلون ما يريدون ، فنحن في



طريقنا . وقضية مصر ليست بيد سعد أو عدلى . بل بيد هذا الشعب ، وما يفعله الله هو الخير ولا يصح الا الصحيح » .

ونهض الرجل فجلس على الكتبة واستند الى الوسائد ، وطاب لنا شاي ، ودخل ناس كثيرون يحيون الاستاذ ويصافحونه ، وبعضهم يسأله .

وظل بصرى معلقا بهذا الشيخ المهيب الشاحب الوجه الخفيض الصوت ، ظلت صامتا لأننى فى حضرة قديس . وكان الحماس قد أخذ فمضى يتدفق بالحديث واختلطت على الأصوات ، لأمر ما أحسست بحب شديد نحو هذا الرجل ، وسلم صاحبا ومضى ، ومضى أناس وأتى أناس ، وأنا جالس شاخص البصر ، أتأمل هذا الوجه السمع الذى كان يحمل آلاما بلا نهاية . وكان لابد أن أمضى ، فمضيت الى دارى وفى قلبى فرحة وأسى . الفرحة لأننى رأيت بطلا من أبطال مصر والأسى لأننى رأيت هذا البطل موعوكا شاحب الوجه شاكيا من الناس .

ثم قصدت دار صاحبى وطلبت منه أن يحدثنى عن أمين الرافعى ، فتحدث فى حماس متدفق ، وأخرج ملفا فيه كل ما كتب أمين الرافعى ، ومضى يقرأ لى طرفا من هنا وطرفا من هناك . وعدت يومها الى دارى وأنا أشعر باعتزازى بأن أكون أنا من نفس البلد الذى ينتسب اليه أمين الرافعى وسعد زغلول ، على عظيم ما كان بين الرجلين من فوارق وخلافات .

\*\*\*

فهذا الرجل الجليل عاش بمصر وأحبها ومات فى سبيلها ، كما فعل مصطفى كامل ومحمد فريد . وأمين الرافعى يتميز بأنه لم يكن رجلا سياسة ، ومن ثم فهو

لم يعرف حياته أساليب السياسة وما تجلبه معها أحيانا كثيرة من مكاسب وأمجاد . أما أمين الرافعى فقد كان رجلا مستقيما كالسيف : آمن بمصر وتمسك بحقوقها ووهبها نفسه وقلمه ومضى على الطريق طريق الآلام - « أى ايفيا دولوروسا » الى نهايته ، وما كانت أكثر الآلام فى حياة هذا الرجل الكريم الأصيل ! إن الناس يدخلون فى ميدان الصحافة ليشقوا فى البداية ، ثم يسعدوا فى النهاية ، أما أمين الرافعى فقد شقى بالصحافة من البداية الى النهاية ، لأنه كان رجلا عاشقا لهذا البلد الذى يستحق العشق حقا ، والعاشق الصادق لا يسعد أبدا ، فما بالك ، ومعشوقة أمين الرافعى - مصر - كانت تعاني فى أيامه من الآلام ومتاعب الظروف وعسودان الإنجليز واستغلال الأسرة الحاكمة ووضع أنصهارها وخسة أساليبها ، ولم يكن الرافعى كما قلنا رجل سياسة ، فلم يكن قط مستعدا لأن يساوم على ذرة من حقوق مصر ، فكأنه الأعداء وزادوا آلامه ، فظل يخسر الى النهاية ، حتى المال القليل الذى كان لديه أنفقته على جريدة الأخبار ، لا لأنها كانت تخسر ، بل لأنه عندما أعلنت الحماية البريطانية على مصر أغلق الجريدة حتى لا ينشر الخبر فى جريدته ، وكانت السلطة العسكرية الفاشية قد أمرت بأن تنشر كل الصحف ذلك الخبر . نعم ، أغلق الجريدة وظل يدفع رواتب المحررين والعمال الى النهاية ، لأنه أوقف الجريدة بقرار شخصى منه ، فلماذا يتحمل المحررون والعمال نتائج هذا القرار ؟

\*\*\*

هذا هو الرجل الذى يقص صبرى أبو المجد قصته فى هذا الكتاب البديع الذى أسعد بتقديمه الآن ضمن

سلسلة كتاب الهلال ، وهو يروى القصة كاحسن ما تروى القصص ، وعلى أصدق ما يكتب التاريخ توثيقا وتأيدا بالشواهد حيناً ، والمحبة حيناً ثانياً ، والعلم الواسع بتاريخ مصر الحديث والمعاصر ثالثاً ، ولهذا فقد جاء الكتاب ذخراً من ذخائر المكتبة العسرية ورقيقة اجلال لمصر وقصيدة حب لها ، وما أكثر ما ينشد صبرى أبو المجد من القصيد فى حب مصر !

الى هنا واضح القلم ، فقد طال التقديم - احسب - والقارئ ولا شك مشوق الى ان يقرأ أمين الرافعى بقلم صبرى أبو المجد .

تحية للكتاب وبطل الكتاب ومؤلف الكتاب .

وتحية لمصر تلك الضالدة التى تقول جميعاً ، اننا عشاقها ، ولكن أمين الرافعى فى هذا المجال سلطان العاشقين ، ومعللة لأمين الرافعى أن أصفه هنا بأنه سلطان - ولم يكن يحب السلاطين - ولكن من حق هذا المصرى العظيم أن يكون سلطاناً على قلوبنا عندما نذكر الرافعى أمينا .

د . حسين مؤنس

## هذا الكتاب وصاحبه بقام: عبد الرحمن الرافعي

عندما طلب مني الأستاذ صبرى أبو المجد أن أكتب مقدمة لكتابه القيم عن « أمين الرافعي » ترددت واعتذرت بادىء الأمر ، إذ استشعرت الحرج فى أن أكتب عن أخى الشقيق . لكن الأستاذ صبرى لم يقبل منى هذا الاعتذار ، وحاجنى بأن صلتى بأمين لم تمنعنى من الكتابة عنه فيما أرخت لمصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وثورة ١٩١٩ وفى « أعقاب الثورة » . فلم يسعنى بازاء هذه الحجة السليمة الا أن أنزل على رغبته ، وتذكرت ما كتبت فى هذا الصدد تعليقا على نبأ وفاة أمين إذ قلت : « ان امينا لم يكن أخى فحسب بل ان منزلته كمجاهد فى الحركة القومية تعلو فى نفسى على منزلته كأخ أكبر لى ، ولولا ذلك لما شعرت نحوه بهذا الحب العميق الذى كان يغمرنى فى حياته واستمر على الأعوام بعد وفاته » .

على هذا الاعتبار وبهذه الروح اكتب هذه المقدمة ، اكْتُبُها فى نطاق ضيق وفى خجل واستحياء .

ان الصحافة الوطنية هى ركن من أركان الحركة القومية ، وهى معاصرة لها ، ومتصلة اتصالا وثيقا بتطورها وتقدمها ، ولها الفضل الكبير فى بعث الروح

الوطنية وتثقيف المواطنين وحثهم على المشاورة فى الجهاد ، والمساهمة فى أعبائه ، والتطلع الى المثل العليا فى مختلف الميادين : فى السياسة والعلم والاجتماع والاقتصاد ، فى تربية الاخلاق الفاضلة ، واعداد المواطن الصالح ، وتكوين الراى العام الناضج الواعى .

والصحف فى الجملة معالم للحركة الوطنية ، ومرة صادقة لحوادثها وتطوراتها الهامة ، ولها فى هذه النواحي رسالة سامية يحملها جنود الصحافة واعلامها، وهى رسالة شاقة أحيانا وخاصة اذا كانت صحافة عقيدة ومبدأ . فالصحفى ذو العقيدة قد يضطر الى مخاصمة الاقوياء ، وذوى النفوذ والسلطان ، فى سبيل عقيدته ومبادئه ، وقد يواجه صدمات لا يتحملها الا المجاهدون الصابرون ، وقد يواجه أحيانا معارضة من الراى العام اذا اختلف واياه فى مسألة أساسية يرى فيها وجه الحق ، فيدافع عنه على خلاف ما يتجه اليه الراى العام ، وكم من مرة تخطئ فيها الجماهير وتتنكب سبيل الهدى والرشاد ، ثم ترجع عن خطئها بعد فوات الأوان .

ولقد كان أمين - رحمه الله - من اعلام صحافة المبدأ والعقيدة .. حمل رسالة الوطنية فى عصر كانت الظروف والملايسات تناهضها ، وتخذلها ، ولا تبشر لها بأى نجاح : خاصم الاحتلال وهو فى أوج جبروته وطفئانه ، وخاصم القصر حين كان قويا بتحالفه مع الاحتلال ، وخاصم سياسة الاستسلام للاستعمار حين كانت هذه السياسة ثابتة الدعائم ، قوة الأركان، ينضوى اليها الأفراد والجماعات ويتهاافت عليها الانصار والأعوان

.. جاهد أمين في هذا الجو المليء بالأشواق والعقبات ،  
فاستهدف لكثير من الأذى والعنف والخذلان ، ولم  
يهن ، ولم يتراجع ولم يتحول عن مبدئه وعقيدته ، واستمر  
ماضيا في سبيله حتى وافاه الأجل المحتوم في الحادية  
والأربعين من عمره .

ان للصحافة في مصر والشرق تاريخا جديرا بالتدوين  
وان تاريخها ليتمثل اكثر ما يتمثل في تاريخ اعلامها  
وهؤلاء الشهداء يحملون الفضل الأكبر في اقامة صرحها  
ورقعة شأنها ، فمنهم روادها الأولون وهم الذين عبدوا  
لها طريق النجاح ورسموا لزملائهم صورة رائعة للرسالة  
الصحفية .. ولئن لم يكن مطلوبا من الصحفيين ان  
يقلدوهم في الاستشهاد ، فان حياتهم مع ذلك تظل معينا  
لا ينضب من الصدق والنزاهة والاخلاص في القول  
والعمل ، وهذا وحده يكفي لاستدامة فضلهم وتخليد  
ذكرهم ..

وهذا الكتاب الذي وضعه الأستاذ صبرى أبو المجد  
عن أمين الرافعى يحتوى على صفحات من جهاد الصحافة  
في سبيل المثل العليا ، وما أدته للبلاذ من جليل  
الخدمات .

والأستاذ صبرى أبو المجد هو خير من يكتب عن  
أمين ، فهو من حملة رسالته السائرين على نهجه ..  
ولقد عرفته وتبعته منذ ان كان طالبا في كلية الحقوق  
الى أن تخرج فيها وشق طريقه في الحياة ، فرأيته في  
الطليعة من شباب الوطنية اعتنق مبادئها القويمة وناضل  
عنها على مر السنين وتعاقب المهود .. ثابر عليها  
وكرس لها قلمه وانتاجه ولم يتحول عنها رغم ما لهذا

التحول من دوافع ومغريات وضغوط ومؤثرات .. لم  
تستهوه المنافع الشخصية ولا الشعوذة السياسية ، بل  
ظل متمسكا بمبادئ الوطنية وتقاليدها السليمة . ولقد  
أعجبت به من أجل ذلك وشعرت بحسوه بأبوة روحية  
جعلتني أرجو له دوام التوفيق والنجاح فيما هو  
بسبيله من جهاد خالص لله والوطن .

**عبد الرحمن الرافعي**

## رسالة الصحفي بقام: فكري أياظه

نعم : نعم كان صبرى أبو المجد ، وهو يقرر اصدار مؤلفه هذا عن أمين الرافعى ، يؤدى واجبا من اقدس واجباته كوطنى مصرى عربى ، وكمؤرخ باحث لا ينسى الأبطال الأبرار ، وكصحفى أمين شريف ، ينشر على زملائه مثلا أعلى للصحفيين الأمناء الشرفاء . وأمين الرافعى كان صحفيا محررا تارة ، وصحفيا مالكا لصحيفة تارة أخرى . ولكنه فى الحالين لم يكن صحفيا يتجه الى رواج صحيفته بالأسلوب التجارى المعروف ، ولا كان صحفيا يرهب بطش الاستعمار البريطانى ، ولا ولى الامر حاكم البلد ، ولا كل الحكومات التى كانت تستمد سلطانها ونفوذها من الانجليز وعهود الخديوية والسلطنة والملكية .

كان أمين الرافعى صحفيا ذا رسالة وفى سبيل رسالته الوطنية كان قديسا من القديسين ، وكان ضحية وطنية من الضحايا الوطنية المخلصة ... كان اذا اقتضى الامر .. اعلن حربه الشعواء على كل تلك القوى الانجليزية والخديوية والملكية ، والحكومات الخائفة والممالئة ، ولا يكثر أى اكراث للاضطهاد والمناوأة والوقف والتعطل والاعتقال والسجن .. كان ايمانه على



وارفع وأقوى من كل هذه القوى مجتمعة .

أذكر ، فيما أذكر ، انه فى مناسبات عديدة قضى عليه فيها أن يعتزل الصحافة مضطرا .. عرضت عليه المناصب المفرية ذات الجاه والنفوذ والمرتبات المرتفعة ، فكان يرفض رفضا باتا أن يطأ طيء رأسه ويقصف قلمه ويتوقف عن أداء رسالته ، هاربا من الميدان الذى اختاره رغم حاجته الملحة الى عصب الحياة وهو المال ، أو قل بعبارة أدق ، الى لقمة العيش ، ورفض مرارا ، أن يحترف المحاماة ، لأنه رأى بعد تجربة قصيرة ان قضاياها لا ترتفع الى المستوى الأخلاقى لقضيته الكبرى وهى قضية الوطنية وقضية الحرية وقضية الجسلاء وقضية الاستقلال .

أذكر ، فيما أذكر ، انه عندما تولى رئاسة تحرير « الأخبار » باعتبارها لسانا من ألسنة سعد زغلول والوفد ، كانت الأرباح تهطل هطول المطر على خزينة الجريدة . ولكن حينما لمح أمين الرافعى بعض الانحراف وبعض الاعوجاج وبعض التردد ، حمل حملته الصحفية الخالدة مطالبا بتعديل الأساس : أى تعديل برنامج الوفد المصرى فى مطالبه الوطنية الحازمة ، وبالرغم من رجاء الأصدقاء فى أن يخفف الحملة فانه أبى إباء الابن البار لواجبه ورسالته الصحفية فهبط توزيع الجريدة . وكم من مرة جلست الى جواره والحجوزات تترى على المطبعة واثاث الجريدة ، ومرافقها ، بل على المنزل .. تلك الحجوزات القضائية والإدارية التى كانت نذيرا بالافلاس كنت أكثر من مرة بجواره هو ، هو ، هو أمين الرافعى بجلاله وسموه وارتفاعه وإيمانه على سجادة الصلاة ..

آمننا مطمئنا .. مؤثرا عبادة ربه على عبادة الاصنام .  
نعم هذا الكتاب الذى اصدره صديقى وزميلى  
صبرى ابو المجد ، بعد رتل طويل من مؤلفاته الوطنية ،  
هو قمة كتبه ، انه رسالة الصحفي ، المثالى ، النموذجى  
الى زملائه الصحفيين ، انه دعوة حارة للاقتداء بصاحب  
هذه الرسالة ، ليكون الصحفي صاحب رسالة ولا يكون  
جهاز رواج وذيوع لجرد الرواج والذيوع .  
**فكرى اباطه**

## مقدمة

أربعة من أطفال قريتنا زاروا القاهرة لأول مرة فى مناسبة مولد السيدة زينب ، ووقفوا جميعا ، وأنا من بينهم مبهوتين أمام الكتب القديمة الرخيصة المعروضة على أسوار حديقة الأزبكية ، واشترى كل منهم ما يتلاءم وميزانيته الضئيلة من مفامرات « نرسين لوبين » و « حافظ نجيب » ، أما أنا فقد أغرائى كتاب ضخيم تزيد صفحاته على السبعمئة صفحة ، فاشتريته بثلاثة قروش ( تعريفة ) ، ولم أعرف عن هذا الكتاب الا انه صفقة رابحة لكثرة ما احتوى من صفحات .

وفى القرية - التى خلت من المتعلمين سوانا - بذلت مجهودات مضمية لكى أفك رموز هذا الكتاب ، وأكثر من مرة كنت أحمله الى شجرة الجميز فى نهاية حقلنا الصغير القريب من القرية ، لكى عرف بعض ما فيه ولكى أتباهى أمام الأصدقاء والرفاق بأننى أملك أضخم كتاب فى قريتنا .. وبمرور الزمن أصبح هذا الكتاب رفيق الصبا ، وأصبحت قادرا على أن أفهم بعض ما فيه ، ولست أعدو الحقيقة اذا ما قلت ان شخصية صاحب الكتاب ، قد أسرتنى وجعلتنى أفكر فيها أكثر مما أفكر فى أبى وأمى ، وفى دراستى .. فلقد كان

الكتاب مجموعة هائلة من العواطف الرقيقة المخلصة الحانية ، التي أظهرها بصدق وإيمان مجموعة من الكتاب والشعراء تجاه رجل فقير متواضع ، فدائي مؤمن ، ترك هذه الدنيا وهو لم يتجاوز بعد الحادية والأربعين من عمره .

ولما لم يكن في قريتنا من يستطيع افهامي ما لم أعرفه ، فقد حملته معي الى « البندر » عندما لم تصبح مدرسة القرية المجاورة لقريتنا كافية لتحقيق طموحي وآمالى ، وفي « البندر » حملت الكتاب الى مدرس اللغة العربية الذي كان يحبني ويعطف على ، ويعاملني كأحد أبنائه ، ورحب المدرس بالكتاب وصاحبه ووعدني بأن يشرح لى ما جاء فى هذا الكتاب . وعندما علم ناظر المدرسة نبأ الكتاب ، ثار وغضب وأرغى وأزبد واستولى على الكتاب وصادره .. ومنعنى من أن أقرأ بعض ما فيه ، الا فى وقت الراحة فى الدروس .. وكم كان يلد ، لى أن أذهب كل « فسحة » الى مكتب « حضرة الناظر » لأقرأ بعض ما فى الكتاب فى الوقت الذى لم يكن فيه المدرسون قادرون على دخول مكتب الناظر الا بعد استئذان !!

وانقلذنى مدرسى من المشكلة ، عندما أعطاني نسخة أخرى من الكتاب ، طالبا منى ان أقرأها فى بيتنا لانه رأى الناظر يضيق ذرعا حين أذهب الى مكتبه ، لأقرأ بعض الكتاب ، ولانه خشى أن يفصلنى الناظر الذى كان ينتمى الى حزب كان يعاديه أمين الرافعى ، ولأول مرة بدأت أشغل نفسى بما يسمى بالأحزاب والخلافات التى بين هذه الأحزاب .. كل ذلك ولم أكن قد تجاوزت الثالثة عشرة من عمرى .

وذات مرة أمسكت القلم ورحت اكتب بضعة أسطر  
 بلغة بسيطة متواضعة للغاية عن امين الرافعى بمناسبة  
 قرب ذكره فى ٢٩ ديسمبر ولم اتردد فى ان ارسل  
 هذه السطور الى رئيس تحرير « الأهرام » فانا لم ار  
 فى حياتى من الجرائد اليومية الا صحيفة « الأهرام »  
 التى كان يشتريها عم الشيخ رمضان كل يوم من قطار  
 الدلتا الذى يمر بقريننا ، وكانت هذه النسخة  
 الوحيدة التى تدخل القرية تمر على العمدة والمشايع  
 وبعض الذين يعرفون القراءة والكتابة وبعد ذلك بشهور  
 تقريبا ، كان يمكن لبعض الأطفال مثل استعارتها من  
 عم الشيخ رمضان . . ودفعت قرش تعريفة ثمننا لطابع  
 البريد ، وحملت الخطاب بنفسى الى المحطة حيث سلمته  
 مباشرة الى عامل البريد فى القطار الذاهب الى البندر  
 وجلست أنتظر . . واكثر من مرة كان الندم ينتابنى من  
 أجل ضياع قرش التعريفة ، ومن أجل الوهم الذى سيطر  
 على ، اذ كيف أطمع وانا الطفل القروى الساذج فى ان  
 ارى اسمى منشورا فى صحيفة يومية . . وذات يوم  
 نادانى عم الشيخ رمضان - رحمه الله - ليسألنى، ان كان  
 الاسم المنشور فى « الأهرام » يوم ٢٩ ديسمبر هو اسمى  
 ام هى المصادفة ؟ واطلعتنى على اسمى مطبوعا لأول مرة  
 فى الأهرام . . وعلمت فيما بعد ان الزميل الكبير محمد  
 نجيب ، وهو من تلاميذ الرافعى ، قد نقح الكلمة ونشرها  
 على رأس عمود وفى مكان بارز ، وكان طبعا لا يعرفنى ،  
 وذلك بعد أن قدم لها بالعبارة التالية « تلقينا من  
 الأديب فلان كلمة قال فيها » . وكدت اقبل الصحيفة  
 وأقبل عم رمضان فى الوقت ذاته ، فقد كان هذا الذى  
 بين يدي أجمل ما تلقينته فى حياتى من هدايا .

وكانت القصة ، قصة الكلمة المنشورة في الأهرام ، حديث قريننا ومدرستنا في البندر لأيام عديدة وكانت نقطة تحول في تاريخ حياتي .. ومضت الأيام وكلما كبرت ، كبر معي حبي لأمين الرافعي ، وكلما نما تفكيري زاد في الوقت ذاته إعجابي به .. وتطور الحب والإعجاب الى حد دعاني الى أن أقيم وأنا الذي لم أتجاوز السادسة عشرة من عمري حفل تأبين لصاحب الكتاب في مدينة المنصورة وفي جمعية « المساعي المشكورة » بالذات بعد أن شملني برعايته وعنايته رئيس هذه الجمعية وأحد أقطاب القذائية الوطنية الدكتور عبد الفقار متولى ، وتلقيت يومها كتاب اعتذار عن عدم الحضور من عبد الرحمن الرافعي شقيق صاحب الكتاب « أمين الرافعي » واستدعاني رجال الشرطة .. فقد كنا في وقت الحرب وكان ممنوعا إقامة الاحتفالات الا باذن خاص ، وكان تحقيق ، وكان سجن لم يستغرق أكثر من ليلة ، وكانت علقنة ساخنة لا تزال آثارها باقية في جسدي حتى الآن ، ومن سوء حظي ان الخطاب الذي أرسله الى الاستاذ عبد الرحمن الرافعي ، كان أحد الأدلة التي استند اليها رجال الشرطة عندما قبض علي في قضية اغتيال المرحوم أحمد ماهر سنة ١٩٤٥ . وقد حاول البوليس السياسى الربط بين هذا الخطاب وبين وجود صلة بينى وبين محمود العيسوى - قاتل أحمد ماهر - الذى كان يعمل فى مكتب عبد الرحمن الرافعى . وبقيت فى السجن بسبب هذا الكتاب اكثر من سبعة شهور غير شهور الاعتقال فى « حبس خانة » قسم روض الفرج ولم يستطع ذلك كله ، ان يقلل من حبي لأمين الرافعى ومن كثرة ترددى على شقيقه عبد الرحمن

الذى اتخذته بعد ان انتقلت الى القاهرة لادرس الحقوق  
فى جامعة القاهرة أبا روحيا بكل ما فى الأبوة الروحية  
من معان ، ولست بمستطيع القول بأننى قد تخلصت  
من سيطرة أمين الرافعى على جوارحى واحساسى حتى  
عندما قررت الاشتغال بالصحافة ، وقيل لى ان لك مبلغا  
من المال فى خزانة الدار، التى أعمل بها، رفضت الذهاب  
الى الخزانة لتسلم المبلغ لأنى لم أتصور ان كاتباً يأخذ  
أجرا لقاء ما يكتبه

ومنذ حوالى عشر سنوات رغبت فى أن أكتب عن  
الإنسان الذى أحببته الى حد التقديس ، وأعجبت به  
اعجابا ما بعده اعجاب ، ولكنى أحسست برهبة الموقف  
فان الرجل لم أره بل لم أسمع عنه إلا القليل النادر .  
فكيف اذن أكتب عنه كتابا؟! وأنا لا أستطيع أن أكتب  
إلا اذا كان الموضوع الذى أكتب عنه مستوفيا كل  
شرائطه ومستلزماته . وحملت رغبتى الحارة هذه الى  
أستاذنا عبد الرحمن الرافعى - طيب الله ثراه - وجلس  
الرجل كعادته يسمع فى هدوء ، وأنا أروى له هدفى  
من اخراج هذا الكتاب ، فانا لا أريد اسباغ نوع من  
البطولة على فرد ، وانما أريد ان أعطى مثلا للشعب ..  
وأنا لا أريد ان أعيش فى متاحف التاريخ لأبحث عن  
بقايا الموتى ، وانما أريد أن أقوم بواجب تجاه أنفسنا  
قبل ان أقوم به تجاه شهيدنا الرافعى .. ولم يستطع  
عبد الرحمن الرافعى ، إلا أن يرحب بفكرتى والخجل  
يفلف كل كلمة من كلماته ، وكل خلجة من خلجاته،  
كانما كان الرافعى ينتظر مثل هذه اللحظة لأن الرجل  
الذى اخذ على عاتقه كتابة تاريخنا القومى بأحدائه  
الكبرى ، واعلامه الافذاذ ، لم يستطع ان يقوم

بواجهه نحو أعز الناس اليه . لقد أرخ لمصطفى كامل  
ومحمد فريد ، ولم يستطع أن يؤرخ لثالث الثلاثة أمين  
الرافعى لأنه شقيقه . لقد كان يشعر بمنتهى الحرج فى  
أن يكتب عن شقيقه !! ودفع الى عبد الرحمن الرافعى  
بكل ما خلفه شقيقه من كتب ومذكرات وخطابات  
ومقالات وصور ، قائلا : « قد يكون ذلك كله عوناً لك  
على أداء مهمتك وقد يعوضك عن النقص الذى تحس به  
وانت تكتب عن رجل لم تره » . ووجدت أمينا  
كعبد الرحمن يحتفظ بكل صغيرة وكبيرة من أوراقه  
وخطابات الناس اليه بل مسودات الخطابات التى كان  
يرسلها الى أصدقائه وزملائه ومريديه ، ففى مخلفاته  
مثلا : ايصالات الخطابات المسجلة التى كان يرسلها  
وبطاقات الانتخابات الخاصة به وتذاكر الحفلات التى كان  
يدعى اليها وبطاقات المعايدة التى كانت تصل اليه ،  
والمقالات التى كان يرسلها بعض القراء اليه فينشرها ،  
أو لا ينشرها . وفى هذه المخلفات كذلك كل ما يتعلق  
بالقضية المصرية من مذكرات ، ووثائق من بينها  
خطابات من سعد ، وثروت ، والصوفانى وحاكم البحرين  
وكمال أتاتورك ، وعصمت اينونو ومدام جوليت آدم  
وبير لوتى الكاتب الفرنسى المعروف وغيرهم وغيرهم  
.. وجدت مثلا - ضمن أوراق الرافعى - سهما قيمته  
جنيها مصريا . « جزء من أربعة آلاف سهم صافى الايراد  
السنوى لجريدة الدستور » ووجدت سنداً بمبلغ ٥٠٠  
مليم « ايصال رسم دخول شركة التعاون المالى التجارية  
بالقاهرة » ( ١٩١٣ ) ووجدت ايضا « استمارة استعارة »  
تحمل اسمه من الكتبخانة الخديوية بتاريخ ١٥/٢/١٩٠٨  
تحت ضمانه المسيو هنرى لامبا المدرس « بمدرسة



الحقوق الخديوية » ودعوة من محافظة القاهرة بتاريخ ١٩١٤/٢/١٧ لحضور جلسة « بيع الاراضى المرغوب نزع ملكيتها من ملك نادى المدارس العليا بشارع المتديان لتوسيع مدرسة دار العلوم » وخطابا من نقابة عمال الصنائع اليدوية بعمارة الأوقاف الجديدة بالعقبة الخضراء تخبره فيه « باختياره عضوا بمجلس الإدارة لما عهد فيه من تعضيد الأعمال الخيرية » !! ووجدت خطابات سرية عديدة ، ضمن ما تركه أمين الرافعى ، تدل على المكانة التى وصل اليها وما كان يتمتع به من ثقة تامة لدى خصومه وأنصاره على السواء . مشلا خطاب للأستاذ وحيد الدين الأيوبى صاحب الكلمة المعروفة « تلك الأهرام ويقور النيل ولا نرى تمثالا لاسماعيل » يقول فيه : « أقسم بشرفى انى لم أقابل توفيق نسيم باشا منذ توليه رئاسة الديوان الملكى الى هذه الساعة ، ولم أر حسن نشأت بك قبل تعيينه بالسراى الى الآن ، غير مرتين مصادفة ، أولاها بمحل « صولت » حيث كان معى بهى الدين بركات « بك » والدكتور الجندى وغيرهما ، وثانيتهما بمنزل الدكتور الجندى فى ظهر يوم كنت مدعوا فيه عنده لتناول الطعام وكان معنا الأستاذ البيلى ولم يتعد حديثى مع حسن بك قولى له : انه شائع أن جلالة الملك لا يريد أن يمنح البلد دستورا وانى اعتقد أن ذلك مقصود منه ايجاد ما ينفر الأمة من جلالاته . فنفى حسن بك الاشاعة وانتهى الحديث ، وانى يا حضرة الصديق أردت أن أبين لك ما تقدم ازاء ما ظننت فى مما جعلك تسمينى نصير الوزارة لأبى فى الحقيقة لست نصيرا لملك أو وزير بل انى نصير لاعتقادى وحده . »

وينهى وحيد الايوبى خطابه بقوله : « نريد ان اقسام لك بشرفى بانى لم ادخل سراى عابدين ولا اية سراية سلطانية او ملكية غير سراى هليوبوليس ، لتعزية الامير كمال الدين فى موت ابيه الى هذه الساعة من يوم زرت فيه بالسراى محمود شـكرى باشا الذى كان رئيسا للديوان العالى ، وكان ذلك فى عهد السلطان لاوصيه برجل كان مقدما طلبا لوظيفة صراف » .

ويكتب سعد زغلول الى امين الرافعى فى ٢٤ يناير ١٩٢٠ من باريس قائلا : أشكر مع اخوانى حضرتكم على عبارات الثناء التى وجهتموها لنا فى خطابكم وما الفضل فى موجب هذا الثناء الا للامة التى عضدتنا باتحادها وتضامن أفرادها وتفانيها فى حب الاستقلال واتيائها كل يوم بآية من آيات الرقى الاجتماعى ومعجزة من معجزات التقدم فى السياسة ، حتى بهرت العالم بنهضتها ، وبهتت الخصوم بحسن تصرفها ، فأعلت حقها واسقطت باطلهم ، واننا نقدم لها أوفر تشكراتنا لاتحادها على توكيلنا ، واجماعها على الامتناع عن المفاوضة الا بواسطتنا ونعتبر هذه الثقة الاجتماعية أجل نعمة أسبغها الله علينا وأكبر شرف تتحلى به نفوسنا ، كما نعتبر ان الواجب الذى يفرضه هذا الشرف علينا وتلزمنا تلك الثقة بالوفاء به ، هو أكبر واجب تتحمله أمة فى العالم ، ندعو الله ان يوفقنا للقيام به وان تؤكدوا لمن يحملهم فرط الحب لبلادهم على شىء من التظنن بالعاملين أن يعملوا ان هؤلاء أحرص الناس على مصلحتها ولا يعملون الا لهذه المصلحة طوعا لسلطان ايمانهم واجابة لنداء شعورهم ولا يتأثرون بأى مؤثر يثنيهم عن الوفاء بعهدهم والعدول عن المطلب الاسمى ، الذى نادوا به من تلقاء نفوسهم وجعلوه غاية لسعيهم وهو مطلب الاستقلال التام » .

ويمضى سعد زغلول فى خطابه الذى نشره هنا لأول مرة قائلا : « ان القوة النفسية ، التى دفعتهم للمبادأة به وسيوف الحماية مشهورة فوق رؤوسهم وسهام الأحكام العرفية مصوبة نحو صدورهم لم تزدهم الا شدة بالتفاف الأمة حولهم ، وتعظيمها لهم ، وما دام هذا الاتحاد قائما فلا يمس الضعف عزائمهم ، وما دام هذا الثبات راسخا فالنجاح مؤكد باذن الله » . ويضع سعد زغلول حاشية لخطابه فيها : « نرسل اليكم الأوراق التى طلبتموها على الطريقة التى ذكرتموها . ولقد احسنتم فى المعلومات التى أفضيتم بها الى مكاتبى الجرائد عندكم وقد كتبنا منذ بضعة أيام جوابا على تقرير اللجنة - لجنة ملتر - وتجدون فيه تفصيلات عن رأينا فى بلاغ ملتر ، وهى تسركم وتسر الأمة جميعا » .

ومن بين مخلفات أمين الرافعى رسالة من اسماعيل أباطه باشا صادر من بردين بتاريخ ١٩٢٠/١/١ يقول فيها « أدعوك لأن تضم صوتك المسموع الى صوت رجائي لحضرة صاحب الرسالة التى نشرت بجريدة الاجبشيان ميل وظهر تعريبها بجريدة الاهرام واليوم ( الجمعة ) بأن نزيد « الأوروبايين » وخصوصا الانجليز بيانا عن حركتنا الوطنية التى ان تجاهلوا فلا تقوم لنا حجة على تجاهلهم لها الا اذا خاطبناهم بلفتهم . وأن تضم تفانيك فى خدمة الوطن الى غيرك عليه ، وتبحث معا عن يجيد الكتابة باللغة الانجليزية ، لنتمكن من شرح قضيتنا بالجرائد الانجليزية حتى لا يبقى لتجاهل عذر فى تشويه حركتنا الحالية » .

ويمضى اسماعيل أباطه فى خطابه قائلا : « أرجو الا تمل الكتابة ولا تسأم من تشجيع غيرك على الكتابة

فى الحيلولة بين الامة وبين تهافتها على البلاغ الذى أصدره اللورد ملتر ، فالحدار من هذه المناورة التى ان استعملنا فيها ما اعتدنا من التسامح القديم أضعنا كل ما ضحينا به من عرض ومال ودماء ، والحدار الحدار من التخطب مع فخامته بأى نوع كان وتحت أى ستار كان ، الا اذا تعزز هذا البلاغ ببلاغ آخر من البرلمان الانجليزى يجاهر فيه باستقلال مصر استقلالاً تاماً .

وبين مخلفات الرافعى رسالة من الأستاذ سامى نجيب المحامى يعتذر فيها للرافعى عن سؤاله عن مقالة سوف تنشر فى الاخبار ، وكان من رأى الرافعى ان المقالة قبل النشر ملك للجريدة وملك لصاحبها أما بعد النشر فهى ملك للرأى العام ، وقال الأستاذ سامى نجيب ( ٧ نوفمبر ١٩٢٣ ) « لم أشعر فى حياتى بألم بل بخجل كالذى اعترانى وأنا متشرف بزيارتكم اليوم وذلك للخاطر البعيد جداً ، عن تفكيرى ، والذى مر بكم وعلم الله لولا احترام خاص لشخصكم وتقدير ممتاز لكل ما يكتب فى صحيفتكم القراء ، ولولا ان اخلاقكم الدمة المتواضعة ذائع أمرها شائع ذكرها ، بل الزمالة ولو بغير صداقة خاصة ، لولا هذا كله ما سمحت لنفسى مطلقاً أن أسعى للتشرف بزيارتكم رجاء المحادثة فى مسألة قانونية هى الآن شغل الوزارة المطروح امامها تظلم بعض الموظفين المرشحين . . سعيت اليكم راجياً سماحكم باطلاعى على مقالة سمعت انها ستنشر فى صحيفتكم بهذا الصدد ولم يك يدور بخلقى أبداً ، انكم بحسن تقديركم المشهور تفسرون رجائى هذا بحق ادعيه أو رقابة أزعما » .

على انى لم اکتف بالوثائق التى عثرت عليها ضمن مخلفات الرافعى كأنوار تضىء لى الطريق ، بل سعيت

مرارا وتكرارا الى الكثير ممن زاملوا امين الرافعى  
وتشرفوا بصداقته وأعجبوا - جميعا - بشخصيته .  
قال لى الأستاذ عبد الوهاب على من كبار صحفى  
الاسكندرية ومن خيرة من عملوا مع امين الرافعى ومن  
الذين ظلوا طوال حياتهم يذكرونه بالخير دائما : « عملت  
مع امين الرافعى وموارد الأخبار المالية تفوق فى  
ارتفاعها كل مقال ، وبقيت معه حتى ذوت تلك الموارد  
وذوت معها الأخبار على ما أراد لها الاستعمار وعملاؤه  
ولم يهن الرجل ولم يحزن ولم يقل لقد طال المدى ،  
وكان يعمل فى الأخبار وهى تطبع من الأعداد المئات  
من النسخ .. كما كان يعمل وهى توشك أن تصل الى  
المائة ألف نسخة فى توزيعها اليومى ، لأنه كان يعمل فى  
كلتا الحالتين بعقيدة راسخة ظل يشرع قلمه للذود  
عنها » .

ويروى عبد الوهاب على قصة كان هو بطلها وكان لها  
اثرها البالغ فى نفسه ، اذ أكدت له ان الصحفى مهما  
تكن ظروف العمل لا يليق به أن يعتمد فى أخباره على  
مصادر العدو .. قال عبد الوهاب على : « كنت أسهر  
مع نفر من أصدقائى ذات مساء وكان ذلك فى الصيف ،  
والمندوب السامى وموظفو داره يقيمون فى مصيفهم برمل  
الاسكندرية ، فجاءنى رجل من الذين كان ينم ظاهريهم  
عن الاشتغال بالحركة الوطنية وقال لى : ان لقراء  
الأخبار عليك حق فى أن توافيهم بأنباء حوادث  
السودان .

قللت له : وهل أنا مقيم بالسودان ؟ ثم كيف أرجو  
الحصول على أنباء هذه الحوادث حتى لو نزحت الى  
السودان وهى كما تعلم محمية المصادر والوارد ، ودون

الحصول عليها احوال واهوال ؟ فتبسم صاحبي عن خبث وقال : ولكن زملاءك من الصحفيين الحريصين على واجبهم يسارعون الى تلقيها من دار المندوب السامي في مصطفى باشا فهلا احتذيت حذوهم حتى لا يشوب عملك نقص من بعض نواحيه .

قال هذا ثم مضى ولم أره .

ولعل أشد ما يلوى من قناتنا معاشر الصحفيين ان نتهم بالقصور في أداء الواجب في وقت يفنى فيه المرء منا في هذا الواجب . وقد ، لدغتنى كلمات صاحبي فذهبت صبيحة اليوم التالي الى دار المندوب السامي بغية الحصول على انباء السودان قبل ان تضيعها البلاغات الرسمية التي كثيرا ما كانت تأخذ اجراءات طويلة يكون بعض الزملاء قد نقلوا كثيرا من معلوماتهم وأذاعوها جملة أو تفصيلا على سبيل الرواية أو الشائعة قبل اذاعتها بصورة رسمية .

قدمت بطاقتي الى السكرتير الشرقي بها ، وعلى الرغم من ان الكثيرين كانوا ينتظرون قبلي فقد اذن بالمقابلة بعد دقيقتين اثنتين .

وتلقاني السكرتير ، على باب الغرفة بالبشر والترحاب ، وبعد أن اطرى أمينا ونوه بشرف خصومته وعفة قلمه ولسانه على الرغم من مرارتهما ، سألني عن الغرض من زيارتي فلخصت له القصة كما أفهمني اياها صاحبي أمس فقال السكرتير بلغة المستشرقين العربية :

— اذن انت تريد اخبارا ؟

— نعم . .

— ولكنك مراسل جريدة خصيمة عنيدة تتهم الانجليز

« بأنهم كلاب قذرة » ونحن لا نعطي هذه الأخبار إلا للصحف الموالية لنا والتي لا تتهمنا بما ليس فينا » .

ثم كثر السكرتير عن نابه وظهرت عليه امارات الغضب ودق الجرس فوافاه احد السكرتيرين فقال له بالانجليزية الى بالدوسيه رقم كذا .. ولما وافاه به استخرج عددا من « الأخبار » صدر قبل هذه المقابلة بيومين كتب الأستاذ المازنى افتتاحيته بقلم من نار ، وفى هذه الافتتاحية عبارة يفهم منها ما قصده السكرتير من كلمتي « كلاب قذرون » ثم قال : هل لك وقد جئت الى دارنا ان تبلغ الأستاذ الراقى ان هذه العبارة تستحق الاعتذار حتى لا تتعرض الأخبار للمحاكمة ؟ انك ان فعلت ذلك ، وسحبت الاخبار هذه العبارة فاني سأساويك بزملائك فى الانباء » .

ثم افترقنا . وقد فهمت بعد ذلك ان هذه المقابلة قد دبرت ليقول لى السكرتير ما قال . ولكنى مع ذلك بلغت المرحوم الراقى بك بما جرى فى كتاب خاص كتبت عليه « غير قابل للنشر » . وما راعنى الا ان صدرت الأخبار فى المساء ، وجعلت هذا الكتاب موضوعها وكتب عنه الأستاذ المازنى فى افتتاحية الصفحة الاولى .

وكتب المرحوم امين فى افتتاحية الحوادث يقول : « ان الانجليز يرون فى الكلمات شيئا يستحق المحاكمة ولا يرون فى ضرب الأبرياء الامنين السودانيين ما يستحق المؤاخذه » .

واستمرت الحملة بضعة أيام سكنت فيها دار المندوب السامى ، وسكت ، لقد كان هذا الرجل العظيم يرى ان

الحصول على الأخبار الصحفية من الخصوم عمل يجب أن يتعفف عنه المصري الأمين .

وقال لى الأستاذ محمد نجيب وهو من خيرة الصحفيين الوطنيين « فى خلال نفى سعد زغلول ورفاقه الى مالطه ، كان امين الراقى هو مسئول لجنة الوفد المركزية وكان الرجل شعلة من النشاط لا مثيل لها اتصالات مستمرة بلجان الوفد ، استقبالات طويلة لوفود الشباب والطلاب ، لقاءات سرية مع الفدائيين ، احاديث تفيض وطنية وذكاء باللفات الاجنبية مع مراسلى الصحف الاجنبية الذين كانوا يصرون على مقابلة امين الراقى ، لأنه أقدر الناس على فهم رسالتهم ، ولأنه أصدق الناس معهم ، ولأنه فى الوقت ذاته ، أبعد رجال الوفد ، نظرا وأوسعهم ادراكا ، وأكثرهم دراية بالسياسة الدولية ، والى جانب ذلك كان امين لا ينسى أن يكتب فى آخر الليل مقالة أو اثنتين أو ثلاث مقالات لا يضع اسمه الا على واحدة منها ، أما الباقي فيتركه بلا امضاء .. وكانت هذه المقالات كلها - وخاصة تلك التى اعقبت ثورة سنة ١٩١٩ - تستهدف اثارة الطريق أمام الشعب وتوجيهه الى أساليب الكفاح الجديدة ، السليمة . ورغم ما كان يقوم به امين كل يوم من أعمال كنا اذا قلنا له « انك تجهد نفسك » ، اجاب باسمنا : « أنا أحاول ان أعمل ، أنتى لم أقم بما يجب عمله » ..

ويقول رفيق جهاده أحمد وفيق : « كافح امين فى سبيل دستور أمته ، فكان أكبر أستاذ لها حتى عرفته وطالبت به وحصلت عليه ، وجاهد امين ساعة ان افتقدته وهداها اليه حتى حصلت عليه ، ومع هذا ترفع وترفع حتى ان يكون ضمن نوابه ، وما كان ترفع امين



عن النيابة استهانة بها وهو موجدتها ولكنه لم يكن يطمع  
فى شىء من ميزاتها المادية والأدبية ، بل كان يؤثر العمل  
فى الميدان الصحفى ، على العمل فى الميدان النيابى لأن  
الميدان الصحفى أشمل وأعم .

واسمع من الشيخ محمد عبد اللطيف دراز - أحد  
الذين صادقوا أمينا : « دخلت دار الاخبار بميدان الازهار  
فوجدت مجموعات من الشباب الثائرين يصخبون  
ويهتفون ضد أمين بل يهددونه بايقاع الإذى به ، اذا ظل  
مستمسكا برأيه فى أمر المفاوضات ، ووجدت أمين  
الرافعى يجيب هذه الألوف من الشباب الغاضب فى  
حماسة رزينة وشجاعة مؤدبة قائلا : ان لكم أن تحطموا  
مكتبى هذا وتدمروا الجريدة كلها ، وان لكم أن تحطموا  
دارى أيضا ، وان لكم أن تقتلوني وان تهددوا أسرتى  
ولكننى أريد أن أريحكم من الآن : اذا كنتم تفهمون ان  
هذا من شأنه أن يحولنى عن عقيدتى أو رأى ، فانه  
ليس فى استطاعة أى قوة فى الوجود ان تحولنى عن  
عقيدتى الا قوة الدليل وسلطان الحجة .

وتسمر القوم ، وبهتوا وبدأوا يتراجعون ، كأنما  
لقى عليهم الماء البارد ، وذهبوا الى من أرسلوهم  
لتهديد أمين وايدائه متحدئين عن شجاعة الرجل ،  
وثباته ، وإيمانه ، واستعداده للتضحية بكل شىء فى  
سبيل مبدئه . واقتنع كثيرون من هؤلاء الشباب - فيما  
بعد - بالرأى الذى كان يراه أمين .

اما الشيخ عبد العزيز جاويز فيقول عن أمين  
الرافعى : « عندما زار مصر مستر فلنتين شيرول -  
مندوب جريدة التايمز البريطانية - لاجراء تحقيق عن

الأحوال فى مصر ، قبل مجئ لجنة ملنر ، طلب من صديقه الدكتور فارس نمر أن يعرفه باثنين أو ثلاثة من دارسى القضية المصرية ، للاستفادة من معلوماتهم عن حقيقة هذه القضية وتطوراتها ، واختار فارس نمر ، أمين الرافعى - رغم الخصومة السياسية بينهما - وترك لأمين حرية اختيار اثنين آخرين للقاء فلنتين شيول . وبعد اللقاء قال شيول لفارس نمر : اننى أشكرك لأنك عرفتنى بأمين الرافعى ، فهو من قدر المتحدثين فى السياسة المصرية والدولية ، ومن أكثرهم وأوسعهم اطلاعا ، وإيمانا بما يقول ..

وأضاف شيول : لقد أقتنعى الرافعى برأيه ولهذا فسأتولى الدفاع عن وجهة النظر المصرية فى إنجلترا ذاتها .

ويقول الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى : « لم يكن للعوامل الشخصية دخل فى حساب أمين ، وما كان يناصر أو يخالف مدقوعا بحب زيد ، أو بغض عمرو ، بل بما يعتقد انه الحق ، والاولى والاجلب للخير ، والاكفل لضمان الفاية فى الحركة الوطنية .. وما أيد أو خاسم ، الا فى الله والوطن . وكان اذا اقتنع برأى القى بين عينيه همه وأعرض عن ذكر العواقب جانبا . وكم جر عليه ذلك من هموم وعال وأوصاب لم يخفها جميعا ولا جعل باله اليها . ولقد رزى فى نفسه وأهله وولده الذى كان قرة عينه ، وتضعض كيانه ، وانهد بنيانه ولكن إيمانه بقى له سليما . وصبره موفورا وعزيمته ماضية . وكم نصحننا له أن يترفق بنفسه ويبقى عليها فما استمع الى أحد منا بل مضى على نهجه لا يحيد عنه يمنا ولا يسره ، حتى اختاره الله الى جواره ، ولم يكن

مع صلابة نفسه ، الا مثالا للدعة والدمائة ورقة الحاشية والحياء والأدب الجهم . ولقد عاونته في تحرير الأخبار من يوم أسداها الى ان ضم اليها « انواء المصرى » ، فما اذكسر انه كلغنى عملا أو طلب منى الكتابة فى موضوع ، أو حال بينى وبين حريتى فى الاختيار وكان دائم التشجيع لى والترفق بى والصبر على ولم يسكن من النادر أن يعفنى عن العمل ويرىحنى من مواصلة الكتابة لاستجم ، على حين لم يكن هو مترفقا بنفسه ، كان يقدمنى على نفسه ويؤثرنى بالرعاية . ورقت حالة الأخبار فكان يعطينى ويحرم نفسه ، وكان يتعهدنى ويبرنى حتى بعد أن تركت الأخبار ونأت بى عنه الى حد ما ، مشاغل الحياة وصروف الايام .

ويمضى المازنى قائلا : « لقد كان الرافعى فى حياته الصحفية كما كان فى حياته السياسية لا يؤمن بالتسامح والتفريط ، فكانت الجريدة التى يتولى تحريرها مظهرا دقيقا لسيرته وسياسته وخلقه لا ينبو فيها حرف عن الغاية التى اتخذها ، ولا تشذ كلمة عن الدائرة التى رسمها ، وكان يقرأ كل حرف ويراجع حتى الاعلانات ولا يأذن أن ينشر فيها ما يخالف رأيه ومذهبه وعقيدته كائنا من كان الكاتب وبالغا ما بلغ . وقد ظلت الأخبار منذ صدورها الى أن اختاره الله الى جواره لا تنشر اعلانا عن بضاعة انجليزية أو عن الخمور . واذكر ان اصحاب الصحف اجتمعوا عنده يوما وأرادوا ان يتفقوا معه على قبول الاعلانات عن البضائع الانجليزية وكانت هذه الصحف قد كفت بضعة شهور على اثر ما أعلنه الوفد ، ودعا اليه من المقاطعة عقب نفى سعد زغلول باشا الى سيسيل ، فأبى كل الإباء ومضى هو فى طريقه

وساروا هم فى طريقهم ولم تكن حالة الاخبار حسنة ولا مطمئنة وربما ورد مع البريد شيك بمبلغ ضخم من متجر بريطانى ومعه الاعلان ، فكان رحمه الله يكلبنى ان اكتب له رسالة بالانجليزية ارد بها الشيك وابلغ المتجر ان الاخبار ، لا تنشر اعلانات عن بضائع انجليزية ، وكذلك كان مسلكه فيما يتعلق بالاعلانات عن الخمر .

لقد كانت شخصية امين الرافعى من الشخصيات النادرة التى لعبت دورا هاما فى تاريخنا الصحفى والوطنى والسياسى ، كان امين الرافعى نموذجا فريدا للصحفى المؤمن برسالته ، منذ ان خط اول حرف فى الصحافة الى اليوم الذى لقى فيه ربه .

ولم يكن الرافعى طول حياته يعادى فى السياسة الداخلية شيئا كما يعادى الحزبية ، اذ كان يرى ان الحزبية الضيقة الأفق هى الداء العضال الذى اوجده الاحتلال البريطانى ، فى قلب مصر ليمزق شمل وحدتها وليزرع الحقد فى نفوس ابنائها ، ولم يكن الحزب الوطنى - فى رأيه - حزبا سياسيا بالمعنى المتعارف عليه بل كان تجمعا وطنيا ، يضم جميع أبناء الشعب ، وكل خارج على هذا التجمع يعتبر خارجا على ارادة الامة ، ومع ذلك فقد اختلف امين الرافعى مع أعضاء اللجنة الادارية للحزب الوطنى واستقال من رئاسة تحرير جريدة « العلم » التى كانت تنطق باسم الحزب وأنشأ صحيفة « الشعب » لتكون لسانا يعبر عن الحزب الوطنى ، ولم ير زملاؤه فى عمله هذا شيئا غريبا .. لان امينا فى كل ما يكتب لم يكن يستوحى الا المبادئ الوطنية السليمة الصادقة .

وقد أيد أمين الرافعى ، الوفد المصرى فى بداية انشائه وعمل تحت لوائه فترة من الزمن - دون أن يخرج من الحزب الوطنى - وعندما اختلف مع الوفد ، حول تعديل أساس المفاوضة مع بريطانيا ، ظل وحده يدعو بكل قوة الى رايه ، بالرغم من محاربة الوفد له بكل الوسائل ، ومع ذلك عندما نفى سعد زغلول زعيم الوفد للمرة الثانية كان صوت أمين الرافعى ، على الأصوات دفاعا عن سعد ، ومطالبة بالافراج عنه ، فلما عاد سعد من المنفى رحب به ودعا الناس الى الترحيب به ثم اختلف مع سعد فيما بعد ، وعندما دعا رئيس الوفد الشعب الى مقاطعة الأخبار وعدم قراءتها لأنه يقرؤها نيابة عنه ، وانخفض توزيع الأخبار من ٦٠ ألف نسخة الى ما يقرب من ألف نسخة لامتناع موزعى الصحف عن توزيع الأخبار ، لم يتراجع بل واصل هجومه على سياسة الوفد . وعندما انطلقت المظاهرات المسلحة تهاجم صحيفة الأخبار وتهاجم صاحبها فى بيته للتخلص منه ومن أسرته والعاملين معه ، لم يتراجع بل استمر فى خطته المعارضة للوفد بكل قوة وحماسة واندفاع ، وعندما حاولت القوى الاستعمارية الحيلولة بين الوفد وبين الحكم بعد أن حصل الوفد على الاغلبية فى أول انتخابات ( ١٩٢٤ ) انطلق صوت الرافعى ينادى بأن من حق الوفد أن يحكم ما دام قد حصل على الغالبية فى الانتخابات : لقد كان الرافعى مع الحق دائما حتى لو كان الحق فى جانب خصومه الذين شرعوا فى اغتياله .

واذ عارض أمين الرافعى الخديو عباس حلمى الثانى معارضة عنيفة واستقال من رئاسة تحرير

« العلم » عندما أحس بوجود تقارب بين بعض أعضاء اللجنة الإدارية للحزب - بعد مفادرة محمد فريد مصر - وبين الخديو . وانتقد أمين الرافعى ، الخديو عباس أكثر من مرة انتقادا مرا وخاصة فيما يتعلق بأحاديث الخديو مع مراسلى الصحف الأجنبية والتقائه مع عميدى الاحتلال البريطانى جورست وكثشنر . . فقد حارب السلطان أحمد فؤاد ، عندما كان سلطانا ، وحاربه عندما أصبح ملكا ، وعندما كانت لجنة الدستور تودى عملها وكان أحمد فؤاد يتدخل فى أعمال هذه اللجنة ، نشر الرافعى سلسلة من المقالات دعا فيها الى تأليف جمعية وطنية منتخبة من الشعب ، لاعداد الدستور ، حتى لا يكون الدستور منحة من الملك ، وحتى يكون الدستور نابعا من الارادة الشعبية التى تفرض نفسها على الملك ، وبعد أن تألفت لجنة الدستور على غير ما أراد الرافعى ، نشر الرافعى سلسلة من المقالات عن حقوق الملك وواجباته وضرورة تقييد سلطة الملك ومنعه من أى تصرف بحيث « يملك ولا يحكم » وعندما سافر الملك فؤاد الى لندن عام ١٩٢٧ لأمه الرافعى على تساهله فى حقوق البلاد ، وانتقد خطبته التى ألهاها امام ملك بريطانيا ، ومما قاله أمين الرافعى : « ان الخطب التى تبودلت فى لندن بين جلالة الملك فؤاد ، وجلالة ملك انجلترا لم يراع فيها انها صادرة من ملكين مستقلين وانما لوحظ فى بعض العبارات التى فاه بها الملكان ، ان مصر تابعة لانجلترا كما لوحظ وصف عمل انجلترا فى مصر بأنه تعاون ودى ، فى حين انه غصب وعدوان على الاستقلال » .

وأذا كان الرافعى أجرا الصحفيين على الخديو عباس ،  
والسلطان حسين والملك فؤاد بوصفهم ممثلى السلطة  
التي كان يطلق عليها السلطة الشرعية فإن الرافعى كان  
أجرا الصحفيين على كرومر ، وجورست ، وكتشنر .  
ووينجت ، ولويد ، بوصفهم ممثلى السلطة الفعلية فى  
البلاد .

وقد كان الرافعى - الى جانب هذا كله - سياسيا  
بعيد النظر ، الى أبعد الحدود . احتدم الخلاف ذات  
مرة بين قادة الحزب الوطنى ، فى امر من الامور ،  
وكان الرافعى مع الاقلية ، واتفقت الاغلبية مع الاقلية على  
الاحتكام الى محمد فريد فى المنفى ، وكان رد محمد  
فريد : « اننى وان كنت بعيدا عن مصر ولا أعرف  
التفاصيل ، الا اننى أرجح رأى أمين الرافعى وان كنت  
لا أراه ، لأن ثقتى به تجعلنى شخصا ولو كنت مخالفا  
له فى الراى ، أتبع رأيه فهو لا يقول بغير علم ، ولا يقف  
هذا الموقف الا وعنده من الاسرار ، ما يبرر بها موقفه »

فى الرسائل المتبادلة بين عبد الرحمن فهمى سكرتير  
لجنة الوفد وسعد زغلول رئيس الوفد ، يقول  
عبد الرحمن فهمى ، عند الكلام على حذف فقرة من  
بيان أصدره الوفد المصرى فى باريس وكان رأى أمين مع  
حذف بعض عبارات البيان وتغيير بعض كلماته  
وتخفيفها وشطب كلمة ( ثورة الشعب ) : « انتهز  
الفرصة لأوضح لسعادتكم ما وصلت اليه مناقشتنا أمس  
فى نشر النداء للامة ولولا ان زميلى أمين بك كان فى  
صف المعارضين لى لضربت بمعارضتهم عرض الحائط ،  
ولكن الواجب يقضى باحترام مثل رأى أمين بك فى هذا  
الشان »

ولقد كان مؤلماً ، بل ومخجلاً ، أن تظل شخصية أمين  
الرافعي دون دراسة موضوعية جادة أكثر من أربعين  
عاماً بينما لعب الرجل دوراً هاماً وخطيراً في التاريخ  
المعاصر ، حتى مؤرخنا الكبير عبد الرحمن الرافعي بعد  
أن أرخ لمصطفى وفريد ، لم يستطع أن يؤرخ لثالث  
الثلاثة أمين الرافعي خشية أن يقال إن أخا يحابي  
شقيقه ، ومن أجل ذلك حملني هذه الأمانة منذ أكثر  
من ثماني سنوات وقد كانت الأمانة ثقيلة للغاية  
لأن الذي حملني أياها أستاذ كبير له أثره في  
نفسي وقلبي ، ولأن الرجل الذي كان موضع الأمانة هو  
أمين الرافعي ، أحب الكتاب والصحفيين إلى نفسي  
وقلبي كما كان أكثر هؤلاء الصحفيين والكتاب صلابة وإيماناً  
وتضحية ، وثباتاً ، ولست في حاجة إلى الحديث  
عن الصعوبات التي لقيتها في إعداد هذا الكتاب بالرغم  
مما خلفه الرافعي من آثار ووثائق . ولست في حاجة  
أيضاً إلى الحديث عن مدى سعادتي ، وأنا أقدم لقراء  
العربية في كل أنحاء الوطن العربي من المحيط إلى الخليج  
هذه الدراسة التي أرجو أن أكون قد وفقت في إعدادها ،  
والتي أرجو أن تتلوها دراسات أخرى ، فشخصية  
أمين الرافعي متعددة الجوانب ولا يستطيع أي كاتب  
أن يحيط بكل ما يتعلق بها .

ولست في حاجة كذلك إلى القول بأننا في أمس  
الحاجة إلى تناول شخصياتنا التاريخية - وخاصة تلك  
التي كانت ضحايا الاقطاع التاريخي والاقطاع السياسي -  
بالدراسة المستفيضة الجادة والموضوعية ، بسليباتها  
وابجائياتها وذلك بغية الاستفادة من هذه الدراسات  
والله ولي التوفيق

صبري أبو المجد



## صحافة الرأى فى مصر

قد تكون الكلمة ذات تأثير بالغ فى حياة الجماهير تنير أمامها الطريق ، وتقودها الى الخير ، وتمنعها من الوقوع فى الشر ، وتصل بها - أحيانا - فى النهاية الى التقدم والتحرر والانطلاق ، والكلمة التى تستطيع تحقيق هذه الغايات هى الكلمة الحرة الشريفة المؤمنة ، وليس صحيحا ان حرية الكلمة مطلقة دائما فهى مرتبطة بمصالح الجماهير ومستقبلها ، وهى فى الوقت ذاته مرتبطة بحريات الآخرين ، فالمجتمع لا يحترم حريتك اذا لم تحترم حرية غيرك . والمجتمع لن يدافع عن حريتك اذا انتهكت أنت حرية الآخرين ، ومنذ بدأت البشرية تخط السطور الاولى من تاريخها، والناس يقدسون الكلمة الحرة ويرون فيها أملهم . وكلما بالغ المستبدون فى محاولاتهم للتضييق على حرية الكلمة ، كلما بالغ أصحابها - وبالغ الناس معهم - فى التمسك بها والدفاع عنها . وليس صحيحا - أيضا - ان شرف الكلمة يتعلق بما فيها من خطأ أو صواب ، فالوقوع فى الخطأ أمر عارض يقع فيه الناس فى كل زمان ومكان . ان شرف الكلمة - فى

رأى - متعلق بما فيها من صدق ، وإخلاص . والإيمان  
بالكلمة ، لا يتطلب العمل بما جاء فيها ولا الدفاع  
عنها وحسب بل يقتضى أيضا العمل بما جاء فيها فليس  
عسيرا أن تؤمن بالمثل العليا وأن ندافع عنها بل أن العسير  
هو العمل بهذه المثل والتقيد بما جاء فيها ، ولهذا كانت  
الكلمة المكتوبة ، الحرة الشريفة النابعة عن إيمان  
صاحبها بها وعن تطبيقه لما جاء فيها ، أقوى من الرصاص  
والقنابل ، لأن الرصاص والقنابل لا تنفجر إلا مرة واحدة  
بينما الكلمة الشريفة المؤمنة تنفجر باستمرار وعلى  
مدى العصور وربما كان هذا سر عظمة الصحافة  
وقوتها .

وإذا كان التاريخ قد عرف صحافة المبدأ والعقيدة  
والرأى فقد عرف أيضا صحافة الأفعى والقراصنة ،  
ومعامل الأكاذيب وأبواق المفتريات ، وأدوات التشهير ،  
وكما وجد حملة الأقلام الذين يقفون فى معسكر الحرية ،  
والحق ، متحملين كل ضغط وأرهاب ، وجد كذلك من حملة  
الأقلام من باعوا أنفسهم - بثمن بخس - للشيطان ،  
والعبودية والاستغلال . وسواء تغلبت الكلمة الحرة  
الشريفة المؤمنة على الكلمة الرخيصة الدليلة المدفوعة  
أم تراجعت فإن للكلمة الأولى سحرها ومجدها ، وكيانها  
وقد بقيت معالم الصحافة الحرة - دائما وأبدا - أبرز  
معالم التاريخ .

إن أمجاد الأمم لا تقاس ، بقدر ما شيدت من طرق  
وموانئ ومنائر ، ومؤسسات بل بقدر ما تمتعت به  
صحفها من حرية ، وبقدر ما امتاز به كتابها من شرف  
 وإيمان .

ولن تنبأهى الأمم - فقط - بالمعالم التاريخية والبرلمانات

الكبيرة ذات القباب العالية ؛ بل انها لتبأهى فى الوقت نفسه بصحفها التى تغذى الحركات التحررية وتؤثر فيها وتتاثر منها .

ان الصحف - فى جميع العصور ، وفى كل البلدان - ليست أداة ترف وفضول بل هى أداة بناء وتشبيد ، وهى ليست وسيلة لتضييع الوقت بل هى وسيلة لصنع الانسان وغالبية الثورات - ان لم تكن كلها - من صنع الصحف . فهى على الاقل تقوم بالدور الذى يقوم به سلاح المدفعية فى ذلك حصون العدو ، قبل الهجوم الأخير على معاقله . ان جورج واشنطن - مثلاً - لم يشرع سيفه كما يقول كوشفال كليرنى الا للدفاع عن ثورة كانت قد نمت فى الأفكار أما تكوين هذه الأفكار وتحطيم القيود وتبصير الشعب بحقوقه وإيقاظ وعيه بمستقبل مستقل عن انجلترا وخلق روح أمريكية وطنية فكانت كلها من أعمال الصحافة »

وكل الشعوب التى كافحت وناضلت من أجل الحصول على حريتها واستقلالها ، وكل الشعوب التى تمكنت من اعلان ارادتها وصنع نفسها بنفسها ، كانت تعتمد أول ما تعتمد فى معاركها على صحافة حرة مؤمنة شريفة يعمل فى ميدانها احرار شرفاء ، يقدسون الكلمة ويؤمنون بحريتها وشرفها .

وشعب مصر ، وهو من أعرق شعوب العالم حضارة وتقدماً ، واقدروهم على التأثير بالحركات التحررية والتأثير فيها اعتمد فى تاريخه الحديث على الكلمة الحرة المؤمنة الشريفة النزيفة التى هدته - يوم ان ضلت به السفينة - الى سواء السبيل ، والتى فتحت أمامه -

عندما تكاثرت عليه الاعداء - الطريق الى النصر ، والتحرر والانطلاق .

كانت صحافتنا خلال المائة والثلاثين عاما الأخيرة السلاح الذى دك حصون الظلم والبغى التى شيدها ، وبالف فى تحصينها اسماعيل . كانت المنارات التى أضاءت لأبناء مصر الطريق عندما التقى خصوم مصر من كبريات الدول الأوروبية على تقييد حريتها ومحاولة القضاء عليها . ثم كانت فى الوقت نفسه الجيش القسوى العنيد ، الذى لم يهزم فى أى معركة ، وان اضطر الى التوارى عن الانظار بعض الوقت ... صحافتنا هذه كانت الوعاء الذى حفظ لنا وثائق تاريخنا والسجل الذى أبقى على الدهر طول هذه الفترة القصيرة من حياة شعبنا كل أمجادنا وانتصاراتنا .

لقد سجلت الخير كما سجلت الشر .

حاربت العدوان كما حاربت الاحتلال والاستغلال سعت - كلما وسعها الجهد - لتمهيد الطريق الى الحرية والى الاستقلال . . سارت فى الغالب مع الشعب فى أيامه السود وقيامه البيض تسرع الخطا ان هو أسرع ولا تبطئ فى السير ، ان هو أبطأ ، وفى أحيان كثيرة كانت تسبقه ولا تتخلف عن مسيرته الا بقوة السلاح . . وبقي منها ما وقف مع الشعب ، وما عبر عن ارادته الحرة ، وما أخلص فى حمل الأمانة وأداء الرسالة ، واختفى منها - مهما جمع أصحابها من أموال وما حصلوا عليه من نفوذ ما اختلف مع الشعب وما وقف ضد مصالحه وأهداه . لقد استطاعت صحافتنا - فى مستهل حياتها - ان تقوم بأدوار خطيرة فى النهوض ببلدنا وفى تطوير شعبنا ، واستطاعت فى الوقت نفسه أن تلعب فى حياة

الجماهير اربع الادوار . شاركت صحافتنا - منذ بداية ظهورها - في كل قضايا الشعب وتحملت - كما تحملت كل أدوات الكفاح والنضال الشعبى - الكثير من التضحيات ، واذا كانت اقلية ضئيلة من صحفنا ، تنتسب زورا وعدوانا الى بلدنا ، قد وقفت في فترة من فترات التاريخ ، طالت أم قصرت الى جانب المستعمر تسبح بحمده وتمجد عدوانه وتمسح بعقباته وتشر أكاذيبه وترهاته ، من أجل أن تعيش على فتاته فحسبنا ان هذه كانت من القلة والضالة الى الحد الذى جعلها لا تستطيع وقف عجلة التاريخ : وحسبنا فى الوقت نفسه ان غالبية صحفنا قد رفضت ان تداس حريتها بالاقدام كما رفضت ان تشتري بالاصفر الرنان وتحملت كل ما يمكن أن تتحمله الأعلام الشريفة من تضحيات جسام بإيمان ثابت واخلص قوى وصبر دائم وقدرة فائقة ، ولم تنجح وسائل الضغط والارهاب كالتعطيل والمصادرة والسجن والاعتقال والتشريد فى الحيلولة بين هذه الصحافة الحرة ورسالتها وبين هؤلاء الصحفيين الأحرار ، وبين إداء دورهم الطليعى فى تحرير الشعب واستقلاله : وقد استطاعت صحفنا رغم وسائل الارهاب والضغط والعنت ان تكون حلقة الاتصال بالعالم الخارجى ، فتنقل ثقافته الجديدة وفلسفاته الحديثة ، كما استطاعت أن تنقل الى الشعب اصدق الأنباء عن الحركات الثورية التى قامت فى أوروبا وأمريكا.

ومهما تكن الظروف التى واكبت تطور الصحافة المصرية فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين الا انها - فى الغالب - كانت معبرة عن التفسير الذى ظهرت ملامحه فى المجتمع المصرى منذ وفاة الخديو توفيق ( ١٨٩٢ ) وتولية ابنه الخديو

عباس حلمى الثانى ، ولقد استطاعت الصحافة المصرية رغم ظروفها الخاصة ورغم الوسائل التى استخدمت للضغط عليها أن تساهم مساهمة كبيرة فى خلق رأى عام مستنير كانت له قوته فيما بعد ، ولقد انفردت صحفنا - فى تلك الفترة - بميزة لا مثيل لها فى تاريخ الصحافة فى أى بلد آخر ، ذلك ان الصحف اليومية الكبرى : المؤيد ، واللواء والجريدة تلك التى سيطرت على الرأى العام فى تلك الفترة كانت التجمعات الاولى للأحزاب الثلاثة الكبرى التى نشأت فى مصر وقد كان امين الرافعى ممن تتلمذوا على يد مصطفى كامل فى جريدة « اللواء » أهم هذه الجرائد وأكثرها شعبية ونفوذا .

## مولد صحفى كاتب

نشأ أمين الرافعى كما ينشأ فى العادة أبناء الموظفين محدودى الدخل ، فى البداية ، فى كتاب من كتاتيب المدينة أو القرية ، حيث يتم التعليم عن طريق الفقهاء والعرفاء لا كتب ولا قماطر ولا كراسى ، الجميع يجلسون على الحصر ، أو على الدك الخشبية التى غطيت فى النادر بالحصر ، والاعتماد - فى التعليم - على الواح الاردواز ثم الواح خشبية بعد الوصول الى مرحلة معينة من التعليم . حفظ الأجزاء الأولى من القرآن الكريم يتم عن طريق السماع واللقاء الجماعى ، ثم بعد ذلك يكون الحفظ عن طريق الألواح الخشبية أو عن طريق المصحف مباشرة . التلاميذ يأخذون معهم غذاءهم ولا يعودون من الكتاتيب الا فى نهاية النهار . اما من قرب منزله من مكان الكتاب أو ارتفع ما يدفعه أهله من أجر فيستطيع تناول غذاءه فى بيته ، ثم يعود الى الكتاب ، الواحد منهم - اذا كان ذكيا ومستقيما - يستطيع أن يحفظ القرآن الكريم ، فى العاشرة من عمره أو فى الحادية عشرة وبعد اتمام حفظ القرآن وتجويده وحفظ الفية ابن مالك ، وبعض المتون التى تفيد فى دراسة اللغة العربية يصبح مؤهلا للالتحاق بالأزهر أو أية مدرسة أخرى .

ويدخل أمين الرافعي واحداً من هذه الكتائب هو كتاب  
 الشيخ جلال بشارع درب الحصر بالقاهرة لفترة من  
 الوقت ، وبعد أن انتهى من دراسته الأولى في الكتاب  
 انتقل إلى مدرسة الزقازيق الابتدائية الأميرية حيث عمل  
 والده فترة من الوقت ، ثم انتقل إلى مدرسة رأس التين  
 الابتدائية أيضاً عندما نقل والده في عام ١٨٩٨ إلى  
 الإسكندرية ، وقد نال أمين الابتدائية سنة ١٩٠١ كما نالها  
 في نفس العام شقيقه عبد الرحمن ، ويقول عبد الرحمن  
 الرافعي في مذكراته : « حين علم أحد أقربائي بالنبا  
 وكنت أجهله سارع إلى الحضور لمنزل والدي بالأنفوشي  
 شارع قصر رأس التين رقم ٥٨ وهو المنزل الذي نلت فيه  
 الشهادة الابتدائية والثانوية وليسانس الحقوق ،  
 ليبشرني بالنجاح فألفاني في حديقة المنزل يجزني أخى  
 أمين في قفص من الجريد جعلنا منه شبه عربة صغيرة  
 نتناوب ركوبها وجرها بحبل فنأداني بلهفة فترك القفص  
 أسأله عن الخبر فهأنى بالنجاح وأطلعنى على نسخة اللواء  
 التى فيها اسمى ضمن الناجحين فى الشهادة الابتدائية  
 فضحكت مغتبطاً . ثم عدت إلى قفص الجريد لنتم أنا  
 وأخى عملية الجر واللعب » وكان أمين الرافعي وشقيقه  
 عبد الرحمن بعد نجاحهما فى الابتدائية يترددان على قهوة  
 أنيقة بشارع رأس التين تجاه سراى محسن باشا ، كل يوم  
 جمعة حيث كان صاحبها الحاج أحمد يقدم لهما شراب  
 الليمون الذى يتقنه كل الاتقان ويطلعهما كما يطلع بقية  
 الزبائن على بعض الصحف اليومية التى كانت تصدر  
 وقتئذ ومنها اللواء وإذا كان عبد الرحمن لم يتبين سياسة  
 اللواء ولا الصحف الأخرى لصغر سنه فان أمينا لكبر  
 سنه وفتح مداركه ومتابعته لقراءة الصحف والكتب



والاستماع الى كثير من الأحاديث التي كان يلقيها بعض الذين شهدوا وعاصروا أحداث الثورة العراقية كان اكثر فهما لسياسة اللواء والمؤيد والاهرام ، ويدخل الشقيقان أمين وعبد الرحمن معا مدرسة رأس التين الثانوية بالاسكندرية وقد كانت من اهم مدارس القطر واساتذتها من خيرة الاساتذة علما وخلقا - ويقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعى فى مذكراته : « كان من بين أساتذة مدرسة رأس التين الثانوية المرحوم عثمان بك لبيب وكان يلقي علينا بين حين وآخر حديثا عن حالة البلاد السياسية وكان وطنيا صميما لا يفتأ يطعن فى سياسة الانجليز ويذكر لنا كيف احتلوا مصر غدرا وغيلة وكيف يعملون على ارساخ أقدامهم فى البلاد وكيف يحاربون الروح الوطنية وكان يقول لنا خلال أحاديثه : « افهموا يا اولاد كويس » كنت ألاحظ انه حين يبدأ الحديث فى السياسة يفلق بنفسه باب الفصل ، لكى لا يسمع حديثه ناظر المدرسة . وكان كثيرون من مدرسيها يتخبرون بغض الطلاب النبهاء ويلقون عليهم بعض الدروس الوطنية خارج المدرسة بل كانوا يطلعونهم على بعض الصحف التي كانت تصدر فى الخارج وتهرب الى مصر خلسة وما أكثر المرات التي التقى فيها أمين الرافعى بزملاء له خارج المدرسة وكانوا جميعا يشعرون مثله بالضيق الذي يشعر به وكانوا يجدون لديهم الرغبة فى العمل من أجل انقاذ بلادهم وما أكثر تلك المناظر التي كانت تبثيرهم كل صباح وكل مساء : مناظر الجنود البريطانيين بخوذاتهم وجرابهم وهم يسرحون ويمرحون فى شوارع العاصمة الثانية . على أية حال فان الصبى أمين الرافعى - الذى ولد مرهف الحس - عاش سنواته الأولى - متنقلا - تبعا لتنقلات والده ،

فى كثير من عواصم الاقاليم كان يحس بالكآبة والحزن والالام لما وصلت اليه احوال البلاد بعد الاحتلال حيث استولى الاحتلال على كل شىء فى البلاد . تأثر الرافعى كما تأثر غيره من الشبان بالظروف القاسية المريعة التى كانت تحيط بالشعب الذى كان يئن كالأسد الجريح يعانى آلام المرض والجوع فى قفص حديدى لا يستطيع أن يتحرك فى داخله ، وكان زعماء البلاد وقادتها وكبار مفكرىها - فيما عدا قلة ضئيلة - قد استولى عليهم اليأس القاتل وأحالهم الى اجبار صلبة لا تتحرك ولا تحس بل ولا تنفس حتى لقد خيل للشباب فى تلك الفترة أن يقظة البلاد من رقبتها تكاد تكون من المستحيلات .

غير ان دوام الحال من الحال فى الحال فالشعوب الاصلية العربية لا يمكن للهزيمة مهما تكن شديدة وقاسية وعنيفة ومفاجئة أن تقضى عليها ، قد تسكنها الى حين ، قد تضايقها وتؤلمها بل وتعيقها عن التحرك بعض الوقت ولكنها بعد زوال المفاجأة تعود أقوى مما كانت وأكثر قدرة على التحرك عما كانت عليه قبل الهزيمة . لقد بدأ الشعب يفتح عينيه ويتطلع الى ما يجرى حوله ساكنا صامتا فى البداية الى أن عادت اليه قدرته فبدأ يتحرك من جديد ولست أدري هل هى المصادفة البحتة أم هى الظروف السياسية والاقتصادية والنفسية التى جعلت من أولئك الابناء الذين ولدوا قبل الثورة العربية وأثناءها وفى أعقاب الهزيمة كمصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول وأمين الرافعى ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى وغيرهم وغيرهم هم الذين يحملون المشاعل فى مطلع القرن العشرين ويصبحون فيما بعد قادة ثورة ١٩١٩ التى قامت بعد ستة وثلاثين عاما من هزيمة الثورة العربية .

لقد بدأت الظروف تتغير لصالح الشعب وبدأ اليرافعى يحس بهذا التغير فى مدرسته الثانوية وكان من بعض صور ذلك التغير التفرى بحب الوطن واقتناص المناسبات الدينية كهجرة الرسول والمولد النبوى ، لاقامة احتفالات ذات مغزى وطنى بالاضافة الى تأليف خلايا سرية تضم بعض الشباب المتفتح للعمل الوطنى والبحث عن طريق الخلاص . وخيل للرافعى ان الامل فى اليقظة وقد كان الى امد غير بعيد مستحيلا قد اصبح اليوم محققا والمستقبل الذى كان الى سنوات قليلة يبدو مظلما قد بدأ يشرق من جديد ، حتى الرأى العام الذى حجبته الهزيمة المفاجئة وقيدته بل وقتلته اخذ يتحرك وتتسع دائرته والزعماء والقادة الذين كتب عليهم الهزيمة والاحتلال الا يتحركوا بل الا ينطقوا راحوا يتهايمسون ثم راحوا بعد الهمس يتحاورون ويتكلمون والوزراء احجار الشطرنج التى لم تكن تحس وجد من بينهم من يستقيل بل من يعلن للناس اسباب استقالته والجيش الذى بالغ المحتلون فى اذلاله كما بالقسوا فى حرمانه من السلاح واختيار ضباطه واحدا واحدا ، أخذ يتعلم غيظا والما ، كما راحت طلائعه الشابة تتلمس طريق الخلاص وتبحث قضايا الوطن فى حذر شديد ، والشبيبة المصرية التى عمل المحتلون كل ما يمكن عمله ليقطعوا كل الصلات الثقافية والتاريخية التى تربطهم ببلدهم لغة أو تاريخا دب فيهم امل جديد اقلق المستعمر وأزعجه . ويتأثر الرافعى بذلك كله ، ويندفع رغم ضعف صحته حيث كان يشكو الصرع الذى أضعاع عليه بعض سنوات دراسته ، الى ميدان العمل الوطنى ليمشارك كخطيب فى بعض الحفلات المدرسية ثم يشترك كمتظاهر فى بعض المظاهرات التى

سيرها الطلاب فى المناسبات الوطنية ويندفع الرافعى  
أكثر وأكثر فى مجال آخر يتلاءم تماما مع ظروفه وسنه  
أعنى مجال القراءة فالرافعى وقد ولد فى بيت علم وأدب  
وشعر ، اتاحت له ظروفه ان يقرأ كثيرا من الكتب الادبية  
والفلسفية والاجتماعية والدينية والقراءة عند الرافعى  
كالطعام والشراب والتنفس لا يمكن الاستغناء عنها  
والقراءة عنده ، تعنى الاستفادة دائما . يقرأ الرافعى كل  
ما يقع تحت يده من كتب وصحف ، يقرأ بالعربية والفرنسية  
لخصوص الوطن ولمن يقفون الى جانبه ولا يكتفى الرافعى  
بالقراءة بل نراه يلخص كل ما يقرأ فى كراسات يحتفظ  
بها الى وقت الحاجة ، ولا تكفيه قراءة الصحف فى دار  
الكتب أو فى المقهى الذى تعود ان يذهب اليه كل جمعة  
هو وشقيقه عبد الرحمن بل ينفق معظم مصروفه اليومي  
فى شراء هذه الصحف التى يقرأها - كما يقول شقيقه  
عبد الرحمن - قراءة من يرغب فى الاطلاع والاستفادة  
معا وتؤهله كثرة قراءته واستعداده ليكون كاتباً وكاتباً  
قديراً .

بعد ان تخرج أمين الرافعى من المدرسة الثانوية التحق  
بمدرسة الحقوق الخديوية عام ١٩٠٥ ، وانضم فى الوقت  
نفسه الى هيئة تحرير صحيفة « اللواء » باعتبارها  
صحيفته المفضلة التى تعبر بصدق عن أحلامه وآماله ،  
ومضى فى دراسته ، كما يعضى الطلاب المتفوقون  
الحريصون دائما على الحصول على أعلى الدرجات . وكان  
فى الوقت ذاته حريصا على قراءة ما يقع تحت يده من  
صحف ومجلات وحريصا على ان يشهد باستمرار  
الندوات التى كانت تعقد فى « اللواء » و « المؤيد »  
والتي كان يتحدث فيها مصطفى كامل ، ومحمد فريد

واحمد لطفى وعمر لطفى ، ولم يكن الشباب وقتئذ يحضر هذه الندوات كمستمع فقط بل كان يناقش ويجادل ويفدى آراءه الحرة بكل صراحة وقوة اذ كانت هذه الندوات مليئة بالحركة والنشاط : مرة كان الاستاذ ابراهيم الهلباوى يحاضر فى احدى هذه الندوات ، والهلباوى هو محامى الاحتلال فى قضية دنشواى ورأى الشباب ومن بينهم أمين انه لابد من التعبير عن رأيهم فى تصرفات الهلباوى فذهب عديد منهم الى مكان المحاضرة بدار « الجريدة » وجلسوا فى الصفوف الاولى والصفوف الاخيرة وما كاد المحاضر يجلس الى منصة الخطابة حتى أطلق الشباب أسرابا من الحمام اشارة الى حادثة دنشواى التى كان سببها صيد الحمام .

وكان الرافعى يتحدث فى كثير من هذه الندوات بأسلوب شيق ، كما كان يحبذ الاستماع وقد أتاحت له تلك الندوات فرص التعرف الى كثير من الشخصيات السياسية والصحفية . ولم تكن مدرسة الحقوق التى أصبح الرافعى بعد فترة قصيرة من أبرز طلابها مدرسة عالية عادية وحسب بل كانت فى هذه المرحلة محسورة كثير من الحركات السياسية والوطنية . ولما كان الرافعى صاحب قلم وصاحب حظوة لدى مصطفى كامل « صاحب اللواء » وله علاقات وثيقة بكثير من الاقطاب فقد أصبح من الزعماء البارزين فى المدرسة وفى كثير من المناسبات كان يقود طلابها : وكانت مدرسة الحقوق تقود بدورها المدارس العالية والثانوية والابتدائية . ففى عام ١٩٠٦ - مثلا - وقع اضراب مدرسة الحقوق احتجاجا على بعض القرارات التى أصدرها مستر أرشيبولد نائب ناظر

المدرسة بخصوص عقاب الطلبة الذين يتخلفون عن الحضور ، وحرمانهم من الدرس والامتحانات بل من التوظيف في الحكومة وكان أمين الرافعى على رأس اللجنة التى ألفت لإدارة حركة الاضراب الذى استمر فترة طويلة وكان هو الذى يتولى صياغة البيانات والمنشورات التى تصدر باسم الطلاب وتوزع عليهم أو تنشر فى الصحف ، وقد بذل اللورد كرومر - رجل الاستعمار العتيد - جهودا مضنية لافشال هذا الاضراب كما بذل جهودا شاقة أخرى لتفتيت وحدة الطلبة بالدس والاغراء غير ان كل هذه الجهود فشلت ونجح الطلاب فى تحقيق اهدافهم من الاضراب .

ولما كان الشباب المصرى المثقف طليعة العاملين فى الحقل الوطنى ، فقد رأى قادة الحركة الوطنية ضم جهود هؤلاء الشباب فى ناد يجمع بين طلاب المدارس العليا وخريجها فأنشئ نادى المدارس العليا فى ابريل ١٩٠٦ وانتخب أمين الرافعى عضوا فى مجلس ادارته . وبعد تخرجه فى المدرسة انتخب سكرتيرا للنادى وظل انتخابه يتجدد كل عام حتى ١٩١٤ عندما أغلقت السلطات العسكرية البريطانية النادى وباعت أثاثه . ولم يكن نادى المدارس العليا محورا للنشاط السياسى فحسب ، بل كان محورا للنشاط الاجتماعى والثقافى أيضا . وفى هذا النادى أنشئت جمعية رعاية الاطفال وفى قاعاته اجتمعت لجنة ادارة الجامعة المصرية وولدت فكرة انشاء مدارس الشعب ومشروع النقابة الزراعية .. الخ ، وكان نادى المدارس العليا الى جانب ذلك معهدا أخلاقيا يروض الشباب على الاخلاق الطيبة ، فقد انفرد دون غيره من الاندية بتحريم لعب

القمار وكذلك تحريم المسكرات وقد ذكر الرافعى فى خطبة القاها بمناسبة عيد تأسيس النادى ، ان النادى اقيم على اساسين متينين هما الاعتماد على انفسنا ومساعدة الامة لنا ، فلم تتقوض دعائمه بل اخذ يقطع سنينه الاولى ثابت القدم عزيز الجانب . لقد كنا متخوفين وجلين عند تأسيس النادى ولكن بفضل اعتمادنا على انفسنا ومساعدة الامة لنا ذهب عنا الخوف والحزن . . لقد سقيناها ماء الاخلاص وسقيناها ماء العمل المؤذن بالثمر فكان مثله كمثلى ارض هامة فأنزل الله عليها الماء فاهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج » .

على ان نشاط الرافعى فى نادى المدارس العليا وفى مدرسة الحقوق لم يمنعه من مزاولة نشاط آخر محبب الى قلبه ، ذلك هو نشاطه الصحفى - يقول الاستاذ أحمد حلمى المحرر الاول للواء وخير من كتب عن مأساة دنشواى « عرفت الرافعى وهو طالب بمدرسة الحقوق فكان اول قيس ظهر من شعاع ذكائه تلك المقالات الممتعة التى كان يكتبها عن حياة جاريبالدى وأعمال ذلك الوطنى الايطالى العظيم . وكنت أجعل لها اظهر مكان فى اللواء لانها تقع من نفسى موقع الزلال فى فم الصادى وقت القائلة ويظهر انه كان يكتب عن جاريبالدى بعد دراسة تشربت بها نفسه حتى لبس روح جاريبالدى فكان مثال التغانى فى حب مصر ، كما كان جاريبالدى مثال التغانى فى حب ايطاليا وهكذا شب وطنيا لا تشوب وطنيته اى شائبة يؤاخذ عليها » .

اما الشيخ عبد العزيز جاويز الذى رأس تحرير اللواء فى ايام مجده فيقول : « شغلنا بأمر اللواء فى ذلك الوقت وكان أمين تلميذا فى الحقوق هو والاستاذ

عبد الرحمن الرافعي ومحمد زكي على، ومصطفى الشوربجي  
وكانوا جميعا يجيئون الى اللواء فكنت أجد فيهم الايمان  
القوى وكنت أجد فيهم المبادئ التي لا تؤثر فيها الزلازل  
ولا الزعازع ، كنت أجد فيهم العلم الصحيح والعقيدة  
الوطنية الراسخة وكان أمين وهو يشتغل معي في اللواء  
مثال الجِد والكَمال وكان يعجبني فيه الرأي الصائب  
والوفاء لمبدئه « أما الأستاذ مسعود فراج مسعود وهو  
من الذين عملوا فترة طويلة لتطوير الأزهر فيقول : « في  
أوائل ١٩٠٧ عرفت أمين الرافعي وكان اذ ذاك في أوائل  
سنى دراسته بمدرسة الحقوق الخديوية وكنت سكرتيرا  
لجمعية الاتحاد الأزهرى التي قامت تطالب باصلاح الأزهر  
وتغيير نظمة القديمة البالية ، عرفني بدافع الخدمة الوطنية  
اذ كان يقضى وقتا من يومه بإدارة جريدة اللواء ليساعد  
صديقه المصلح الكبير صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز  
جاويش في تحرير اللواء ، وكان اللواء وقتئذ مناصرا  
لجماعة الاتحاد الأزهرى : عرفته وهو يجول بدراجه جهة  
الأزهر لمعرفة ما قرره الجمعية وما تريد فعله فكنا  
نتقابل يوميا لاعطائه المعلومات التي يجب أن تدافع بلسان  
اللواء فعرفت فيه الصدق والاخلاص والحرص والعمل  
لخدمة المجموع ، وكنا آنذاك نظارد من الحكومة مطاردة  
المضروب عليهم ، وكانت المصاحبة تقتضى علينا ان ننكر  
بملابس مستعارة ونجتمع في أماكن خربة أو شبه خربة  
حتى نخفى عن البوليس والجواسيس والرقباء ، ولكن  
العين الوحيدة الجادة ، التي تدرك أماكننا دائما ، وتعرف  
اشخاصنا دائما رغما عن كل تنكر واختفاء هى وحدها  
عين أمين الرافعي وهكذا ظل مؤازرا ومرشدا حتى انتهت  
المسألة على ما أحبه الأزهريون وارتضوه وعلى ما دونه  
التاريخ ووعاه »



وكانت دراسات الرافعى عن جاريبالدى - وقد سبق  
الإشارة إليها - أول ما نشر لأمين الرافعى فى اللواء  
ابتداء من ٥ أغسطس ١٩٠٧ ، وتعتبر هذه الدراسات من  
خيرة ما كتب عن الزعيم الايطالى وهى تصلح لأن تكون  
كتاباً قائماً بذاته فقد جاءت فى سبع عشرة مقالة كان  
اللواء ينشرها فى أبرز مكان ولم يوقع الرافعى هذه  
المقالات باسمه الصريح رغم الجهد الشاق الذى بذله  
فى إعدادها اذ كان يوقعها باسم حقوقى اسكندرى او  
حقوقى ، وكلمة اسكندرى تشير الى الاسكندرية حيث  
كان الرافعى يقيم فى أجازته الصيفية .

وقد نشرت سلسلة المقالات التى كتبها أمين الرافعى  
عن جاريبالدى بصورة منتظمة او شبه منتظمة فى جريدة  
اللواء وكان الرافعى يقطع السلسلة لينشر بعض مقالاته  
التي تتناول امورا طارئة كتهنئة الشعب الايطالى ( ٢٠  
سبتمبر ١٩٠٧ ) بعيد الحرية والاستقلال ، وكذلك ماكتبه  
عن النفى الادارى والحرية الشخصية فى ٢١ اكتوبر  
١٩٠٧ وما نشره عن النفى والسلطة التشريعية ( ٢٤  
اكتوبر ١٩٠٧ ) وفى هاتين المقالتين دفاع حار عن الحرية  
الشخصية وقد عتف « لن يدهم حل الامور وعقدها  
الذين يقيدون الحريات الشخصية بقوانين جائرة ظالمة  
تؤدى الى وقوع البلاد فى مهاوى الذل والاستعداد . » ومن  
بين هذه المقالات التى قطع بها سلسلة كتاباته عن  
جاريبالدى ما كتبه فى ٦ نوفمبر ١٩٠٦ تحت عنوان  
« رجاء الى صاحب اللواء » طلب فيها من الزعيم مصطفى  
كامل أن يمسك قلمه عن مناقشة الذين يشتمونه  
ويسبونه لأنهم رأوا أن بضاعتهم مزجاة وأنهم على باطل ،  
فلم يجدوا شيئاً يكتبونه غير التقرير والسب والقذف

« وحتى أصبحنا لا نقرأ فى وريقاتهم غير ما كنا نقرأه فى « حمارة منيتى » وفى « الخلاعة » ، واختتم مقاله هذا طالبا من مصطفى كامل أن يمضى فى عمله آمنا مطمئنا فالامة شباخصة اليه بأبصارها ، متجهة اليه بقلوبها واقفة على اهواء هؤلاء السفهاء الذين حققت عليهم كلمة الامام على : اتخذوا الشيطان الامرهم ملاكا واتخذهم له اشراكا »

ويطول بنا المقام لو استعرضنا كل ما كتبه الرافعى وهو طالب فى كلية الحقوق كما يطول بنا المقام لو استعرضنا جهوده السياسية والوطنية خلال تلك الفترة فقد كان لا يكتب الا بعد دراسة ولهدف ، ولم يكن ليكتب الا عن عقيدة ثابتة وايمان صادق ، وكان وهو يعمل فى الحقل الوطنى كواحد من المسئولين عن نادى المدارس العليا ، يبذل كل جهده ونشاطه لخدمة القضية الوطنية التى نذر نفسه منذ البداية للعمل لخدمتها . وكان فى عمله كطالب بمدرسة الحقوق التى تمثل قيادة الشباب الوطنى نموذجا للطالب المثالى المعبر بحق عن طلاب الحقوق الذين قال فيهم شاعر النيل حافظ ابراهيم :

وكيف يضيع للطـلاب حق  
وهم فى مصر طلاب الحقوق

## محامي القضايا الكبرى

تخرج أمين الرافعي في مدرسة الحقوق الخديوية في صيف ١٩٠٩ ، وكان وهو طالب على ما ذكرنا قد انتظم في سلك الصحافة محرراً في اللواء ، وبعد تخرجه لم يقبل التوظف في الحكومة على حين أن الوظائف الحكومية كانت وقتئذ تستهوي أفئدة كثيرين من الشباب كما لم يقبل العمل بالمحاماة في وقت كانت هذه المهنة تدر الكثير من الأموال بل فضل الاستمرار في الصحافة وكانت أولى المشاكل التي صادفته عقب تخرجه أن شقيقه الأستاذ عبد الرحمن الرافعي قرر هو الآخر بعد تخرجه الاشتغال بالصحافة . ولما كان الاشتغال بالصحافة وبالصحافة الوطنية الحرة وقتئذ يعني التضحية بالجهد وبالمال كما يعني حياة الكفاف ، فقد احتكم الاخوان الشقيقان الى والدهما في هذا الخلاف الذي شجر بينهما لأول مرة وقرر الوالد بعد فترة من الدراسة أن يعمل أحد الشقيقين في المحاماة ليساعد الآخر مالياً ، وان يعمل الآخر في الصحافة ويتقبل مساعدة أخيه . واستقر الرأي على أن تكون المحاماة من نصيب عبد الرحمن ، وأن تكون الصحافة من نصيب أمين الذي لم يكن له مرتب في «اللواء» ولا في «الشعب» حتى بعد أن صار رئيساً للتحريض ، كان كل الذي

بتقاضاه كمحرر اثنى عشر جنيها كبذل انتقال وكل الذى كان يأخذه كرئيس تحرير لصحيفة « الشعب » التى كانت اكثر الجرائد المصرية انتشارا واقواها نفوذا اذ كانت لسان حال الحركة الوطنية ، عشرين جنيها فقط ! ولم يكن هذا المبلغ البسيط كما سبق ان ذكرنا فى مقدمة هذا الكتاب يدخل جيب امين الرافعى بل كان ينفقه باستمرار على زملائه المعوزين وما اكثرهم . وقد سالت ذات يوم استاذنا الكبير عبد الرحمن الرافعى عن العلة فى عدم قبول امين الرافعى تناول مرتب ثابت يلقى بعمله ومركزه كما كان يفعل رؤساء تحرير « الجريدة » و « المؤيد » و « المقطم » وغيرها من الصحف الكبرى التى كانت تصدر قبل الحرب العالمية الاولى وكانت دون صحيفة الشعب انتشارا ونفوذا فقال لى : لقد كان امين الرافعى يرى فى عمله الصحفى واجبا بل كان يراه توضحية من التوضيحات التى يجب أن يقدم عليها المرء دون أن ينال عنها أى اجر » ومنذ أن تخرج الرافعى فى مدرسة الحقوق راح يكتب باسمه الصريح لأول مرة « امين الرافعى ليسانسيه فى الحقوق » وكان اول مقالاته التى حملت اسمه سلسلة من مقالات عن « نظام التعليم فى مدرسة الحقوق » نشرت فى يونيو ويوليو ١٩٠٩ وفى هذه السلسلة كتب عن جناية الاحتلال البريطانى على التعليم العالى فى مصر وقارن بين مدرسة الحقوق فى عهدها القديم قبل أن تمتد اليها يد الانجليز وبين مدرسة الحقوق فى ايام الانجليز .

وقد لفتت هذه المقالات الانظار الى امين الرافعى ككاتب صادق جريء مخلص يدعم آراءه بالحجج والمستندات والوثائق وقد توالى الاحداث السياسية

الكبرى فى البلاد وكان من اكبر هذه الاحداث واطرها  
المحاولة الاستعمارية الكبرى التى اريد بها مد امتياز قناة  
السويس ، وكان محمد فريد - زعيم الحزب الوطنى -  
قد حصل على مشروع المد بعد عرضه على الخديو عباس  
الثانى وبطرس غالى باشا عند زيارتهما للندن .

وبدا محمد فريد وامين الرافعى ينشران المقالات  
العديدة ضد هذا المشروع الخطير . . كتب امين الرافعى  
فى أكتوبر ١٩٠٩ مقالا باللواء دعا فيه الحكومة الى رفض  
هذا المشروع ، كما دعا فيه الامة الى مقاسمته بكل  
ما تستطيع من قوة واتبع الرافعى هذا المقال بسلسلة من  
المقالات المدعمة بالحجج والاحصاءات والبيانات وراح  
يوضح ما به من غبن للشعب كما راح يتحدث عن حيدة  
القناة وضرورة تحقيق هذا الحيد وعندما عطلت الحكومة  
« اللواء » انتقل بحملاته الى « العلم » ثم الى « الاعتدال »  
بعد تعطيل العلم وعندما عرض المشروع على الجمعية  
العمومية فى فبراير ١٩١٠ تابع امين الرافعى مناقشات  
الاعضاء وبين لهم اضرار المشروع من الناحيتين السياسية  
والمالية وساق اليهم كل الأدلة التى تقنعهم برفض المشروع  
ولم يكتف بذلك بل راح يفضح مواقف الوزراء الذين كانوا  
يؤيدون المشروع وينقد أدلتهم الزائفة فى تحيذه «

وقد توج جهاد الوطنيين عندما رفضت الجمعية  
العمومية المشروع فى ابريل ١٩١٠ بالاجماع فيما عدا  
الوزراء وكان من بينهم سعد زغلول باشا ناظر المعارف  
الذى كان متوليا الدفاع عن المشروع امام الجمعية  
العمومية . وبينما كانت الجمعية العمومية  
تناقش مشروع مد امتياز قناة السويس اغتال  
ابراهيم الوردانى ، ناظر النظار بطرس غالى باشا لتأييده

مشروع مد امتياز قناة السويس ورئاسة المحكمة  
المخصوصة التي حاكت المتهمين فى قضية دنشواى ، واذ  
كان الوردانى من شباب الحزب الوطنى فقد راحت  
الحكومة تقبض على زعماء الحزب الوطنى وتفتش بيوتهم  
ومكاتبهم ومنازلهم ، وكان أمين الرافعى من بين الذين  
حقق معهم وفتشت منازلهم ومكاتبهم ولكن الحكومة لم  
تجد دليلا واحدا ضد أحد من الحزب الوطنى فيما عدا  
الوردانى الذى اعترف بارتكاب جريمة القتل ، وكان  
الرافعى أثناء التحقيق مع الوردانى وأثناء محاكمته ، يعلق  
كل يوم على ما يجرى فى التحقيق والمحاكمة وقد أولاهما  
الشعب كل اهتمامه ولما حاول الاستعمار البريطانى انتهاز  
فرصة مصرع بطرس غالى للإيقاع بين عنصرى الأمة  
وعندما التقت ارادة الاستعمار مع ارادة الخديو عباس  
حلمى الذى اراد بدوره - كما يقول قلينى فهمى باشا فى  
مذكراته وكما تقول جويدان هانم حرم الخديو عباس  
حلمى فى مذكراتها - تسميم الآبار أمام السير الدون  
جورست المعتمد البريطانى فى مصر بايقاع الفتنة بين  
عنصرى البلاد فى أوائل عام ١٩١٠ وقف أمين الرافعى  
بكل حزم وقوة يكشف ما وراء الفتنة ، وكان الوطنيون  
بقيادة الحزب الوطنى قد قرروا عقد مؤتمر وطنى لهم  
بباريس فى سبتمبر ١٩١٠ لفضح الاستعمار البريطانى  
فى مصر غير ان الحكومة الفرنسية مجاملة للحكومة  
البريطانية قررت عدم الموافقة على عقد المؤتمر ولذلك  
استدعى مسيو بيشون وزير الخارجية الفرنسية الزعيم  
محمد فريد وأخبره بقرار الحكومة ورأى فريد ورفاقه  
وكان من بينهم أمين الرافعى الاسراع بعقد المؤتمر فى  
مكان آخر بأوروبا فأجروا اتصالات عاجلة ببعض

الحكومات الأوروبية ورحبت الحكومة البلجيكية بعقد المؤتمر فى موعده فى بروكسل وكان أمين الرافعى هو الذى ينشر محاضر جلسات المؤتمر ويبعث بها الى «العلم» مع المزيد من آرائه وتعليقاته والدروس التاريخية والوطنية التى كان يضمنها رسائله ، وكان الشعب المصرى يتلقف رسائل أمين الرافعى عن المؤتمر بحماسة ولهفة وكانت هذه الرسائل ترجمانا صادقا لكل كبيرة وصغيرة فى المؤتمر ، ويقول رفاق أمين الرافعى فى المؤتمر انه كان يظل عاكفا ساعات كل ليلة يدون رسائل المؤتمر وكثيرا ما كان هؤلاء الرفاق يشفقون عليه من عناء العمل وبلاخطون عليه انه كان لا يكف عن الكتابة حتى فى أوقات راحته ويطلبون اليه أن يعرف لنفسه حقها فى الراحة فكان يقول لهم : « دعونى فإن على مهمة يجب أن أؤديها بصدق وإخلاص »

ويقول الأستاذ أحمد وفيق : عاد أمين من المؤتمر الوطنى ببروكسل وعدنا معه وأخذنا فى العمل جنبا الى جنب فى جريدة « الشعب » التى استقر القرار على ظهورها بعد انتهاء مدة احتجاجها مرتين وبعد ان كانت سياسة الوفاق تغلق كل يوم صحيفة . فنصدر محلها فى اليوم نفسه صحيفة أخرى ما كانت الأمة تعرف عنها خبرا قبل صدورها ولكنها كانت واثقة من ان صحيفة ما للحزب الوطنى ستصدر »

وتتوالى الأحداث السياسية على مصر سريعة وعنيفة، حدث فى نوفمبر سنة ١٩١٠ ان مر الخديو عباس حلمى الثانى بمدينة طنطا ففوجئ بالطلبة مصطفىين على رصيف المحطة يهتفون للدستور . وانزعجت الحكومة من هتاف الطلبة واهتزت دوائر الاحتلال البريطانى لنبا هذه

المظاهرة ، التي كانت قوية وعنيفة ومنظمة فالقى القبض على اثنى عشر من طلابا بتهمة انتمائهم الى جمعية سرية وقد تولى الرافعى الدفاع عن هؤلاء الطلبة واعتبر قضيتهم فضية الدستور والحرية وراح : كما قال صاق عنبر ، يثبت براءة الطلبة ويحتج على مسلك الحكومة حيالهم .

وفى اغسطس سنة ١٩١٠ حكم على الشيخ عبد العزيز جاويش رئيس تحرير جريدة الحزب الوطنى بالحبس ثلاثة اشهر مع التنفيذ ، فخلفه أمين الرافعى فى رياسته تحرير صحف الحزب الوطنى ولا نقول صحيفته لأن سلطات الاحتلال كانت تلقى بجرة قلم أى صحيفة يصدرها الحزب الوطنى ، ليصدر الحزب - كما سبق أن ذكر الاستاذ أحمد وفيق - صحيفة أخرى فى نفس اليوم تحت أى اسم ثم ألقى بالرعيم محمد فريد فى السجن لمدة ستة أشهر بنفس التهمة التى حوكم من أجلها الشيخ عبد العزيز جاويش وهى « تحسين كتاب وطنيتى » للشيخ على الفياضى وكان أمين الرافعى يوم أن قدم محمد فريد الى المحاكمة قد كتب بتاريخ ١٩١١/١/٢٤ مقالا تحت عنوان « انزلوا بنا ما شئتم من الشدة » وعلق فى ٢٧ يناير ١٩١١ على الحكم على رئيس الحزب الوطنى بالسجن فقال : « ما أصدرت المحاكم فى مصر حكما قابلته الأمة من كبرها الى صغيرها بمثل هذا الاستياء الذى قوبل به حكم أمس فان حبس الرئيس فى حد ذاته لا يضره ولا يلحق بنا شيئا من الأذى ويكفيه ويكفيها ذلك العطف الذى يقوى تياره ويضم الى الحركة الوطنية قوى جديدة ، كما قال « جورنال دى كير » . والحق يقال اننا لو ظللنا هذه الستة أشهر نخطب بأقوى لسان ونكتب بأرهم قلم فى سبيل المبادئ الوطنية لما استطعنا ان نجتمع حولنا جزءا



من تلك القوى الجديدة التى انضمت إلينا » .

وكان اللورد كتشنر الذى جاء الى مصر فى يوليو ١٩١١ خلفا للسير الدون جورست المعتمد البريطانى قد رأى ان يحكم البلاد بيد من حديد وان يلقى بقائد الحركة الوطنية الى السجن مرات ومرات ليتخلص منه . وأثر محمد فريد فى مارس ١٩١٢ ان يغادر البلاد لمواصلة كفاحه فى أوروبا ، وقد تأثرت الحركة الوطنية من هجرته على النحو الذى فصلناه فى كتابنا عن محمد فريد ، فتوقف الى حد كبير انشاء النقابات والجمعيات التعاونية ومدارس الشعب ، وأصبحت حركة الانبعاث القومى الثورى التى كادت تشمل البلاد جميعها ابتداء من عام ١٩١١ بالانكماش والضعف ، حتى قيادة الحركة الوطنية الممثلة فى اللجنة الادارية للحزب الوطنى قد أصابها الانقسام ولم تعد قادرة على الاجتماع لبحث أخطر الامور التى مرت بالبلاد . وبلغ الأمر باللجنة الادارية ان أصبح بعض افرادها يؤيد الاتفاق مع الخديو والبعض الآخر يعارض هذا الاتفاق .

ثم كان ان اجتمعت اللجنة الادارية فى سبتمبر ١٩١٢ لبحث موضوع مقالات كان محمد فريد قد نشرها فى صحيفتى « لى سيكل » و « لأكسيون » الفرنسيتين تتضمن طعنا فى الخديو عباس حلمى الثانى وتكشف اتفاقا سريا تم بينه وبين انجلترا تتولى بريطانيا بمقتضاه حماية مصر وفصلها عن الدولة العلية مقابل تنصيب الخديو خليفة للمسلمين وقد بلغ على فهمى كامل بصفته وكيلا للحزب الوطنى محمد فريد بوصفه رئيسا للحزب بخطاب مؤرخ فى ١٣ سبتمبر ١٩١٢ يسأله فيه طبقا لقرار اللجنة - « عما اذا كانت هذه المقالات بقلمه ام لا » ويخبره بان

اللجنة قد حددت له ثلاثة أسابيع للدفاع فيها عن نفسه طبقا للقانون الاساسى للحزب والا فانها تعتبر عدم رده امتناعا عن الاجابة » وقد احدث هذا القرار من اللجنة الادارية ثورة داخل اللجنة ذاتها وداخل الحزب أيضا .

اما داخل اللجنة فقد رأى المسالمون للخديو نشر قرار استنكار اللجنة للمقالات فى الصحف فلما لم ينشر هذا القرار استقالوا ومن بينهم على المنزلاوى ومحمود فهمى سكرتير الحزب . وفى داخل اللجنة الادارية أيضا هدد الممثلون لمحمد فريد بالاستقالة اذا نشر أى شئ يتعلق باستنكار اللجنة لهذه المقالات موضع التحقيق .

وفى داخل الحزب رأت الغالبية أن مجرد اثارة هذا الموضوع والحديث عن التحقيق مع محمد فريد رئيس الحزب الذى انتخبته الجمعية العمومية للحزب للرئاسة مدى الحياة ، يعد عملا غير قانونى وغير أخلاقى فى الوقت نفسه وقد رد محمد فريد على خطيباب على فهمى كامل بالاستقالة من الحزب « مراعاة لصالح الحركة الوطنية أقدم هذه الاستقالة من رئاسة الحزب وعضوية اللجنة الادارية راجيا عرضها على الجمعية العمومية المختصة دون غيرها فى قبولها ، مع التأكيد بأنى باق على مبادئ الحزب العشرة خادما لها وللوطن المحبوب الى آخر نسمة من حياتى التى وقفتها على خدمة الوطن وأهله » وبالطبع لم يجرؤ على فهمى كامل ولا اللجنة الادارية على دعوة الجمعية العمومية للاجتماع لبحث استقالة محمد فريد لأن الجميع يعلمون أن الجمعية العمومية لا يمكن أن تقبل استقالة محمد فريد وهى التى

اختارته - منذ فترة قصيرة - رئيسا للحزب مدى الحياة .  
 وإذا كان خطاب التحقيق مع محمد فريد الذى وقع ،  
 على فهمى كامل يحمل تاريخ ١٣ سبتمبر ١٩١٢ فان  
 استقالة أمين الرافعى من رئاسة تحرير « العلم » لسان  
 حال الحزب الوطنى كانت بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩١٢ :  
 لقد فوجئ الراى العام بالعلم ينشر فى صفحته الاولى  
 مقالا يحمل عنوانه : « لماذا استقلت من تحرير العلم ؟ »  
 ويقول الرافعى فى مقاله انه قدم الاستقالة وكان  
 يرغب فى الا يكتب بشأنها كلمة ما ، ولكنه وجد نفسه  
 مدفوعا الى بيان اسباب الاستقالة لفرضين : اولا : دفع  
 ما علق بالاذهان مما لا يتفق وحقيقة الواقع . وثانيا  
 تقرير مبدا من مبادئ مصطفى كامل يريد فريق من  
 اللجنة الادارية للحزب الوطنى بعد ان استقال اكثر  
 اعضائها ان يحيد عنه لغرض سبب معقول . ورد الرافعى  
 على ما ذهب اليه البعض من انه لم يقدم على الاستقالة  
 الا تخلصا من الظروف الحاضرة . فقال : انى لا قول  
 لأصحاب هذا الراى انه لو كان لمثل هذا الدافع سبيل  
 على لآثرت البقاء فى سويسرا حينما حمل الى البرق  
 نبأ اشاعة النفى المعروفة ، وأظن أن هذه الكلمة كافية لدفع  
 تلك التهمة عنى وقد ذهب فريق آخر الى اننى ابنت أن  
 اذعن لقرار اللجنة الادارية الذى يقضى بايجاد رقابة على  
 تحرير العلم وهذا ظن لا محل له لأن الذى يطلب صباح  
 مساء أن يكون على الحكومة رقابة من الأمة لا يأتى وجود  
 رقابة على تحرير « العلم » من اللجنة التى تعبر عن لسان  
 الحزب ، فليست الجرائد التى تصدرها الآن ملكا لفرد تسير  
 حسب أغراضه وإنما هى لسان حال جماعة أو هيئة أو  
 حزب فلا يمكن أن تؤدى وظيفتها حق الاداء اذا لم تكن

عليها رقابة من الهيئة التى تعبر عن ميولها . ولا جرم  
انها اذا استبد بها فرد أو بضعة افراد فقدت مركزها  
الذى حصلت عليه بسبب تعبيرها عن افكار مجموع  
لا افكار فرد واحد »

ثم يقول الرافعى « اما السبب الحقيقى لاستقالتي  
فهو ما رأيته من انى سأكون فى يوم ما على خلاف مع  
بعض أعضاء اللجنة الادارية الذين يسرون شئون الحزب  
الآن ، بعد أن علمت من أمر نزعتهم التى ترمى الى الحيدة  
عن مبدأ من أهم مبادئ مصطفى كامل وهو أن يكون  
للحزب الوطنى وجود ذاتى مستقل واذا كنت امقت كل  
شقاق داخلى فقد آثرت التنحى عن تحرير العلم قبل  
أن يحدث ذلك الاحتكاك المسبب للخلاف »

وفى اليوم التالى - ١٧ سبتمبر - ننشر « العلم » على  
فهى كامل وكيل الحزب الوطنى كلمة تحت عنوان : « لماذا  
استقال أمين الرافعى » يقول فيها : ما كان بودى أن أكتب  
كلمة واحدة فى هذا الشأن لولا أن المستقبل عزيز  
علينا .

انى ارى خطأ بينا فى الخطة التى اتبعها أمين أفندى  
لسببين : الاول : انه استقال فى هذه الظروف التى  
ارى الوطنية المصرية فيها احوج اليه منها فى غيرها .  
الثانى : انه بنى الاستقالة على سبب لا يصح ان تبني  
عليه ، لأن القلب الوطنى الكبير لا يتخلى عن العمل لوجود  
فرد أو افراد يتصلون عن مبدأ من مبادئ الحزب  
بل على العكس يتمسك بعمله أكثر من قبل ليحارب  
هؤلاء الخارجين ان كان ثم حقيقة خارجون ، لذلك الح  
على حضرة أمين أفندى الرافعى باسم الوطن والوطنية  
أن يسترد استقالته هذه وأن يقدم شكواه بالوسائل

المشروعة فى قانون الحزب ضد من يتهمهم بادخال الحزب  
فى احضان اية سلطة من السلطات والله الهادى الى اقوم  
سبيل »

وفى نفس العدد الذى نشرت فيه كلمة على فهمى كتب  
امين الرافعى مقالة تحت عنوان « رد على رد » رد فيها  
على ما كتبه على فهمى كامل معلنا تمسكه باستقالته .

ويبقى الرافعى بعيدا عن العمل الصحفى لفترة قصيرة  
وفى ديسمبر ١٩١١ تصدر الحكومة قرارا بتعطيل جريدة  
« العلم » ثلاثة أشهر بحجة سلوك العلم مسلك الطعن فى  
الحكومة مما يحمل الناس على كراهيتها وذلك لنشره مقالا  
بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩١١ فيه انتقاد للاحتلال والحكومة .  
وأصدر الرافعى صحيفة الشعب وأصبح رئيسا لتحريرها  
وأصبح « الشعب » بعد فترة لسان حال الشعب ونال  
« الشعب » المكانة التى كانت للواء أيام مصطفى كامل  
وظل امين الرافعى يصدر الشعب الى أن أغلقها فى ٢٨  
نوفمبر ١٩١٤ : ويمكننا أن نلخص عمل امين الرافعى  
فى تلك الفترة من حياته بعد أن نخرج من مدرسة  
الحقوق فى صيف عام ١٩٠٩ الى نوفمبر ١٩١٤ عندما  
أغلق بمحض ارادته صحيفة الشعب فيما يلى :

\* كان الرافعى يناقش أحداث العام الذى مضى :  
اما فى أخريات أيام ذلك العام ، واما فى الايام الاولى  
من العام الجديد . وكانت مناقشاته تتسم بالصراحة  
يقول ما للأمة وما عليها فيما مر بها من أحداث ، وكان  
ينتهز كل فرصة للاشادة بجهود العاملين من أبناء  
الشعب ويحمل بكل ما يملك من قوة على خصوم  
الشعب .

\* ونما تعود الراقى مناقشة أحداث كل العام بصراحة وجراة ، تعود كذلك مناقشة تقارير المعتمد البريطانى فى مصر التى كانت تصدر عادة فى منتصف كل عام وتحتوى من وجهة النظر الاستعمارية ابرز معالم أحداث العام وكان « أمين » من أجرا من تناول هذه التقارير وقد رد على من تساءلوا فى ٣٠ مايو ١٩١٣ « عن فائدة الكتابة فى هذا الموضوع والمعتمد البريطانى سىظل نافذ الكلمة فقال : « ان الكتاب الذين يتوخون فى كتابتهم تجنب كل ما يمس الاجنبى عن البلاد ابتفاء ان يكسبوا رضاه ويحملوا الامة على الركود اليه انما هم جناة»

\* ولم يكن الراقى يترك مناسبة من المناسبات الوطنية ( مثل ١١ يوليو تاريخ ضرب الاسكندرية ) ، ( ١٤ سبتمبر دخول القوات البريطانية القاهرة ) الا استغلها لتعبئة الشعور الوطنى وقد طالب فى ١٤ سبتمبر ١٩٠٩ تحت عنوان : « الحداد الحداد .. ايتها الامة » باعلان الحداد فى هذا اليوم الذى وطئت فيه جنود الاحتلال ارض هذا البلد فكان آخر عهدنا بالاستقلال » وعندما استجاب الشعب الى دعوته وخرجت الصحف مجللة بالسواد كتب فى ١٤ سبتمبر يطلب من الامة الا تنسى هذا اليوم . ويقول : اذكروه ولا تنسكم الايام ما حل بكم فيه «

\* اهتم الراقى اهتماما خاصا بانتخابات الجمعية التشريعية بالرغم من مقاطعة الوطنيين لها وكان من رايه تشجيع العناصر الطيبة مهما تكن الاحزاب التى ينتمون اليها ، وقد عارض فى ١٦ سبتمبر ١٩١٣ اشتراط الثروة فى المرشحين وقال ان هذه الشروط من بقايا الانظمة القديمة التى تفشت فى القرن الثامن

عشر لأنهم يعتقدون أن صاحب الأطيان والعقار هو الذي يحرص على مصلحة بلاده وهذا اعتقاد خاطيء لا يمكن أن يقام له وزن بعد أن تغلبت نظرية حكم الشعب على غيرها من النظريات وحتى أصبحت هذه النظرية أساسا للنظم الدستورية المتبعة في كثير من البلاد « ونادى في ٢٦ سبتمبر ١٩١٣ بأنه لابد من وزارة مسئولة أمام مجلس نيابى صحيح وبعبارة صريحة واضحة نريد انتقال السلطة الفردية الى الأمة لا الى غيرها نفاذا لتعاليم ديننا وعملا بمبادئ المدنية الحاضرة لأن الأمة مصدر كل حق وكل قوة ، وطالب بإنشاء حزب للمعارضة داخل الجمعية التشريعية كما طالب بحرية الانتخابات ، ووقف الرافعى الى جانب سعد زغلول فى الانتخابات كما وقف الى جانبه فى أزمة من يرأس الجمعية التشريعية عند غياب الرئيس ؟ هل هو الوكيل المعين أم هو الوكيل المنتخب ؟ وكان سعد زغلول هو الوكيل المنتخب وكانت الحكومة تريد الوكيل المعين عدلى يكن باشا .

\* ولم يكن الرافعى يهتم فقط بالمسائل السياسية بل كان يهتم أيضا بالمسائل الاجتماعية وكان يهتم بمشاكل التعليم ويكتب كثيرا عن مسائل الطلبة ومرة فى ٢٥ أكتوبر ١٩٠٩ كتب مقالا تحت عنوان « بنك الكسبان الأحمر » ، تعليقا على خطابات أرسلتها ناظرة مدرسة السنية الى اولياء أمور الطالبات لشراء « الماريل » من محل معين صاحبه انجليزى وكان مما قاله : انه لا يجوز لحضرة الناظرة أن تعلن عن محل تجارى مهما كانت جنسية صاحبه ، بارغام تلميذاتها على شراء ملابسهن منه فان فى ذلك تصفلا معنى له «

\* كان الرافعى من خيرة المعلقين العسكريين الذين

ظهروا فى الصحافة المصرية فى العشرينات فكان يحرر مقالاته عن المعارك الحربية ، سواء فى حروب البلقان أو فى بداية الحرب العالمية الاولى فى صورة مستحدثة مدعمة بالوثائق والخرائط ، وآراء الخبراء الفنيين العسكريين فى المعارك السابقة الامر الذى جعل الراى العام يهتم اهتماما خاصا بهذه المقالات ويعجب اعجابا شديدا بسداد رايه واتقانه الفن العسكرى والمران الفنى فيه حتى ذاع صيته واكتملت شهرته كما يقول رفيقه أحمد وفيق فازداد اقبال الجمهور على جريدة الشعب اقبالا عظيما لانه - كما يقول صادق عنبر - كان يرى فيها الحقائق التى كانت تحجبها البلاغات الرسمية وازداد عجب الراى العام بلباقته وشجاعته وسداد رايه . وقد جمع أمين الرافعى مقالاته عن الحرب فى ثمانية كراسات اعتقد أنها ضرورية لكل من يؤرخ « الحرب العالمية الأولى » وكانت الصحف المعادية للحركة الوطنية تحمل عليه بسبب مقالاته عن الحرب وقد رد فى ١٩ أكتوبر ١٩١٤ على « المؤيد » و « الاجبشيان جازيت » قائلا ان ما نكتبه عن الحرب لا يمليه علينا تحيز ولا ميل لفريق دون آخر ، وانما يمليه علينا نظرنا الى الامور نظرا مستقلا ، وكثيرا ما تتفق كتاباتنا وكتابات غيرنا الذين تروق خطتهم منتقدينا وانما الفارق هو ان خصومنا ينظرون الينا بمنظار اسود ونحن على ثقة بانهم لو نظروا الينا بالعين المجردة من كل ما يثير الوهم الكاذب لاراحونا معهم ولعلمهم فاعلون بعد اليوم ؟

وكان آخر مقال للرافعى فى « الشعب » ما كتبه بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩١٤ تحت عنوان « الحرب فى الميدان الشرقى ، وفى الميدان الغربى . وفى « البلقان وكان



هذا المقال كغيره من مقالات الرافعى عن الحرب تفتيشة  
كاملة وشرحا مستفيضا للحرب على جميع الجبهات  
ويصدر الشعب فى يوم ٢٧ نوفمبر ثم يختفى فى ٢٨  
نوفمبر ١٩١٤ بعد أن قرر الرافعى اغلاقه حتى لا ينشر  
خبر اعلان الحماية البريطانية على مصر وكان العدد الأخير  
من الشعب يحمل رقم ٨٥٤ .

## الرافعى فى السجن

كان الرافعى فى شهر مايو ١٩١٤ يستشفى كعادته من كل عام فى بعض المدن الأوروبية وفوجيء باقتراب السنة الذهب من مستودع البترول الذى كانت ترقص فوقه أوروبا وعندما أطلق الشاب الصربى برنسيب رصاصاته من قلب مدينة سراييفو ، الى قلب الأرشيدوق فرانسوا فرديناند ولى عهد النمسا فى ٢٨ يونيو ١٩١٤ أيقن الرافعى ، انها الحرب وأعلنت النمسا الحرب ضد الصرب وهبت روسيا لنجدة الصرب ، وانتصرت المانيا لحليفها النمسا ، ووقفت فرنسا وانجلترا الى جانب روسيا ، وكان من المؤكد ألا يعود الرافعى الى مصر فما بينه وبين الاحتلال البريطانى من الخصومة والعداء يعنى أنه سيصبح عند عودته نزيل السجون والعتقالات ، ولكن الرافعى أصر على العودة الى بلاده فما يليق فى رايه بالجندى أن يبتعد عن الميدان وقت اشتداد المعارك وعاد الرافعى فى ١٢ اغسطس ١٩١٤ ليستأنف جهاده فى صحيفة « الشعب » ورات بريطانيا أن الحرب لابد منتهية الى تحقيق حلمها القديم فى ضم مصر الى ممتلكاتها ، وقررت أن تمهد لذلك « الضم » باعلان الأحكام العرفية وتعطيل جلسات الجمعية التشريعية . وقد انتقد الرافعى اعلان الأحكام العرفية لأن مصر

ليست مشتركة في هذه الحرب ، وانتقد تعطيل جلسات المجلس النيابي لأن الدول التي تحارب لم تعطل مجالسها النيابية ، إذ أن عمل المجالس النيابية في وقت الحرب أهم منه في وقت السلم . واستدعى الرافعي بعد أيام من إعلان الأحكام العرفية لمقابلة المستشار الداخلي للمعتمد البريطاني في مصر ، وتحدث المستشار طويلا عن ظروف الحرب وضرورة إعلان الحماية البريطانية على مصر كإجراء وقائي وهدد الرافعي برأسه ورعوس زملائه إذا هو انتقد ما سيحدث في مصر من انقلاب يتم في أثره إعلان الحماية كما هدد برأسه ، ورعوس زملائه إذا حدث في البلاد أي حادث يشتم منه الثورة على الاحتلال البريطاني. وقال المستشار البريطاني في لين ونعومة : أما إذا رضخت لما سيحدث وعملت على تدعيمه فلك عندنا الخطوة ولك منا ضمان المستقبل . وثار أمين الرافعي ثورة عنيفة على المستشار البريطاني مؤكدا له ، أنه سيعارض أي إجراء يحدث في البلاد على قدر استطاعته . وأكد أمين الرافعي للمستشار البريطاني في كبرياء وثقة ، أنه لا يمكن أن يكون أداة خيانة لبلده ، وكانت مصر - أسما - في بداية الحرب على الحياد ، إلى أن دخلت بريطانيا الحرب ضد ألمانيا فبدأت حكومة مصر ، في ٥ أغسطس ١٩١٤ تنحاز أسما وفعلا ، وعندما دخلت تركيا الحرب ضد روسيا حليفة إنجلترا ، في أول نوفمبر سنة ١٩١٤ أعلن مكسويل قائد الجيوش البريطانية في مصر الأحكام العرفية في ٢ نوفمبر ووضع الرقابة على الصحف كما أذاع في ٥ نوفمبر بيانا قال فيه أن بريطانيا تحارب لفرضين هما الدفاع عن حقوق مصر وحريتها التي كبتها

محمد على فى ميدان القتال واستمرار هذا القطر على التمتع باليسر والرخاء اللذين تمتع بهما مدة الاحتلال البريطانى فى ثلاثين سنة . ولعلم بريطانيا بما للسلطان بصفته الدينية من الاحترام والاعتبار عند مسلمى القطر المصرى فقد اخذت بريطانيا على عاتقها جميع اعباء هذه الحرب دون أن تطلب من الشعب المصرى اية مساعدة ، لكنها مقابل ذلك تنتظر من الأهالى وتطلب اليهم الامتناع عن أى عمل من شأنه عرقلة حركات جيوشها الحربية أو أداء أى مساعدة لأعدائها » .

وكان واضحا منذ ذلك الوقت والخديو عباس حلمى الثانى فى تركيا انه لن يعود الى مصر ، وان أحدا من أفراد أسرته سيحل محله فى حكم البلاد . وقد نشرت صحيفة الشعب فى ١١/٦/١٩١٤ خبرا تحت عنوان : «البرنس حسين كامل » قالت فيه : حقيقة الواقع من سفر البرنس حسين كامل باشا ، بغتة بدعوة من العاصمة ووصوله إليها على قطار خاص هى ان الضرورة الهامة دعت لذلك وان دولته قابل عطوفة القائمقام الخديوى حسين رشدى باشا مقابلة طويلة وقابل أيضا جناب المستر شيتيهام وانه من الواضح أن أهمية عظمى تعلق على هذه المسألة ولكن جليلة الأمر لم تعرف لأحد مطلقا فى هذا الموضوع » .

ونشرت الشعب فيما بعد ( ١١/٢٢/١٩١٤ ) تحت عنوان مادية : اقام جناب القائد لجيش الاحتلال مادية فى منزله لدولة الأمير حسين كامل باشا وقد حضرها جناب المستر شيتيهام القائم بأعمال الوكالة البريطانية فى مصر .

وبدا واضحا ان انجلترا ستعلن الحماية على مصر ،

وانها ستمنع الخديو عباس حلمى الثانى من العودة الى مصر وانها ستعين بدلا منه الأمير حسين كامل ، وكان معروفا ان قرار اعلان الحماية البريطانية على مصر ، لابد من نشره فى الصحف عند صدوره بسبب وجود الاحكام العرفية ووجود الرقابة على الصحف . وبعد مداولة قصيرة بين أمين الرافعى وبين شقيقه عبد الرحمن الرافعى وعبد الله بك طلعت مدير جريدة الشعب ، تم الاتفاق على اغلاق الشعب وكان الغرض من ذلك الا ينشر اعلان الحماية المشؤم والبلاغات التى تستتبعها الحماية البريطانية . وكان قرار اغلاق الشعب فى وقت بلغت فيه صحيفة الشعب ذروتها فى الانتشار والرواج والمكانة الصحفية اذ كانت أوسع الجرائد انتشارا وكان الجمهور يتلقفها - كما يقول الاستاذ عبدالرحمن الرافعى- ليتعرف منها أبناء الحرب العالمية ويتحسس منها الاتجاهات الوطنية كان قرار ايقاف صدورها تضحية مالية كبيرة .

وقد وصف د . عبد العزيز رفاعى فى كتابه ثورة مصر سنة ١٩١٩ قرار أمين الرافعى بوقف اصدار جريدة الشعب بأنه أول احتجاج مصرى على الحماية البريطانية . وقد صدرت الشعب فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٤ معلنة انها ستحتجب من اليوم وانها ستعود الى الظهور بمشيئة الله .

وقد كان الرافعى ، وهو الذى كان أول صوت مصرى احتج على اعلان الحماية البريطانية ، من أوائل المعتقلين . وقد أودع فى البداية سجن الاستئناف بالقاهرة . وبروى الاستاذ عبد الرحمن الرافعى قصة هذا الاعتقال فيقول : كان اعتقالى بالمنصورة يوم ١٧ اغسطس سنة ١٩١٥ وفى نفس اليوم اعتقل لفيق من أهل المنصورة ممن عرفوا بميولهم الوطنية ورحلونا

معتقلين الى القاهرة حيث اودعونا سجن الاستئناف بباب الخلق وهناك التقيت بأخي أمين الرافعي وبفوج آخر من الوطنيين اعتقلوهم عصر يوم اعتقالنا وكان نظام الاعتقال بسجن الاستئناف أن تخصص كل غرفة من الغرف الانفرادية لاثنتين من المعتقلين وقد استقلنا موظفو السجن وعماله بالاحترام والتقدير لأنهم عرفونا وعرفوا أسباب اعتقالنا . وفي ٣٠ اغسطس جاءنا الفرج لا باطلاق سراحنا بل بنقلنا الى معتقل اعدوه لنا بدرب الجماميز في مبنى مخازن وزارة المعارف ، ذلك ان اعتقالنا في سجن اعد لاستقبال المحكوم عليهم أو المنتظر ان يحاكم عليهم في الجرائم قد قوبل بالسخط والاستنكار وسمح لنا في السجن الجديد أن نختار من الغرف الصغيرة والمتوسطة ما نشاء ، وأن يختار كل منا زملاءه فاخترت مع أخي أمين غرفة واحدة كان بابها مفتوحا في كل وقت .

وفي شهر سبتمبر سنة ١٩١٥ نقلونا الى معتقل آخر اعدوه لنا في بلدة طرة بجوار ليمان طرة المشهور ويبدو ان سبب نقلنا الى هذا المعتقل الجديد ان السلطة العسكرية رآته أبعد عن أنظار الناس وعن الزيارات العائلية من معتقل درب الجماميز وربما كان من أسباب هذا النقل ايضا ان معتقل درب الجماميز ضاق بمن فيه اذ زاد علينا بعض طلبة الحقوق الذين اتهموا بتحريض زملائهم على الاضراب يوم زيارة السلطان حسين كامل لمدرستهم .

اما احمد وفيق فيقول : علمت وأنا في طرة ان الرافعي وسائر اخواننا قد اعتقلوا في سراي درب الجماميز حيث نقلت الى هناك فوجدته وجميع الوطنيين ، الا بعض الجواسيس ، ثم نقلنا الى طرة وسط لمعان

الحراب والسيوف داخل عربات السجن ونحن نصيح :  
« لتحيا الحرية ليحيا الاستقلال » وكان الرافعى هناك خير  
معين لنا على تفهم التحركات الحربية والمعارك الدموية  
وقت فراغه من عبادة الله والخلاوة اليه ، وقد مكث  
هناك الى أن اكتمل اعتقاله احد عشر شهرا تحمل فيها  
الصبر على مرها وتجرع علقمها فى ايمان لا يتزعزع  
وعقيدة لا تتزلزل .

ومن بين مخلفات أمين الرافعى اصول بعض  
الخطابات التى أرسلها الى حكمدار القاهرة والى حسين  
رشدى باشا رئيس الوزراء ، وفى هذه الخطابات يطالب  
الرافعى بالتحقيق معه واحالته الى أى محكمة لتفصل  
فى أمره اذا كانت هناك تهمة ضده . . ويظهر ان الرافعى  
- وهذه أول مرة اعتقل فيها - كان حسن الظن بالحكام  
الى حد كبير . . لقد كان يلح باستمرار فى ان يعرف  
التهمة الموجهة اليه اذا وجدت ، ويلح فى التحقيق معه .  
ويضرب الأمثلة على ضرورة التحقيق وسهولته : « لقد  
وقعت أخيرا جريمة شنيعة هى جريمة الاعتداء على احد  
الوزراء فكانت ثمانية وعشرون يوما كافية للتحقيق فيها  
بواسطة السلطة المدنية فالسلطة العسكرية فالمحاكمة  
فالتنفيذ . فهل التحقيق - كما تساءل الرافعى فى كتاب  
منه الى حكمدار العاصمة بعد مرور شهرين على اعتقاله  
- مع البرىء يتطلب زمنا أطول من الذى تقتضيه  
محاكمة المجرم الاثيم ؟ » ويقول فى أحد خطابات الى رئيس  
مجلس الوزراء : اذا اتهم شخص بالقتل ، وهو أكبر  
الجرائم فان شهرا واحدا يكفى فى أغلب الأحوال لأن  
يسأل ويحقق معه ويحال على المحاكمة ويصدر الحكم  
بشأنه . . واما ذلك الشخص البرىء الذى ضمن له دولة

رئيس الوزراء انه لا يصيبه اذى ما دام على راس الوزارة  
والذى صرح سعادة النائب العام فى محضر التحقيق  
الرسمى انه لم يعمل عملا ما ضد الحكومة - هذا  
الشخص يترك نسيا منسيا دون ان يعرف على الاقل  
التهم الموجهة اليه . ان البرىء يعامل أبشع من معاملة  
المتهم بالقتل ، اذا كان ثمة تهمة موجهة ضدى فليحقق  
معى ولتحيلونى على اى محكمة ترونها فاذا وقع المستحيل  
واصدرت المحكمة حكمها بادانتى واعتقلت بناء على حكمها  
فانى اكون اقل الما مما انا عليه الآن وانا سجين بغير  
حكم ، ومعتقل بغير تهمة اعرفها ولمدة لا أعلمها « وقد يلام  
الرافعى على اسرافه فى المطالبة بالافراج وفى ثقته فى  
عدالة الحكومة المتواطئة مع الاحتلال . ذلك الاحتلال  
الذى كان الرافعى أول من احتج عليه واغلق صحيفته  
حتى لا ينشر قراره باعلان حمايته على مصر . ولكن يظهر  
من خلال خطابات الرافعى الى رشدى باشا وحكمदार  
العاصمة ان المعتقلين كانوا يعاملون أسوأ معاملة ، فالحياد  
فى نظرهم أصبحت لا تطاق بأى حال ، فالجو ردىء  
والرياح تحمل اليهم من الأتربة ما يتلف العيون ، والماء  
لا يصلح لشيء من ضرورات الحياة ، والروائح الكريهة  
تنبعث من المراحيض الموضوعة على طريقة تخالف القواعد  
الصحية ، وفوق هذا فان الليل لا يكاد يرخى سدوله  
حتى يصبحوا فى ظلام حالك فاذا ارادوا مغادرة الخيمة  
الى الخارج او الى خيمة اخرى عثرت اقدامهم فى  
حبالها او اوتادها . وقصارى القول ان صحتهم أصبحت  
مهددة بخطر كبير اذا طال اعتقالهم فى طرة اكثر مما فات .

وبعد ان بقى الرافعى وشقيقه عبد الرحمن فى طرة  
الى فبراير ١٩١٦ نقلا الى معتقل آخر بالجيزة فى مبنى



سجن قديم مهجور كان يعرف بالسجن الاسود .

ويقول عبد الرحمن الرافعي انهم مكثوا في هذا السجن الى ان افرج عنهم يوم ١٧ يونية سنة ١٩١٦ « اى مكثنا معتقلين عشرة اشهر وكان الافراج عنى مع اخى امين بك وعبد الله بك طلعت في يوم واحد . وقد ذهبوا بنا نحن الثلاثة الى الاسكندرية حيث عدوا لنا عدة زيارات اقترنت باطلاق سراحنا فقابلنا حسين رشدى باشا رئيس الوزارة فى منزله بالرمل بمحطة كارلتون ( محطة رشدى باشا ) ثم ذهبنا الى سراى راس التين ، حيث قابلنا المغفور له السلطان حسين وقد استقبلنا بعطف وحفاوة والتفت فى ختام حديثه معنا الى اخى امين وقال له : طلع الغازيتة با امين بك « ووعده بالمساعدة المالية لاصدار الغازيتة ( الغازيتة يعنى الصحيفة ) على ان امينا رحمه الله لم يفكر فى اعادة صحيفة الشعب طيلة مدة الحرب » .

وبعد خروج امين من الاعتقال اشتغل عاما بالمحاماة ، ولكنه وجد نفسه بحاجة ماسة الى الراحة من الالم الاعتقال . وفى فترة الحرب بذلت محاولات عديدة معه لاصدار صحيفة الشعب من جديد فلما رفض رفضا باتا ، بذلت محاولات عديدة مع عبد الله بك طلعت ، أحد اصحاب الامتياز ونشرت الأهرام كنوع من الضغط - فى ٢٠ يوليو ١٩١٨ - تحت عنوان : طلب تجديد الشعب « اتصل بنا أن عبد الله بك والذين كانوا يصدرون معه جريدة الشعب المعروفة التمسوا مند يومين من وزارة الداخلية ان تأذن لهم فى تجديد نشر الشعب » . وفى ٢١ يوليو نشرت الأهرام « أبلغنا حضرة الكاتب الفاضل امين بك الرافعي انه لا ينوى العودة الى الاشتغال

بالصحافة . وانه عازم على الانقطاع الى المحاماة فنتمنى  
لحضرتة النجاح » . وفى ٢٢ يوليو نشرت الاهرام -  
ولكن على لسان عبد الله بك طلعت - انه لم يقدم  
طلبا الى وزارة الداخلية ولكن صاحب امتيازها محمود  
عثمان افندى هو الذى قدم ذلك الطلب وحده منفردا .  
وعاد الاهرام الى الموضوع بعد ذلك فنشر بيانا لمحمود  
افندى عثمان يكذب فيه ما قاله عبد الله طلعت من انه  
طلب الى الداخلية الاذن له باصدار الشعب . . واكد  
انه ليس له حق طلب تجديد نشر الشعب اذ لا علاقة له  
به كما بذلت محاولات عديدة لاجراء امين الرافعى من  
مصر لاصدار الشعب فى الخارج . وقد جاء الحديث عن  
هذه المحاولة فى المذكرات الخطية للزعيم الوطنى محمد  
فريد .

على ان الرافعى ، وان انقطع عن العمل بالصحافة تماما  
ولم يعد يعمل بالمحاماة بعد الافراج عنه قليلا او كثيرا ،  
الا انه شغل وقته بالدراسة والبحث ، وكتابة بعض  
المذكرات السياسية التى تهم الراى العام فى مصر كما  
تهم الراى العام فى الخارج ، اذ كان الرافعى على ثقة  
تامة بان الحرب العالمية الاولى لن تطول أكثر مما طالت  
وان الألمان وحلفاءهم قد انهكهم الحرب ولا بد لهم من  
الاستسلام ، ولهذا فقد أنفق الرافعى ، كل وقته وجهده  
لوضع مذكرات مستفيضة عن القضية المصرية تصلح لما  
بعد الحرب ، ولم يكتف الرافعى بكتابة هذه المذكرات  
باللغة العربية بل ترجمها الى اللغة الفرنسية واعدها حتى  
قبل أن تعلن الهدنة كما اشترك الرافعى فى عدد من  
الاجتماعات السياسية التى تمت فى صيف عام ١٩١٨ ،  
والتي كانت تبحث مصير مصر بعد الحرب العالمية الاولى .

## من جنود ثورة ١٩١٩

لى راي خاص - قد لا يوافقنى عليه كثيرون - هو ان ثورة ١٩١٩ تأخرت فى الحقيقة عن موعدها تسع سنوات . وان الشعب المصرى بمنظوماته السرية والعلنية كان قد بدأ يستعد للثورة المسلحة وان بوادر هذا ظهرت فى أعمال الفدائيين المصريين ، ولكن الثورة تأخرت مرتين : مرة بسبب نفى محمد فريد من مصر وانشقاق القيادة عقب سفره ، ومرة ثانية بقيام الحرب العالمية الأولى . يؤكد هذا ان مقاومة الاحتلال البريطانى لم تتوقف خلال ايام الحرب رغم اعتقال القيادات الوطنية ورغم اتخاذ أعنف الاجراءات الاستبدادية من قبل سلطات الاحتلال . لقد عبر الشعب المصرى فى أكثر من مكان وفى أكثر من موقعة عن غضبه لاعلان الحماية على مصر ولتعيين حسين كامل سلطانا ، فمن مظاهرات شعبية عارمة استولى فيها المتظاهرون على بعض الخباز ومحال البقالة واتجه فيها بعضهم - وكانوا من الطوائف الذين جمعتهم سلطات الاحتلال قهرا وظلما - الى سراى عابدين واصيب عدد كبير منهم بجروح بالغة ومن نفى لبعض القيادات النسائية كنعمت هانم حرم حجازى بك وحرم عبد الباقي الصمدى لانتقادهم المستمر لسلطات الاحتلال ومن انطلق العديد من الجمعيات السرية ومحاولات التخلص من السلطان

حسين ومن بعض وزرائه الذين ملأوا المحتل الفاصب ، وغير ذلك من مظاهر الغضب الشعبى الذى انفجر غداة اعلان الهدنة فى ١١ نوفمبر ١٩١٩ . لقد ذهب ثلاثة من زعماء البلاد هم سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى - فى ١٣ نوفمبر ١٩١٩ - للمعتمد البريطانى فى مصر سير ونجت للحديث معه فى مطالب البلاد ، اما امين الرافعى فقد لجأ للتعبير عن رأيه حيال الاحتلال البريطانى الى طريقة أخرى غير طريقة مقابلة المعتمد البريطانى . لقد أعد فى منتصف نوفمبر ١٩١٩ مذكره سياسية عن القضية المصرية طبعها بعد ترجمتها الى اللغة الفرنسية وأرسلها الى معتمدى الدول الأجنبية فى مصر لابلغها الى رؤساء دولهم وللرئيس الأمريكى ويلسون وغيره من رؤساء الدول المشتركة فى مؤتمر الصلح ، ونشر الرافعى هذه المذكرة باللغة العربية فى مصر وحرص على ان تكون بين أيدي المشتغلين بالقضية الوطنيه والشباب باعتبارها مرجعاً هاماً من مراجع القضية المصرية ، وهذه المذكرة كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى أول مذكورة سياسية وضعت بشأن القضية المصرية عقب الهدنة وكانت من الوثائق الهامة التى وجهت الانظار فى ذلك الحين الى التمسك بالاهداف الوطنية وكان لها تأثيرها فى تنوير الأذهان وتبصير الراى العام بحقائق قضية البلاد » .

وليس هنا - فى راى - مجال الحديث عن ثورة ١٩١٩ . وكل ما نستطيع قوله ان الهدنة قد أعلنت وكل قيادات الحركة الوطنية التى حمل لواءها مصطفى كامل ومحمد فريد اما فى السجون او فى المعتقلات او فى المنفى . وقد كان غياب محمد فريد عن مصر اثناء اعلان

الهدنة ، سببا في ظهور قيادات جديدة غريبة عن مجال النضال القومي ، كرجال حزب الأمة ، الذين كانوا ينعمون طوال مدة الحرب ، بصداقة المحتل البريطاني ، وبعض العناصر ، التي ظهرت في الجمعية التشريعية الذين راوا أن العناصر التي ظهرت في الجمعية التشريعية أن الفرصة مواتية لامتناء موجة الفضب الشعبي ، وقد سهل لهم هذه المهمة الجديدة اختفاء القيادات الوطنية كما سبق أن قلنا وظهور خلافات واختلافات حادة وعنيفة بين من بقى من قيادات الحزب الوطنى ذاتها ووجود جناح يؤيد الوفد المصرى فى بداية تشكيله يرأسه أمين الرافعى وعبد الرحمن الرافعى ، ووجود جناح آخر يعارض زعامة سعد ورغم كونه هو الجناح الأقوى إلا أنه لم يستطع الوقوف أمام القوة الجديدة التى تمثلت فى سعد زغلول .

وكسب الوفد معركته الأولى ضد الحزب الوطنى او ضد فلوله كما كان يسميهم أنصار سعد ، وضم الوفد - الى عضويته - من تلقاء نفسه ودون استشارة احد من أعضاء الحزب الوطنى مصطفى النحاس وحافظ عفيفى باعتبارهما يمثلان مبادئ الحزب الوطنى وكان رأى أمين الرافعى فى هذه الفترة أن يفسح المجال أمام كل من يريد خدمة بلاده وأن تعقد الوية الزعامة لمن شاء العمل باخلاص ، وكان سعد زغلول يعرف حق المعرفة ان شخصية أمين الرافعى من وجهة النظر الشعبية اهم وأضخم من كثير من الشخصيات التى اختيرت لعضوية الوفد ، رغم كل ذلك لم يضم سعد زغلول «أمين الرافعى» لعضوية الوفد اذ كان سعد يعرف أمينا حق المعرفة ويعرف عنفه وثوريته وقوة تمسكه بالمبدأ الوطنى لذلك

رفض ان يضمه الى عضوية الوفد حتى لا يكون ثمة انشقاق خطير فى الوفد بين القوى الثورية والقوى المعتدلة فليس الخطر على القيادة الجديدة فى انقسامها الى معتدلين ومعتدلين وانما الخطر كل الخطر انقسامها الى معتدلين وثوريين ويبدأ الوفد عمله بارسال المذكرات .

وفى ٩ مارس ١٩١٩ انفجرت براكين الثورة .. لم يفجرها الوفد ، لم تفجرها سراى عابدين .. لم يفجرها المعتدلون او المتطرفون من القيادة وانما فجرها الشعب من تلقاء نفسه وكان هو القائد وكان هو المعلم وكان هو المنظم فى الوقت نفسه ، لم تكن ثورة برجوازية ولا ثوره للمنتفعين ولا ثورة للمعتدلين وانما كانت ثورة الشعب كله وعندما نفي سعد زغلول ورفاقه كانت اللجنة المركزية للوفد بالقاهرة وكان أمين الرافعى سكرتيرها المساعد محور النشاط الثورى .

ويقول الأستاذ صادق عنبر عن دور أمين الرافعى فى هذه اللجنة : « بقى امين يدير دفة الحركة الوطنية فى لجنة الوفد المركزية التى كان روحها وقوامها فكان يحزر قراراتها ونداءاتها ويدير حركاتها لمصلحة القضية الوطنية باخلاص ونزاهة وهو الذى كتب المقالات الشهيرة « الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا » باسم أحد اعضاء الوفد سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٠ فأحدثت تأثيرا كبيرا فى الراى العام ، وهو أول من دعا الى مقاطعة لجنة ملتر فى أنحاء القطر المصرى ووافقه الوفد على فكرته فكانت هذه الحركة موضع اعجاب العالم بما اظهرته الامة من الاتحاد وتماسك الصفوف وصدق النظر ، واستأنف جهاده فى الصحافة باصدار جريدة الأخبار فنالت من

المكانة لدى الجمهور ما كان للشعب والعلم واللواء من قبل .

ويقول الأستاذ أحمد وفيق : ما كان أمين الرافعي في أثناء وجود الوفد في الخارج الا محور اللجنة المركزية ومديرا لدفتها وقائدها الأعلى الى الامام، ودائما الى الامام في سبيل التمسك بالحق الكامل لمصر . وهذا محضر من محاضر جلسات اللجنة المركزي للوفد . هي جلسة ٢٥ أغسطس ١٩١٩ :

« افتتحت الجلسة الساعة السادسة تحت رئاسة صاحب السعادة محمود سليمان باشا وعضوية اصحاب السعادة والعزة ابراهيم سمعيد باشا وفتح الله بركات باشا وحسين بك هلال وراغب بك عطية وكامل بك بطرس ومرقص بك حنا وعلى بك المنزلاوى واحمد بك الشيخ وعلوى بك الجزائر ومحمد عز العرب وعلى بك محمود وحسين بك عبد الغفار وسالم بك السيد وصاروفيم بك مينا وعلى بك اسماعيل والسيد حسين القصبي وتوفيق بك دوس وعبد الرحمن بك فهمى وأمين الرافعي فحلف اليمين الاعضاء الذين لم يسبق لهم حضور الجلسات ثم حضر حضرة محبوب بك ثابت ، وبعد المناقشة في مسألة الاكتتاب تقرر انتداب لجنة من حضرات محبوب بك ثابت وحسن بك هلال لوضع تقرير عن ذلك . ثم عرض على اللجنة بعد ذلك نتيجة المفاوضات التى دارت بينها وبين اسماعيل صدقى باشا ومحمود بك أبو النصر العضوين المنفصلين عن الوفد فى جلسات سابقة وهذه النتيجة تنحصر فى أن هذين العضوين المنفصلين عرضا على اللجنة أن تتوسط لدى الوفد ليعبد النظر فى قرار فصلهما بناء على كتاب يعترفان فيه باحترامهما لمبدأ الوفد

وخطته وقراراته وقد ادخلت اللجنة ماراته من التعديلات على هذا الكتاب قبلا ذلك وأصبح الجواب بالنص الوارد في آخر المحضر وقد تلى على الأعضاء « . والذي يقرأ جلسات محاضر اللجنة المركزية يلاحظ ورود اسم أمين الرافعي في آخر الأسماء وذلك لأنه كان يتولى سكرتارية الجلسات وكتابة المحاضر والبيانات . ويذكر الصحفيون الأجانب الذين زاروا مصر في بداية ثورة ١٩١٩ أنهم كانوا يلقون كل معاونة من أمين الرافعي بوصفه سكرتيرا مساعدا للجنة الوفد المركزية ويذكر مستر لاري ود بالذات وهو أحد المراسلين الأمريكيين ضمن ما يذكره الكثير عن معاونة أمين الرافعي للصحفيين الأجانب وكيف أنه قدم اليه عددا من الأسئلة الهامة ليجيب عنها بصراحة تامة وقد تم نشر الأسئلة والاجوبة في صحيفة شيكاغو تريبيون الأمريكية .

ويصدر أمين الرافعي جريدة الأخبار لتسكون لسان صدق للحركة الوطنية . . . يصدر الأخبار لتكون صحيفة الحق والمسئولية .



## صحيفة الحق والمسئولية

حمل صباح اليوم الثانى والعشرين من شهر فبراير ١٩٢٠ الى قراء اللغة العربية فى مصر والعالم العربى اول عدد من صحيفة « الأخبار » التى اصدرتها شركة الصحافة الوطنية وهى شركة توصية بالاسهم رأس مالها عشرة آلاف جنيه، وكان أمين الرافعى الشريك الموصى فيها وكانت الشركة برئاسة فؤاد سلطان بك وكيل بنك مصر فيما بعد . وكان قد اصدر الأخبار فى البداية الشيخ يوسف الخازن من كبار الادباء اللبنانيين ، وعندما عاد الى بلاده تنازل عن رخصة الجريدة للأستاذ عبد الحميد حمدى صاحب جريدة « السفور » الذى اصدر الأخبار فى أخريات عام ١٩١٨ بالاشتراك مع الاستاذ حسن الشيخة المدرس وقتئذ بمجلس مديرية الغربية ، ثم آل الاسم الى شركة الصحافة الوطنية . وفى اول عدد من الأخبار كتب أمين الرافعى عن احتجاج الشعب منذ خمسة اعوام كأول مظهر من مظاهر الاحتجاج الصامت على اعلان الحماية ، ثم تحدث عن قيام البلاد بالمطالبة بحق وادى النيل فى الحرية وعن استئناف جهادها الشريف .

وفي مجموعة الوثائق الخاصة بثورة سنة ١٩١٩ والتي نشرها وعلق عليها دكتور محمد أنيس اشارات عديدة الى أمين الرافعي وجريدة الأخبار : في التقرير رقم ١٠ الذي كتبه سعد زغلول من باريس بتاريخ ٧ مارس ١٩٢٠ جاء ما يلي : سررنا ان أصدر حضرة أمين بك الرافعي جريدة الاخبار التي نرجو لها التوفيق والنجاح بهمة البك الموما اليه وحسن درايته الى امل قوى في أن تؤثر هذه الجريدة في الجمهور أثرا محمودا وان يقضى بها على الأضاليل التي بثها المهوسون في العقول والاوهام التي يوسوسون بها في الصدور وان تكون خيرا للغاية الشريفة التي نسعى اليها ( ١٨ ابريل ١٩٢٠ ) ويقول سعد في خطابه الى عبد الرحمن فهمي « اذا كنت ترى في ترتيب حملة خطابية الى جانب الحملة الصحافية فانت حر في اختيار الوسائل التي تؤدي الى هذا الغرض وفي هذا المعنى تكتب بالطبع كل جريدة حسب مشربها وأرجو أن تكون جريدة الأخبار في مقدمتها وان تكون هي أول من يقود الرأي العام لأنها معتبرة جريدة الوفد المعبرة عن أفكاره وخططه وقلم محررها الفاضل أقدر الأقلام على التعبير عن هذه المقاصد فعليك أن تهز همته وأن تبلغه بأننا ننتظر من وطنيته وحسن تقديره لمنفعة القضية أن يخصص كل يوم مقالة في هذا الموضوع وليس ذلك على كفاءته بكثير » . وفي الخطاب الذي أرسله سعد زغلول الى عبد الرحمن فهمي بتاريخ ٧ مايو وردت الحاشية التالية : فرات في جريدة الاخبار حملة يدافع فيها حضرة أمين بك الرافعي بقلمه البليغ عن الوفد وأعماله ويخطيء الخارجين عليه والناقدين لخطبته فارتحت لنفاذها لأنها

منه الأولى من نوعها وأرجو أن يستمر حضرة الكاتب الموما إليه فيما ابتداه لأنه لا ينبغي أن يسكت عن هذا الموضوع ويترك القلم فيه لغيره ممن لا يعرفون الحقيقة مثله ولا يحكمون الدفاع مثل أحكامه وينبغي أن لا يتركوا الراى العام يطيش من الطائشين أو يخمد من الفاترين وأن تسلكوا آية الوسط بين السبيلين والله ولى التوفيق.

وتنشر الأخبار فى ٢٢ فبراير ١٩٢٠ برقية من سعد زغلول : « الرافعى بك مدير الأخبار بالقاهرة ان مقالانكم عن خطة الوفد تستوجب موافقتى وهى جديرة بكل أنواع المديح فأشكركم : سعد زغلول » . ويقول الرافعى معلقا : والأخبار لا يسعها الا أن تشكر للرئيس الجليل حسن ظنه بها ، وهى لم تكتب ما كتبه الا معبرة عما تعتقده متفقا كل الاتفاق مع شعور الأمة واذا كانت قد أبدت خطة الوفد الأخيرة فلا شك انها لم تفعل سوى أن وضعت نفسها موضع المترجم عن صوت الشعب » . وكانت الأخبار تصدر فى أربع صفحات خالية من الصور ومن الاعلانات الا فى حالات نادرة ، وفى الصفحتين الثالثة والرابعة كانت الصحيفة تهتم اهتماما خاصا بأخبار الوفد، وتنشرها تحت عنوان التلغرافات الخصوصية ، وكان مقال الرافعى الذى يحمل اسمه ينشر فى الصفحة الثالثة تحت عنوان الحالة السياسية اليوم ، أما المقالات الأخرى التى لم تكن تحمل اسمه فقد كانت تنشر فى أى مكان من الجريدة ، وكانت الأخبار تهتم اهتماما خاصا بأنباء البلدان العربية كما تهتم بإبراز وجهات النظر الانجليزية والأمريكية والفرنسية وغيرها نقلا عن صحف تلك البلاد . . وتصف

جريدة كوكب الشرق صحيفة الاخبار فتقول : لما تألف الوفد المصرى كان أمين الرافعى أول من بايع الزعيم الجليل وبقيت جريدة الاخبار لسان حال الوفد الشبيه بالرسمى وبلغت مقطوعة الاخبار اليومية اعظم عدد استطاعت أن تخرجه وتوزعه صحيفة فى مصر وكان مراسلو الصحف الانجليزية فى مصر يتسابقون الى ادارة الاخبار علمهم يظفرون بخبر او تعليق أو رأى من الزعيم الصحفى فى ذلك الحين يرقونه الى صحفهم .

اهتمت الاخبار بالوفد وأخباره وتتبع نشاط رئيسه وأحاديثه وركز الرافعى على أن الوفد هو الأمة ، وأن المسألة لم تعد مسألة أحزاب ، أو شيع وانما هى مسألة أمة بأسرها . كما راحت تحاسب الاحزاب المعارضة للوفد حسابا عسرا ، داعية الجميع الى الاتحاد فالسبيل الى نجاح القضية المصرية كما يقول الرافعى هو الاحتفاظ بالأمل ، الاحتفاظ بالمبادئ الوطنية . واهتمت الاخبار - أو بمعنى أدق اهتم الرافعى فى الاخبار - بلجنة ملنر ومفاوضات لجنة ملنر والمشروع الذى قدمته اللجنة ، وراحت تناقشه مناقشة موضوعية وتدعو الشعب الى ابداء رأيه فيه ثم راحت تستكتب الشخصيات البارزة كحسين رشدى وعبد الخالق ثروت وعبد الرحمن الرافعى عن آرائهم فى المشروع ، بأربع مقالات متكاملة تعتبر مرجعا سياسيا ، لهذا المشروع الذى كان له اثره فى تطور الأحداث السياسية فى مصر ، وتتبع الاخبار ما تقوله الصحف البريطانية عن القضية المصرية وراحت تناقش هذه الصحف وترد عليها كما راحت تتابع مناقشات مجلس العموم البريطانى .

ويكتب الرافعى فى الاخبار دراسات وافية عن

المفاوضات ينشرها فى كتاب مستقل ، كما يكتب دراسات عن السياسة الانجليزية حيال مصر . ويكتب ايضا عن سياسة التهديد بعد سياسة الخداع وعن « تقوية الاتحاد » وعن بعثة « سوان » التى تكونت من بعض أعضاء البرلمان البريطانى من حزب العمال الذين استضافهم سعد زغول لزيارة مصر املا فى أن يتحولوا عن مبدئهم فلم تزدهم الزيارة الا عداوة للقضية المصرية ، وقد فضح الرافعى ، سياسة حزب العمال البريطانى قبل أن تجيء البعثة وفى أثناء وجودها فى مصر كما كتب عن مبدأ الضمانات وخطره على الاستقلال « والى متى تصدر الحريات » ، ثم يختلف الرافعى مع الوفد المصرى حول تعديل اساس المفاوضات بين مصر وبريطانيا على النحو الذى سنفصله عند الحديث عن العلاقة بين سعد زغول وأمين الرافعى ، ثم تعود المياه الى مجاريها بعد نقى سعد زغول للمرة الثانية ، ثم يعود الخلاف مرة أخرى ويشتد الخلاف وتعنف الحرب بين الوفد والأخبار ثم تهدأ الحرب وتوشك المياه أن تعود الى مجاريها .

وتقع الأخبار فى أزمة مالية عنيفة يسمع بها سعد فيبادر الى عرض مساعدته على أمين الرافعى ، ويرد الرافعى على هذا العرض فى رسالة ( سبتمبر ١٩٢٣ ) يقول فيها : وقع من نفسى أحسن وأعظم وقع ما علمته من استعداد معاليكم لاقرضى مبلغا كبيرا من المال أعالج به الأزمة التى تجتازها الأخبار الآن على أن اردة عندما تتحسن حالة الجريدة ، وانى لعاجز كل العجز عن أداء واجب الشكر لكم حيال النفسية الكبيرة التى دفعتكم الى ذلك وأرجو أن يكون اعترافى بالقصور خير معبر عما تكنه نفسى نحوكم ونحو عملكم النبيل ، ولكن وأنا واقف

على حالة الأخبار الآن أرى ان هذه الحالة لا تحتل علاجاً فقد دخل المريض دور النزاع وحرام اقراضى ما لا ليس هناك أمل فى رده فليقف مجهودى الضعيف عند السهر على هذا المريض حتى يسلم النفس الأخير اذا قضت بذلك مشيئة الله . وفى الختام اكرر لمعاليتكم شكرى واعترافى بجميل ما أظهرتموه من جميل العواطف التى لن أنساها ما حييت »

وعن قصة ادماج اللواء والأخبار يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى فى مذكراته المخطوطة والوجود لدينا « من المسائل التى بدلت فيها جهوداً كبيرة وعانيت فيها متاعب شديدة اتحاد الأخبار واللواء واسناد رئاسة تحرير جريدة الحزب الوطنى الى أخى أمين ، وانى اعتبر نفسى صاحب الفضل الأكبر فى تحقيق هذا الاتجاه ولولاي لما تم ولقد ساعد فى ذلك كثير من اخواتى أعضاء الحزب الوطنى مثل عبد الحميد بك سعيد وزكى بك على وفؤاد بك حمدى ، وبذلك أنقذنا الحزب الوطنى وجريدته وجريدة الأخبار من خطر الزوال ، فقد كانت حالة الأخبار المالية سيئة جداً لكثرة ديونها ونفقاتها وقلة ايراداتها .. وكثيراً ما فكرت مع أخى أمين فى طريقة لايقافها لا تكون منافية للكرامة ، وكذلك كانت حالة اللواء المالية ، وكان أعضاء الحزب يفكرون كذلك فى طريقة للتخلص منها ، ولا شك ان ايقاف اللواء هو كارثة على الحزب الوطنى لا يمكنه بعدها أن يرفع رأسه ، وايقاف الأخبار كارثة على الصحافة النزيهة وضربة كبرى لمركز أمين فى السياسة والصحافة ، فالمركز كان حرجاً وقد أمكننا بتوفيق الله أن نضم الجريدتين باسم واحد « اللواء والأخبار » وبذلك استراح أمين من عناء المسئوليات الهائلة التى كان ينوء بها فى

ادارة الاخبار ومن جهة اخرى تسبب الحزب انوطني مكسب  
كبرا باسناد رئاسه تحرير صحيفته الرسميه الى صحافي  
مدير محترم والحق ان الجريدة الجديدة « اللواء المصري  
والاخبار » صارت من ارقى الجرائد ماده وسياسة ، وكانت  
تصدر فى ست صفحات فكان هذا العمل خدمة كبرى  
اديتها بمساعدة الاخوان لأخى ولحزبى . لكن حالة الجريدة  
الجديدة المالية كانت سيئة فان مصروفاتها كانت كثيرة  
وايراداتها قليلة فان القراء لم يقبلوا عليها الاقبال الذى  
كنا ننتظره والحق ان الحالة المزريه التى وصلت اليها  
البلاد قد اضرت بالصحافة كثيرا لان كل قارئ كان يتعصب  
لجريدة حزبه فلا يقرأ سواها الا فى الصحف الاخبارية  
كالاهرام والمقطم ، وبذلك شعرنا بالعجز الكبير فى  
الايادات واضطررنا الى الصرف من رأس المال الضئيل  
الذى امكننا تدبيره للعمل المشترك واستمر العجز فى  
الثلاثة الأشهر الاولى ، وعادت من جديد فكرة إيقاف  
الجريدة الجديدة ، وطرقنا أبوابا كثيرة نستمد منها  
المدد فالفيناها موصدة وكان ظهور الجريدتين بالشكل  
الجديد مظهرا لضعف الحزب الوطنى من الوجهة المالية  
وارتباك حالته وتزعزع مركزه وهذا الارتباك له تأثير فى  
حالة الناس المعنوية فان الأحزاب السياسية تستفيد  
وتخسر تبعا لمظاهرها أمام الجمهور . ولكننا لم نتراجع  
امام هذه الحالة لاننا كنا نفخر بأن حزبنا لا يمد يده الى  
أى هيئة ليكسب ويثرى ولو تساهل فى مبادئه لاستطاع  
أن يصل الى الغنى باتفاقه مع الحكومة أو مع احزابها ،  
ولكنه فضل أن يحتمل غضاظة الفقر والعوز دفاعا عن  
مبادئه الوطنية وأن الحزب الوطنى يحق له أن يفخر بأنه  
يعيش برجاله ومبادئه وأنه يعمل غير منتظر اجرا ولا شكورا

لأن الحزب الذى يسد على نفسه طريق الحكم فهو حزب بلغ أقصى درجات التضحية وإنكار الذات ولقد كان فى استطاعة أمين أن يستريح من عناء العمل الصحفى المضنى الذى احتمله بالصبر سنوات عديدة وأن يتبدل راحة وغنى ، لو أنه رضى أن يسخر قلمه لخدمة حزب من الأحزاب الحكومية ، وقد سعت السراى فى أن تستخدمه وتفصله عن خطته الوطنية وعن الحزب الوطنى ، ولو قبل لتفتحت أمامه أبواب الثروة والجاه ولكن حمدا لله فإن هذه المساعى قد اصطدمت بوطنيته وصدق إيمانه وتوكله على الله ، هذا وقد بدأ اندماج اللواء والأخبار فى ١٠ مايو سنة ١٩٢٥ واستمر حتى العدد الصادر فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٥ وعاد لكل من الجريدتين الوطنيتين استقلاله عن الأخرى » .

وتستمر الأخبار فى الصدور الى أن يضطر الرافعى إلى اغلاقها فى فبراير ١٩٢٦ عقب الأزمة النفسية التى صادفته اثر اجتماع المؤتمر الوطنى الذى كان قد دعا اليه لأن المؤتمر لم يأخذ برأيه فى عدم اجراء انتخابات جديدة واعتبار مجلس النواب المنحل هو المجلس القانونى الذى يجب أن يستمر فى عمله ثم تعود الأخبار الى الصدور من جديد فى ١٢ مارس ١٩٢٧ .

وليس فى الامكان الاشارة الى كل المقالات التى كتبها الرافعى فى « الأخبار » فهى من الكثرة بحيث يصعب الاشارة حتى الى عناوينها ، فقد كان الرافعى يكتب باستمرار مقالة كل يوم ، وفى بعض الايام كان يكتب أكثر من مقالة كذلك كان يكتب دراسات معتمدة على البحث والجهد الشاق كتب مثلاً تسع مقالات عن تقرير ملنر وسبعاً وعشرين مقالا عن مفاوضات الإنجليز



بشأن المسألة المصرية وكذلك فيما يتعلق بالدستور  
وتصريح ٢٨ فبراير وشهر سبتمبر وما جره على البلاد من  
النكبات ، وقد عارض أمين الرافعى بالحق كل الوزارات  
التي توالى على الحكم منذ ١٩٢٥ الى ١٩٢٧ كما ايد  
بالحق ايضا كل عمل جاد وجيد تقدمت عليه اية وزارة  
من تلك الوزارات ، وكمبدأ عام كان الرافعى يؤيد الوزارة  
عندما تكون فى خلاف مع الاحتلال البريطانى .  
والرافعى دستور صحفى التزم به دائما وهذا الدستور  
يتلخص فيما يلى :

ان كل من له مبدأ يريد ان يزود عنه ومن كان يبغى  
العمل فى ميدان النضال والجهاد يجب عليه ان يوطن نفسه على  
تحمل المشاق والمتاعب لأن رجال المبادئ وعشاق النضال  
لا يجدون فى طريقهم وردا يلقى عليهم وانما يصادفون  
شوكا ويلاقون عناء وعنتا . ان للحياة طريقين : أحدهما  
تسوده الراحة المادية والآخر تحفه المكاره والمتاعب ولكن  
تلك الراحة المادية التي يصادفها من يختار الطريق الاول  
لا تكون عادة مصحوبة بالراحة المعنوية فان من يؤثر  
الراحة المادية يرى نفسه فى كثير من الأحيان مفرطا فى  
واجبه نحو ضميره ونحو وطنه ، ونحو اخوانه ونحو  
خالقه ، أما الذى يريد ان يؤدي واجبه نحو ضميره ونحو  
اخوانه ونحو وطنه ونحو خالقه فيجب عليه ان يجد ويشقى  
ويتعب ويتألم وهو بهذا يفقد فى العادة الراحة المادية ولكنه  
يستعيز عنها ما هو أغلى قيمة واعز أثرا وهى الراحة  
المعنوية ، وراحة الضمير الخالص الذى لا يجد فى هذه  
الحياة ما يحمل على الوزر والتأنيب وغنى عن البيان ان  
وخر الضمير أثقل على النفس من أى ألم مادي مهما كان  
شديدا لأن فى استطاعة الانسان ان يتحمل الآلام المادية ويعتاد

عليها أما تبكيت الضمير فانه يورث ألا لا يمكن احتمال  
بل انه ينقص عيش الابى تنقيصا قد يفضل المرء معه  
الموت على هذه الحياة بجميع ملذاتها ، واذا تركنا هذه  
المعنويات ونظرنا الى الصحافة من حيث هى فن او مهنة  
وجدنا انه بجانب الصحف التى تخصص أكثر أعمدها  
لنقل حوادث العالم ولا تعنى بغير ذلك يجب أن تكون  
هناك صحف تقف أعمدها لخدمة المبدأ فى ذاته .

\* العقيدة السياسية للمرء تشبه العقيدة الدينية فى  
كثير من الوجوه وأهم أوجه الشبه ان صاحب العقيدة  
الثابتة فى كلتا الحالتين يلاقى صنوف المتاعب فى سبيل  
التمسك بعقيدته والاحتفاظ بها وعدم مخالفة تعاليمها  
الصحيحة ، كلما ضعف شأن العقيدة فى وسط من  
الأوساط أو زمن من الأزمان أصبح موقف أصحاب  
العقائد الثابتة صعبا وعملهم شاقا وإذا كان من الثابت  
ان القابض على عقيدته السياسية لابد ان يقع فى مثل  
هذه المحنة أى لابد ان يصطدم فى طريق جهاده بكثير من  
العقبات وان تصادفه طائفة من الأهوال والارزاء وان تنزل  
به مختلف النكبات والكوارث .. هذا ما ينقشه التاريخ  
على صفحات كل أصحاب العقائد اذا ما أرادوا ان يثبتوا  
على عقيدة واحدة دون ان يتحولوا عنها وهم مع ذلك  
يستعذبون كل عذاب وكل تضحية وكل مشقة وكل هم  
فى سبيل الاستمسك بعقيدتهم لأن للايمان الثابت لذة  
لا يشعر بها الا المؤمنون الحقيقيون .. فالؤمن الثابت  
العقيدة سواء اكانت عقيدة دينية أم سياسية يرى ان هذه  
العقيدة مقدسة لا تحتل تفريطا ولا زعزعة وان له من  
ضميره أكبر حارس على هذه العقيدة .. فاذا ما وسوس  
له الشيطان أن يهمل هذه العقيدة على أية صورة من الصور

كان صوت الضمير وحده كافيا لأن يقطع على الشيطان  
 وسوسته ويرده مدحورا . . وإذا ما تقدم خصوم العقيدة  
 الثابتة بأموالهم الوفيرة وهباتهم العظيمة ووعودهم الخلافة  
 كى يلعبوا بالعقول ويزعزوا الايمان ، وجدوا من يقظة ضمير  
 المؤمن أكبر مخيب لآمالهم ، لأن هذا الضمير الخاص الذى  
 لا يخضع للماديات ولا يتأثر بآثرها المفسد لا يلبث أن  
 يصيح بصاحبه « اياك والانخداع بما يعرضون عليك مهما  
 عظم شأنه فان جميع كنوز الأرض لا تعدل شرف الانسان  
 ومتى استطاع المرء أن يحتفظ بشرفه فكل ما يفقده بعد  
 ذلك لا يقام له ، وزن لأن الحياة الشريفة يمكن احتمالها  
 مهما بلغت مرارتها واشتد شقاؤها وفدحت متاعها ، أما  
 الحياة المجردة من الشرف فانها لا تساوى قلامة ظفر  
 ولا يستطيع الانسان اذا كان انسانا بمعنى الكلمة أن  
 يحياها دقيقة واحدة ولو كانت مصحوبة بأعظم مظاهر  
 الزخرف والزينة ، لأن هذه المظاهر المادية تنحطم فى لحظة  
 قصيرة ، وتنقلب مصدر ألم عميق اذا ما تذكر صاحبها انها  
 لا تركز على دعامة شريفة « يحسبون انما نملهم به من  
 مال وينين نساوع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون » ان  
 هناك عقائد تنزعزع اذا وجدت فى وسط لا يقدر العقيدة  
 حقها ، وعندئذ يفشو داء القلب والتلون واشار المصلحة  
 الخاصة على المصلحة العامة ، ويتسع المجال لوسائل التهويل  
 والتضليل . ومع ذلك فقد علمنا التاريخ ان هذه الاوساط  
 المسمومة لا تخلو من وجود عقائد لا يأتيتها الضعف من بين  
 يديها ولا من خلفها بل يظل أصحابها محتفظين بعقائدهم  
 متمسكين بمبدئهم قابضين عليها ولو كالقابض على الجمر  
 — وكم ذهب أمثال هؤلاء ضحية تمسكهم بمبدئهم فكانوا  
 بمثابة وقود لاشعال واضاءة النهضة الكبرى .

« وقد يرى بعض الناس الاحتفاظ بالعقيدة فى اوقات الشدة والمحنة أمرا صعبا فهم لا يعقلونه بل يعقاون شيئا آخر هو الاحتفاظ بمصالحهم الشخصية والجري وراء الأشخاص ، لا وراء المبادئ ولكن هذه الخطة منكرة ممقوتة من جميع الوجوه من أجل ذلك لم نول وجهنا شطرها بل حفظ الله علينا عقيدتنا ومبدأنا » .

وعندما عادت « الأخبار » الى الظهور كتب يقول :

احتجبت جريدة الاخبار سنة كاملة لان القائمين بادارتها أرادوا أن تكون سياستها موافقة للسياسة التى قررها المؤتمر الوطنى الذى انعقد فى فبراير ١٩٢٦ ، فلم اسلم لهم بما أرادوه ولم أكن أستطيع ان أفعل غير ما فعلت : أولا : لأن السياسة التى قررها المؤتمر كانت مناقضة لأحكام الدستور ، فضلا عن مخالفتها للسياسة التى كان زعماء المؤتمر قرروا السير عليها ، واتفقوا أن لا يحدوا عنها ثانيا : لأننى كنت مقتنعا كل الاقتناع بصواب الخطة التى كنت أسير عليها فى ادارة سياسة الأخبار وتحريرها فلم يكن من المعقول ، ولا من الذمة أن أغير هذه الخطة تحت تأثير ارادة الغير ، لأن قلب الكاتب ليس ملكا لارادة الغير ولا يجوز أن يخضع الا لضمير صاحبه نهما كانت الظروف وقسوتها » .

## بين سعد زغلول والرافعي

كانت نظرة أمين الرافعي الى سعد زغلول كنظرة غيره من شباب الحزب الوطنى متأثرة بما يكتبه اللواء عن سعد زغلول وما يقوله مصطفى كامل عنه مادحا ، أو ناقدا ، وعندما اختير سعد زغلول المستشار بمحكمة الاستئناف الاهلية وزيرا للمعارف بعد مأساة دنشواى واخراج كرومر ، رحب مصطفى كامل فى اللواء بهذا الاختيار باعتبار ان سعدا من أحسن العناصر الوطنية ، وعندما انسحب سعد زغلول من لجنة مشروع الجامعة الاهلية وكان نائب رئيس هذه اللجنة بل كان الرئيس الفعلى لها ، انتقدت القوى الوطنية موقف سعد زغلول هذا ، واعتبرته محاولة للقضاء على مشروع الجامعة الوطنية وفى صالح مشروع الكتاتيب الذى كانت القوى الاستعمارية تعمل له وتحارب مشروع الجامعة الوطنية من أجله ، وقد عارضت القوى الوطنية سعدا لموقفه فى الجمعية العمومية ومطالبته بالآ تكون اللغة العربية لغة التعليم . . وبالرغم من أن الجمعية العمومية عارضت سعدا والحكومة فيما ذهبوا اليه واتخذت قرارا بجعل اللغة العربية لغة التعليم فى مصر الا أن موقف سعد ، ظل واردا الى فترة طويلة . . وعندما امتدح لورد كرومر فى خطبة الوداع ، سعدا وهاجم المصريين ، اعتبرت القوى الوطنية

هذا المدح ضد سعد ومن المقالات التي عارض بها الرافعي سعد زغلول معارضة قوية وعنيفة تلك التي كتبها الرافعي عن موقف الحكومة وسعد بالذات من مشروع مد امتياز قناة السويس ، وعندما استقبل سعد زغلول ناظر الحاقية وفدا من المحامين وتحدث اليهم عن اهتمامه بكل ما يتعلق بالمحامين ، الذين يعدهم جميعا اخوانا له ويهمه أمرهم ، حذرهم من الاشتغال بالسياسة قائلا : لا يحسن بالمحامى ان يكون محاميا وسياسيا ولا يحسن به ان يشتغل بالسياسة والمحاماة ، وان الاولى بالمحامين الابتعاد عن السياسة والتفرغ لصناعتهم . ومما قاله الرافعي : عجيب امر هؤلاء القوم . . يجرمون على الطغالب الاشتغال بالسياسة، يجرمون على الاستاذ الاشتغال بها، كما يجرمون على القاضي الاشتغال بها ، وبالجملة يجرمونها على كل موظف من الموظفين يظنون الآن أن فى استطاعتهم تحريمها على المحامين ، ومن باب أولى المهندسين والأطباء ؟ فمن الذى يشتغل بها اذن بعد كل هؤلاء ؟ من الذى ينظر فى مصالح بلاده اذا كانت هذه الفئة لا تقوم بهذه المهمة ؟ من الذى يطالب بحقوق وطنه اذا حرم على المدافعين عن الحقوق تأدية هذا الواجب المقدس ؟

وتطوع الرافعي للدفاع عن سعد زغلول أثناء الضجة التي أعقبت استقالته من الحاقية وذهب الى سعد زغلول يسأله عن استقالته ، وهل قدمها الى اللورد كتشنر وليس الى رئيس الوزراء كما يشيع خصومه ، فقال سعد ان الخبر مكذوب من أساسه « فأنا لم أقدم استقالتي ، الى اللورد كتشنر ولا أرى له من الصفة ما يخول لى تقديم الاستقالة اليه » .

وقال الرافعي : وسرى عنى بعد ان سمعت هذا

الجواب وارتحت له اشد الارتياح كما ابتهج له كل من كان موجودا لدى سعادته ، وسألته عن حقيقة ما يقال من انه لم يؤخذ رأيه فى قضية محمد فريد بك فقال : « حقيقة تقرر السير فى هذه الدعوى بدون أن يؤخذ رأيى ، ولقد كان ذلك من الاسباب التى عجلت استقالتي »

ورشح سعد زغلول نفسه لعضوية الجمعية التشريعية فوضع الرافعى نفسه وجريدته فى خدمة المعسركة الانتخابية التى خاضها سعد ، ونشر حديثا أجراه مع سعد زغلول فى شأن ترشيحه للجمعية التشريعية عن قسمى «السيدة» و«الوايلي» ، وقد طلب الرافعى من سعدان يستحدث وسائل جديدة فى العناية لنفسه بين الناخبين ففى ايطاليا - هكذا قال الرافعى - لا منح حق الانتخاب العام للايطاليين ومنهم اميون فكر المرشحون فى إيقاف هؤلاء الناخبين على مبادئهم بطريقة غير الكتابة فأخذوا يلصقون على الجدران صوراً يرسمون فيها وجوههم بجانب أسمائهم تارة ضاحكة وتارة مطرقة دلالة على التفكير ، كما اتخذوا السينما وسيلة للعناية لانفسهم اذ ، بهذه الطريقة تعرض صور المرشح قائماً خطيباً بين جماعة من المتحمسين يشرح لهم آراءه » .

وفى أكثر من مقال دعا الرافعى الى انتخاب سعد لكفائه القانونية ومقدرته الخطابية ومعلوماته الواسعة . وقد كان موقف الرافعى من تأييد سعد متسقاً مع موقف الحزب الوطنى الذى وقف بدوره الى جانب سعد فى الانتخابات . ومما جاء فى مذكرات الزعيم محمد فريد حول استقالة سعد من وزارة الحقانية وترشيحه لانتخابات الجمعية التشريعية ما يلى : ساعد محمد سعيد على اكراه سعد على الاستقالة لأنه يخشى منه المزاخرة على مركز

الرياسة وكان قد أشيع ان حماه مصطفى باشا يسعى لدى اصدقائه الانجليز لتعيين سعد رئيسا وقد تمكن سعيد من احراجه ليبقى بلا مزاحم ، لان النظار الحاليين ليس فيهم من يقوى على مزاحمته لدهائه وخبثه لذلك يقلب على الظن ان سعيد يعاكس سعد باشا فى الانتخابات للجمعية التشريعية لأنه يخشى أن يجمع حوله أغلبية تناقشه الحساب ، وتجادله ، خصوصا ان جريدة « الشعب » لسان الحزب الوطنى تعضده وانى اعتقد انه سيفوز برغم مساعى سعيد باشا .

وكتب محمد فريد - فى مكان آخر من المذكرات :- اما انتخاب سعد باشا فيغيظ الخديو ومما يزيده غيظا ان الحزب الوطنى عضده وساعده بقوته « . . وكتب عبد الملك حمزة الى محمد فريد عن ترشيح سعد فقال : لم نرشح سعد باشا الا بعد أن عاهدنا على ان يكون معنا قلبا وقالباً واذا وفق الى الفوز ان شاء الله سيجدد ذلك العهد » . ويجيبه محمد فريد فى ٢٥ نوفمبر قائلا : انما يلزم ان يعلن انضمامه للحزب بعد أن تتأكدوا من اخلاصه، وان قصده لم يكن الاستعانة بنا للوصول الى الوزارة ثم ينقلب كما فعل سعيد باشا ويجب الاحتراس الكافى من هؤلاء الناس الذين يسرون مع الحوادث . انى أعرف سعد منذ نحو عشرين سنة وكنت معه بأوروبا ولا أشك فى وطنيته ولكن أعرف من جهة أخرى، انه يكره الخديو وربما تؤديه هذه الكراهية للاتفاق مع الانجليز للانتقام ، فاحترسوا جيدا وخذلوا منه الموائيق كتابة حتى يخشى التحول » .

وعقب الرافعى على نجاح سعد فى الانتخابات بقوله : واذا كنا اظهرنا ميلنا لترشيح سعد باشا ودعونا الناس لانتخابه، فما ذلك الا لانه وعدنا فى الخطة، التى عاهد الأمة



عليها ، أن يسلك سبيلا رأينا فيه تحقيق هذه الفكرة التي لا بد من وجودها ووجود أنصار كثيرين لها حتى تستطيع مصر أن تخطو الى الأمام » .

وخاض الرافعى الى جانب سعد زغلول معركة وكالة الجمعية التشريعية عند غياب الرئيس وهل تكون للوكيل المعين ، عدلى يكن باشا أم للوكيل المنتخب سعد باشا ووقف الرافعى فى هذه المعركة موقفا صلبا للغاية وكان يطلق على سعد باشا « أبو الأحرار » وظل الرافعى الى ان توقفت جلسات الجمعية التشريعية بعد اعلان الاحكام العرفية يتابع باستمرار - فى غير تبعية - أعمال سعد باشا ونشاطه ثم انقطعت العلاقة بينهما خلال الحرب العالمية الاولى وخاصة بعد اعتقال أمين الرافعى وشقيقه عبد الرحمن الرافعى ورفض سعد كما جاء فى مذكراته التحدث بشأن الإفراج ، عن أمين وعبد الرحمن مع رشدى باشا رئيس الوزراء وكانت لسعد علاقة وثيقة به ، غير ان العلاقة بين سعد وأمين قد عادت الى القوة منذ سنة ١٩١٨ وفى مخلفات أمين دعوات كثيرة من سعد زغلول - وبخطه - الى أمين الرافعى لتناول الغداء أو العشاء وللتحدث فى بعض الامور الجارية ، وعندما بدأ تكوين الوفد المصرى القى أمين الرافعى بكل ثقله الى جانب سعد زغلول واختلف مع كثير من رفاقه أعضاء الحزب الوطنى حول تأييده لسعد ، وكانت وجهة نظر الرافعى أن سعدا هو أقرب الناس الى الشعب وهو أكثر الزعماء الموجودين كفاية وقدرة على الاضطلاع بأعباء رئاسة الوفد ، وأمين الرافعى عنيف وعنيد ، عندما يرى رأيا من الآراء يبذل كل طاقته وامكانياته فى الدفاع عن هذا الرأى مهما يكلفه ذاك من تضحيات جسام ، وقد سبق ان أشرنا الى دور الرافعى فى تشكيل

الوفد وفى مناصرة سعد زغلول بالذات ، كما سبق أن  
أشرنا الى علاقة سعد زغلول سواء اكان فى المنفى أم فى  
باريس بأمين الرافعى . وإذا كان عبد الرحمن فهمى هو  
المسئول تنظيميا عن نشاط الوفد فى أثناء غياب سعد ورفاقه  
فى المنفى وباريس ولندن ، فان أمين الرافعى كان المسئول  
الفكرى والأعلامى عن الثورة فى المرحلة الأولى من قيامها ،  
فكان يتولى صياغة بيانات الوفد ويتلقى تعليمات سعد  
زغلول السرية ، وقد أصدر الرافعى جريدة الأخبار - كما  
سبق أن ذكرنا وكانت أداة التعبير الصادق عن آراء الوفد  
ورئيسه ، وما أكثر التلغرافات التى كانت تصل الى أمين  
الرافعى من سعد زغلول فى بعض المسائل الهامة المتعلقة  
باستراتيجية الوفد وتكتيكاته التى لم يكن يعرفها من أعضاء  
الوفد سوى مصطفى النحاس وحده ، الذى كان بدوره  
ويتعليمات من سعد يرسل الى أمين الرافعى الخطوط  
الرئيسية لسياسة رئيس الوفد المصرى ، وقد أدت قوة  
اتصال أمين الرافعى بسعد زغلول ورفاقه ودفاعه عنهم  
الى هجوم الكثيرين على أمين الرافعى ومن بينهم بعض  
زملائه فى الحزب الوطنى ، وكانت صحيفة « الأهالى »  
أشد الصحف هجوما على أمين الرافعى بسبب صلتة  
الوثيقة بسعد زغلول .

ولكن الخلاف وقع بين أمين الرافعى وسعد زغلول لأن  
الوفد كان يرى عدم الدخول فى مفاوضات رسمية مع  
بريطانيا دون النظر الى مطالب الشعب التى أبدتها  
فى صورة تحفظات على مشروع ملنر . ثم رأى العدول  
عن رايه هذا فعارضه أمين الرافعى وأصر على تعديل  
أساس المفاوضات قبل الدخول فيها ، وطالب باعتراف  
بريطانيا أساسا بالحقوق الرئيسية للبلاد فى الحرية

والاستقلال ، وقد حاول سعد زغلول مرارا ، اقناع امين  
الرافعى بعدم اثاره موضوع تعديل الاساس الخاص  
بالمفاوضات فلم يقتنع أمين الرافعى .

وعندما انطلقت المظاهرات الدامية ضد الرافعى لم  
يتراجع ، بل كتب فى ١٩٢١/٤/٢٦ ، ان تلك المظاهرات  
الارهابية تقنعنا فوق اقتناعنا الماضى بان الالتجاء الى القوة  
لتحولنا عن خطتنا ليس له معنى الا ان هذه الخطة سليمة  
وان الحق فى جانبنا ، ولذلك لم يستطع أحد ان يصرعها  
فاستخدم القوة لصرعها ، على ان الله كان ولا يزال ساهرا  
علينا فلم بلحقنا أى أذى ، وخرجنا من هذا النضال وقد  
ازداد موقفنا قوة وثباتا فقد شعر المفكرون ان حرية الراى  
اذا صودرت بهذه الوسائل المخزية فان هذه المصادر تكون  
سببا فى ضياع مستقبل البلاد واساءة سمعتنا الوطنية  
فى نظر العالم ومحو صفحتنا البيضاء التى لا نزال نفخر  
بها أمام الجميع » .

وقال أمين الرافعى فى ١٩٢١/٦/٢٣ : كانت الاخبار  
ومديرها فى نظر معالى سعد باشا مثالا للوطنية الصادقة  
وكان الرئيس يتفضل من وقت لآخر باعلان ذلك وامتناح  
خدمات هذه الجريدة فى تلفرافاته التى يبعث بها اليها  
وفى كتبه الخاصة وفى تصريحاته المتعددة فما باله اليوم قد  
انتهج حيالها منهاجا آخر وما زال ينتقل من دور الى دور  
حتى اراد بالامس ان ينال من وطنيتنا وهى كل ما نملك  
فى هذه الحياة ، بل هى الشئ الذى يعتقد سعد باشا انها  
فوق كل الشكوك . . لئن كان سعد باشا يرى ان يعامل  
من يظن انهم خصومه السياسيون بمثل هذا السلاح  
مستفيدا من المركز الذى اولته الامة اياه فليعلم انه سلاح  
خطر لا يملك دائما ان يكون فى قبضته فيمنح الوطنية

من يشاء وينزعها ممن يشاء وليتق الله الذى يعرف ما فى  
الضمائر وليخش حسابه يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا انصار  
ولا هتاف ولا مظاهرات . . ليخش الرئيس قصاص الله  
العادل ، فان الدهر لا يبقى على حال ، والعظمة للخالق  
وحده وكل نعمة لا يرعاها صاحبها لا تلبث أن تزول »

ثم يقول : اننا لم نألف أن تكون وزارين ولم نعتد خدمة  
الهيئات والأشخاص وانما اعتدنا أن نخدم المبادئ وحدها  
. . ونعمل مع الجانب الذى يقدر هذه المبادئ ، وقد  
كنا نرى فى الوفد رمزا لخدمة المبادئ فتطوعت لتأييده،  
وقد اتهمنا ردحا من الزمن بأننا وفديون نتفق على الجريدة  
من أموال الوفد ، واننا مضطرون لهذا السبب أن نسير وراء  
الوفد فيما سار ، وقد كنتم تعلمون كذب هذه الاتهامات  
كما كنتم تعلمون أننا مستقلون فى عملنا ولا نرضى بأن نكون  
ذبلا ، الآية هيئة مهما عظم شأنها ، ولا نظنكم تنسون أنكم  
فكرتم فى الأيام الاولى لتأليف الوفد فى أن يصدر الوفد  
جريدة تكون لسانه الرسمى على أن تسند رئاسة التحرير  
الينا فأبينا قبول هذه الفكرة ، وقلنا لكم بأننا لا نريد أن  
نعمل الا مستقلين بعيدين عن سيطرة أى مخلوق الا سيطرة  
ضميرنا . لقد اتهمنا من أجل الوفد بتهم عديدة ولكن  
الله أبى الا أن يزهد الباطل ، وظهر الحق وعلم خصومنا  
ومتهمونا اننا لا نكتب شيئا بايحاء أحد او لمراعاة خاطر  
عظيم وانما نكتب ما يوحى الينا الوجدان وحده . اتهمنا  
من أجل الوفد ووجه الينا السباب بسبب تأييدكم ودعوة  
الامة الى الالتفاف حولكم ، فلم نعر هذه التهم أهمية لانها  
صدرت من افراد لا يعرفوننا ، ولكننا ما كنا نتوقع وما كان  
يدور بخلدنا أنكم تنسون كل هذا الماضى وتولون وظيفة  
الاتهام الفظيعة ، أنتم الذين تعرفون دخائل نفوسنا

وحقائق ضميرنا ومبلغ ماضحينا من اجل القضية ومن  
اجلكم » .

ويقول امين الرافعى : اننا لم نالف فى اى دور من ادوار  
حياتنا ان نكون وزاريين ، وقد كنتم من اركان الوزارات  
الماضية فلم نسع فى التقرب لكم بل عرفناكم بعد ان تركتم  
الوزارة .. كنتم ركنا من اركان الوزارات السابقة فلم  
نقصر فى تقدمكم على كل عمل من الأعمال التى تستوجب  
النقد .. لم نقصر فى تقدمكم يوم وافقتم على مشروع  
القناة ، لم نقصر فى تقدمكم يوم أعدتم قانون المطبوعات  
ونشرتموه .. لم نقصر فى تقدمكم يوم وضعت القوانين  
الاستثنائية المتعددة ونفذتموها بالرغم من معارضة مجلس  
الشورى ، ومنها قانون الاتفاقات الجنائية الذى يعاقب على  
الفكر وقانون احالة جنح الصحافة على محكمة الجنايات  
الذى يجعل مركز الصحفى اسوا من مركز القاتل وقاطع  
الطريق .. لم نقصر فى تقدمكم يوم صرحتم فى مدرسة  
الحقوق بأن قضائنا هم قضاة ضرورة .. لم نقصر فى  
تقدمكم يوم كنتم تسنون للطلبة قوانين قاسية صارمة الى  
غير ذلك من التصرفات ، وان صفحات اللواء والعلم  
والشعب خير كلمة بيننا وبينكم وهى تثبت اننا لم نخلق  
لنكون وزاريين بل خلقنا لندافع عن المبدأ الذى نعتقد فى  
صحته ولو تحمنا من جراء ذلك ما نتحمل من اذى  
وتضحيات .. خلقنا لنكون احرارا . نقول الحق صراحة  
وفى وجه أية قوة من قوى العالم ، ولو كان الموت واقفا  
لنا بالمرصاد . فراجع يا معالى الرئيس ضميرك قبل ان  
تتهم الأبرياء ولا تنس ان الله مطلع على كل صغيرة وكبيرة  
وهو المنتقم الحمار » .

ويقول الرافعى فى مكان آخر حول هذا الموضوع  
ايضا : كان جنود سعد باشا يهاجمونا فى دارنا ويقذفوننا

بالطوب ويوجهون إلينا فاحش القول ويتهموننا بالخيانة ؛  
وعندما كنا ننادى بضرورة عقد جمعية وطنية تفصل في  
الخلاف كانوا يهزأون بهذا الرأي حتى كتب بعضهم يومئذ  
مقالا طويلا يذهب فيه الى انه يجب علينا ان نكف عن  
الاشتغال بالصحافة ونبحث عن عمل آخر » . ويصف  
الرافعى، كيف ذهب فريق من العقلاء الى سعد باشا يصفون  
هذه الحالة السيئة التى وصلت اليها المظاهرات الدامية  
ويطلبون منه وضع حد لها فكان يجيبهم بغير تردد :  
« أتريدون ان أدافع عن خصوصى » وانه كان يقول  
لأنصاره فى أعقاب هذه الحوادث ، « عضدوا رأيى بكل  
قواكم » .

وعن محاولات الصلح التى قام بها البعض روى الأستاذ  
حامد القصبي القصة التالية : فى يوم ٢٥ أبريل سنة ١٩٢١  
عندما تجمعت حشود الطلبة حول دار جريدة الأخبار التى  
تقوم فى مكانها الآن المدرسة اليونانية بشارعى التحرير  
ويوسف الجندى ، وتولى فريق منهم الحراسة الخارجية  
وأسرع غيرهم الى قطع الاتصال التليفونى بالدار واقتحم  
بأقيهم - فى جموع زاخرة - حجرة مكتب صاحبها  
الوطنى الفيور الأستاذ أمين الرافعى ، يهددونه بالقتل اذا لم  
يكف عن الاسترسال فى نشر رأى له عن تعديل اساس  
المفاوضات بين مصر وانجلترا حول قضية جلاء المحتلين  
واستقلال البلاد التام ، كانت بريطانيا قد وضعت وقتئذ  
مشروعاً لحل القضية المصرية اسمته مشروع ملتر ، ذهبت  
به فى أغسطس من عام ١٩٢٠ الى الوفد المصرى برئاسة  
سعد فى أثناء اقامته فى باريس واشترطت قبوله كله او  
رفضه كله كأساس لمفاوضة رسمية ، ولما اختلفت الآراء  
فى شأن هذا العرض أوفد الوفد المصرى الى مصر فى

سبتمبر عام ١٩٢٠ بعض أعضائه لاستفتاء الأمة فيه فعادوا اليه مزودين بمجموعة من التحفظات الجوهرية التي نوضحه وتحدده وتحول دون تسرب الخداع والتضليل في ثناياه ، وبمجرد أن أقر الوفد المصري تلك التحفظات وأعلن تمسكه بها شرع المرحوم أمين الرافعي ينادى بتعديل أساس المباحثات بمراعاة هذه التحفظات قبل الشروع في أية مفاوضة رسمية ، وكان طلاب العلم على اختلاف معاهدهم وتفاوت سنهم جنودا أوفياء للوفد، وكنت اذ ذاك طالبا بالسنة الثانية بمدرسة الهندسخانة ولم تقفني المساهمة فيما جل أو هان من أمور كانت تعتبر من أقدس واجبات الطلاب في ذلك الحين ، ولكن محاولة الاعتداء على الأستاذ أمين الرافعي وهذه دعوته وتلك رسالته ، لم تعجبهم فلم أطلق صبرا عليها فبعثت في ٢٥ مايو سنة ١٩٢١ بكتاب الى المغفور له الزعيم الخالد الذكر سعد ، كاشفته فيه - كجندى من جنوده - بالمرارة التي شعرت بها للطريقة التي قوبل بها الرجل الذي كان ينطق بلسان الوفد الى عهد قريب ، حتى فيما اختلف وایاه في الوقت الحاضر ، من ناحية تعديل الاساس ورجوت من الزعيم في اخلاص وحرارة أن يكف الاذى عن المجاهد الكريم ويعمل على استرجاعه الى حظيرة الوفد لأنه قوة مؤمنة نابغة وبخاصة أن ما كان مختلفا عليه من حيث اشتراك الوفد في هيئة المفاوضات الرسمية قد حسم بتشكيل تلك الهيئة من فريق الحكومة وحدها ، وبعد ثلاثة أيام استدعاني المغفور له عاطف بركات باشا عن طريق أحد زملائي الذين كانوا يترددون على بيت الأمة فأدركت سبب الدعوة وقصدت في عصر ذلك اليوم - وكنا في شهر رمضان - الى دار جريدة الأخبار حيث لم أجد الا المغفور له

الأستاذ أمين الرافعي قائما يصلى ومعه شقيقه الأستاذ  
 عبد الرحمن الرافعي - اطلعتما على صورة خطابي للزعيم  
 سعد ، وأنهيت اليهما نبأ الدعوة التي تلقيتها واستوضحت  
 الراى فيما يحتمل ان يدور بينى وبين عاطف بركات  
 باشا فما كان من الأستاذ أمين الرافعي الا ان ابتسم وترك  
 لى حرية التصرف ، أما شقيقه الأستاذ عبد الرحمن  
 الرافعي ، فقد جذب تلبيتها مؤكدا انها ستكشف له فى  
 القليل عما يوجه رجال الوفد الى الأستاذ أمين الرافعي  
 مما أعرف بحكم صلتى به ، وكتابتى فى صحيفته انه براء  
 منه . وبعد غروب ذلك اليوم بقليل وقبل ان يزخر بيت  
 الأمة برواده ، كنت أمام عاطف بركات باشا فى حجرة مكتبة  
 الزعيم سعد ، فذكرنى انه - وهو يقرب النظر فى بريد  
 الرئيس - أطلع على خطابى اليه فرأى ان يحدثنى فى  
 موضوعه، فليس أحب الى الوفد من استئناف التعاون فى  
 العمل من أجل الوطن مع الأستاذ أمين الرافعي وان كانوا  
 قد سعوا اليه من طريق المرحومين محمد سعيد باشا  
 وفتح الله بركات باشا ، ولكنه كان كالحصان الجامح يعرض  
 على اللجام فلا يستطيع أحد كبح جماحه على ان هذا  
 لا يمنع من أن أجرب وساطتى . وقد يضع الله سره فى  
 اضعف خلقه . وعندما تساءلت عما اذا كان هذا هو راى  
 الزعيم سعد ، أجابنى عاطف باشا بأنه يعرض حلا سيكون  
 هو المسئول عن تنفيذه ، وأضاف قوله ان الوفد اذ يرحب  
 بعودة الأستاذ أمين الرافعي الى مكانه الاول منه فإنه  
 يشترط أن تكون تلك العودة قلبا وقالبا ، والا يحاول ان  
 يملأ على الوفد خطته . وادرنا الحديث بعد ذلك فى  
 مواضيع شتى متصلة بالخلاف ثم استأذنت فى الانصراف  
 لمقابلة الأستاذ أمين الرافعي على ان أعود الى بيت الأمة



فى المساء نفسه لموافاة عاطف باشا بنتيجة المساعى ،  
 وقصدت الى دار الاخبار وقابلت صاحبها وأبرزت ترحيب  
 الوفد باستعادة نشاط صاحب الاخبار ولم أفسس شروط  
 العودة ، واذا بالرجل يجيب فى اصرار بأنه عول على الا  
 ينتمى الى أى حزب او جماعة وانه سيظل ما بقى حيا  
 يعمل بوحى ضميره غير ناظر الى من يرضى او يعضب .  
 ولما ذكرته انه صاحب رأى يعنيه ان ينتشر وان مجانبته  
 للأغلبية ستحجب رايه عن الكثرة ، قال : « ساكتب طالما  
 اشعر ان هناك فردا واحدا فى الأمة يقرأ لى » . واستطرد  
 امين الرافعى يقول : لعلك لا تعرف اننى الوحيد فى هذا  
 البلد الذى احتج عمليا على بسط الحماية البريطانية على  
 مصر اذ أغلقت جريدة الشعب وطويتها عن الناس مما  
 حدا بالسلطان حسين كامل أن يستدعيني ليفهمنى أن  
 توقف جريدتى عن الظهور فى هذه الظروف يعتبر طعنا  
 فى وطنيته ، وعندما انصرفت من حضرته قابلنى كبير  
 الأمناء وحاول أن يضع فى جيبى خمسة آلاف جنيه بحجة  
 ان حجب الجريدة ، يرجع الى نضوب موارد المالية فأبيت  
 عليه واستمسكت بالرفض فى عناد شديد ولم يكن فى  
 جيبى اذ ذاك الا عشرة قروش ، وكان عطف أخى عبدالرحمن  
 هو وحده سندى وعليه بعد الله معتمدى وقد ترتب على  
 موقفى هذا ان خرجت فى ذلك اليوم من سراى عابدين  
 لأدخل ضيفا على المعتقل لاشهر عديدة ، مليئة بالاضطهاد  
 والتعذيب والتنكيل ، أفظن ان من كانت هذه حالته  
 يمكن أن يقيد قلمه ورايه بقيود جماعة أو هيئة ..  
 وعدت الى بيت الأمة فى المساء المتأخر وهمست فى اذن  
 عاطف باشا قائلا : ابعدوا الطلبة عن امين الرافعى وكفوا  
 عن العدوان ، والزمن كفىل بأن يقرب ما بينه وبين الوفد

فقال : واذا سال سائل عن سبباً في اخفاق سعيك فهل تقول انه الوفد او امين الرافعى ؟ قلت : امين الرافعى كانسان من حقه أن يقضب لاستباحة دمه فلا أقل من أن نستعين عليه بالزمن في ظل جو هادىء . قال : الى هذه اللحظة كنت أحسبك محايداً فاذا بى أراك متحيزاً . قلت : أفيمكن أن يكون الساعى الى الوفاق الا محايداً اصدق الحيايد .

وعندما قطعت المفاوضات بين مصر وبريطانيا كتب الرافعى في ١٩٢١/١١/٢١ يقول : لقد كنا خصوم الوفد الرسمى لانه قبل مبدأ المفاوضة على غير الاساس الصالح لتحقيق مطالبنا ، فلما ازمع السفر جددنا معارضتنا له فى خطته ، ثم انتظرنا نتيجة سعيه لنحكم على عمله . واكد الرافعى انه لم يتسرع فى الهجوم على أعضاء الوفد المصرى كما فعل آخرون بل آثر الانتظار حتى ظهرت الحقيقة : « ولعل فى هذا ما يحمل الطاعنين فى ضمائر الناس المتسرعين فى اتهام مخالفهم على أن يخفوا من غلوائهم ويقلعوا عن أمثال هذه الخصومات الشخصية الضارة ، وأن تكون خصومتهم شريفة رائدها حسن النية ومقصورة على المبدأ وحده ، لأن الخصومة القائمة على الكذب والتضليل تكون مجردة من الشرف وخليقة بالازدراء ودليلاً على أن صاحبها لا يحمل بين جنبيه ضميراً يبنى حسابه » .

وينفى سعد زغلول للمرة الثانية وينسى الرافعى كل ما كان بينه وبين سعد زغلول من خصومة ، ويجند نفسه للدفاع عن سعد زغلول وضرورة تمتعه بالحرية . ويسمع أن سعداً مريضاً ، فيكتب مقالات عديدة مطالباً بالافراج عنه والاهتمام الخاص بصحته .

وتجرى الانتخابات. ويفوز سعد بالأغلبية الساحقة. في هذه الانتخابات ، وفور ظهور النتيجة طلب الرافعى من يحيى ابراهيم باشا رئيس الوزارة ، الذى سقط فى الانتخابات هو وبعض وزرائه بالاستقالة لتجىء وزارة حزب الأغلبية ويكتب الرافعى كثيرا عن أحلامه وآماله فى تلك الوزارة ثم يصدىم بخطاب العرش .

على أن الجدير بالذكر ان الخصومة بين سعد زغلول وأمين الرافعى التى قامت اثر هجوم أمين على خطبة العرش الاولى التى كانت باسم الوزارة السعدية ، قد ظلت قائمة الى أن لقي سعد زغلول ربه فى ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ أى قبل وفاة الرافعى بأربعة أشهر تقريبا ، وهناك حقائق لابد من تسجيلها لتحديد العلاقة ما بين أمين الرافعى وسعد زغلول : أولا - ان الرافعى عندما كان يقف الى جانب سعد زغلول كان يؤمن بأن الصالح العام يقتضى الوقوف الى جانبه ، وعندما كان يعارضه بشدة وعنف لم يكن ذلك لمصلحة شخصية بل كان يستهدف الصالح العام أيضا .

ثانيا - ان أمين الرافعى انفرد دون غيره من أبناء الحزب الوطنى بالثقة فى سعد زغلول . وثق به يوم ان رشح نفسه لانتخابات الجمعية التشريعية وشجعه بالرغم من أن محمد فريد كان يريد أن يأخذ على سعد الموائيق بأن يعلن عن انتمائه للحزب الوطنى بعد فوزه ، ووثق به أثناء تكوين الوفد المصرى ، وأيده بينما كانت الغالبية من أعضاء الحزب الوطنى تعارض سعدا معارضة عنيفة ، ودافع عنه أيضا وهو فى المنفى ولم يكن الرافعى فى ذلك كله ساذجا ولكنه كان يرى أن الطريق الذى سار فيه هو اسلم الطرق .

ثالثا - عندما اختلف أمين الرافعى مع سعد زغلول لم يشأ الرافعى ان يستقل ما لديه من تلغرافات وخطابات ووثائق كانت تحت يده بوصفه سكرتيرا مساعدا للجنة الوفد المركزية ، ولم يسمح أمين الرافعى لاحد باستغلال هذه الوثائق لضعاف مركز الوفد ومركز سعد بالذات وكانت حجة أمين فى ذلك ان الخصومة فى الراى مهما عنفت واشتدت لا يمكن ان تصل الى حد افشاء الاسرار التى أوتمن عليها احد الافراد فى وقت من الاوقات وكان كل ما يفعله الرافعى ان ينشر فقط رسائل المديح والاطراء التى كان يرسلها اليه سعد من الخارج .

رابعا - كان سعد زغلول يحشى أمين الرافعى وكان يعرف ان لديه الكثير من الحجج المقنعة وان خصوم سعد بل انصاره يثقون فى رجاحة راى الرافعى ونبل مقاصده ولذلك كان سعد زغلول يحاول باستمرار أن يستميل اليه الرافعى . وكان يقف فى طريق الاستمالة صلابة أمين الرافعى وتمسكه بوجهات نظره .

## منقذ الدستور

كان الرافعى بطبعه وثقافته وميوله يؤمن بالشعب وحكم الشعب ويرى فى الحياة النيابية خير علاج لما تعانيه الشعوب المستعبدة من كوارث ونكبات ، ومنذ أن حمل القلم وهو ينادى بضرورة تحقيق الحكم النيابى وعندما دعا الحزب الوطنى بقيادة محمد فريد الى توقيع عرائض المطالبة بالدستور اشترك الرافعى فى هذه الحملة كصحفى وسياسى ، وعندما صرحت الوزارة فى ٨ فبراير ١٩٠٨ فى الجمعية العمومية بأن الوقت لم يحن بعد لحصول البلاد على مجلس نواب بادر الرافعى الى مهاجمة الحكومة مؤكدا « ان شعب مصر أرقى بكثير من الشعوب التى حصلت على الدستور فى أوروبا » - ولم يترك الرافعى أية فرصة دون أن يستغلها للحديث عن أهمية الحصول على الدستور ، ورغم ضعف اختصاصات الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين الا أن الرافعى كان يهتم بهما ، ويولى جلساتها أهمية خاصة .

وعندما بدأت جلسات الجمعية التشريعية ، راح الرافعى كأى محرر برلمانى نشيط يتابع جلسات الجمعية التشريعية ويعقب على المناقشات التى تجرى فى هذه الجلسات ، واقترح الرافعى إنشاء معارضة داخل الجمعية التشريعية ورشح سعد زغلول لزعامة هذه المعارضة

وعندما قامت الحكومة بتعيين بعض اعضاء الجمعية التشريعية ، لم يشأ الرافعى ان يقف موقف العداء من هؤلاء الاعضاء لان الحكومة - وهى خاضعة للنود الاستعمارى - قد عينتهم بل راح يبدى اهتماما خاصا بهم ويعلم ان الشعب يطلق عليهم آمالا كبيرة .

ويستمر الرافعى فى الاهتمام بأعمال الجمعية التشريعية ويهتم الاعضاء بما ينشره الرافعى من مقالات ويعرض سعد زغلول بوصفه وكيلا منتخبا للجمعية على امين الرافعى وظيفة سكرتير الجمعية بمرتب مفر فيأبى الرافعى مؤكدا ان مجاله ليس تقلد الوظائف الحكومية وانما فى العمل الصحفى المتحرر، وعندما اكفهر الجوالدولى فى منتصف ١٩١٤ وصدر الامر العالى فى ١٨ اكتوبر ١٩١٤ بتأجيل انعقاد الجمعية الى اول يناير ١٩١٥ قال الرافعى : « ان الظروف الراهنة لا تستدعى تأجيل جلسات الجمعية بل بالعكس فان هذه الظروف تؤكد ضرورة دعوة الجمعية التشريعية للانعقاد » وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وقيام ثورة ١٩١٩ وبداية الخلاف بين سعد وعدلى دعا الرافعى الى عقد جمعية وطنية لتبدى رأيها فى هذا الخلاف باعتبار ان الشعب هو مصدر كل سلطة ، وهو وحده المرجع الاول والاخير فى كل ما يتعلق بشئون السياسة ، ويكرر الرافعى دعوته الى انتخاب جمعية وطنية لبحث اى اتفاق يمكن ان تصل اليه مصر وبريطانيا .

وعندما شرعت وزارة ثروت باشا فى اعداد دستور للبلاد سل الرافعى قلمه ، دفاعا عن حق الشعب فى وضع دستوره ، وعاب على الحكومة التجاؤها الى الوسيلة العتيقة التى تجعل وضع الدستور من مهمة لجنة

حكومية ، وقال ان الشعب فى عام ١٨٨٢ هو الذى قام بوضع الدستور ، ولا يمكن ان يعود الشعب الى الوراء اربعين عاما . وطالب بانتخاب جمعية وطنية تتولى وضع الدستور باعتبارها منتخبة من الشعب ، وكتب الرافعى مقالات عديدة عن « كيف تضع الامم دساتيرها » وتتبع أعمال لجنة الدستور ، وناقش المبادئ العامة التى وضعتها وكتب سلسلة من المقالات عن المبادئ العامة التى اراتها اللجنة الاخذ بها ، كما كتب سلسلة مقالات أخرى عن مشروع لجنة الدستور وكتب سلسلة مقالات أخرى عن الدستور ذاته بعد صدوره .

وتعتبر مقالات الرافعى عن الدستور من اروع المقالات التى كتبت عن حق الشعب فى حكم نفسه بنفسه . وتصلح هذه المقالات ان تكون وحدها كتابا قائما بذاته ، ومما يجدر بنا أن نذكره أن سعد زغلول كان يحتفى بهذه المقالات ، وكان يعتبرها خير معبر عن آرائه : قال سعد زغلول فى الحفلة التى اقامها له الطلاب « تسألوننى عن رأيى فى الدستور وأقول لكم انى قرأت كل ما كتبه أمين الرافعى فى نقده وكأنه يستلهمنى ما كتب ! » .

وكتب سعد زغلول خطابا الى طاهر اللوزى يقول فيه : « وعدتكم ببدء ملاحظاتى على الدستور ، وهى بالاجمال انه أنشأ للبلاد حكومة مطلقة فى الظاهر ومقيدة فى الحقيقة . وفتح للانجليز بابا واسعا للدخول منه فى شئون البلاد وادارتها بما يعوق تقدمها ونجاحها من غير أن يتعرضوا للمسئولية ، اذا أرادت البلاد تقييد هذه السلطة ، بما يمنح هذا التدخل لم يمكنها ذلك الا بتعديل الدستور وتعديله لا يتأتى الا باجماع شروط صعبة الاجتماع وأهمها موافقة الملك ، وقد فصل ذلك أمين بك الرافعى فى ملاحظاته على الدستور وقد قرأت منها لغاية

الملاحظة ١٢ فاستجيبنتها كل الاستجسان » .

ويرد الرافي على هذا الخطاب بقوله : « اطلمت اليوم على خطاب معاليكم لصديقي ظاهر اللوري الذي اشرته فيه الى نقد الاخبار للدستور واستحسانكم لهذا النقد ، واني مفتبط كل الاغتياب لتقديركم لهذه المقالات وموافقتكم على ما تضمنته من الآراء » .

ويتولى الرافي باستمرار الدفاع من الدستور عند كل أزمة يتعرض لها ، وعندما قام زيور باشا بحل مجلس النواب مرتين لسبب واحد ابتكر أمين الرافي فكرة عقد مجلس النواب بحكم القانون في السبت الثالث من نوفمبر ١٩٢٥ ودعا الرافي الى تنفيذ الفكرة واجتمع البرلمان في فندق الكونتنتال وتفرغ عن اجتماعه انعقاد المؤتمر الوطني في فبراير ١٩٢٦ الذي قرر - مع معارضة أمين الرافي دخول الانتخابات وفيما يلي قصة هذا العمل الدستوري الذي كان من أجل الاعمال التي قام بها في تاريخ حياته قال أمين الرافي :

في مساء يوم السبت ٧ نوفمبر ١٩٢٥ بعد الفراغ من عملي اليومي في جريدة الاخبار أخذت أقرأ كتابا وضعه الاستاذ بول فافر في البحث الخاص بحل الجمعيات البرلمانية ابتغاء الوقوف على آراء علماء الدستور في مدى السلطة التي تخول الحكومة الانفراد باصدار القوانين خلال الفترة التي يكون فيها البرلمان منحلا . فلم أكد اتم القسم الاول من هذا الكتاب حتى رأيت نفسي امام غاية أخرى غير التي كنت أسعى وراءها لأن الآراء التي ادلى بها الكاتب في مسألة حل البرلمان والآثار التي ترتبت عليه كانت بمثابة قيس من نور هداني الى طريق جديد كان مغلقا أمامي وأمام قري .



وتدونت لدي عناصر الفكرة التي عزمتم على الكتابة فيها ولا يستطيع ان أصف مقدار سروري باهتمامي الي هذه الفكرة التي اعتقدت ان تنفيذها يخرج البلاد من الازمة التي كانت تتخبط فيها وكذبت اصيبح وجدتها ؛ لقد وجدتها ، كما فعل ارثيبيدس حينما اكتشف فجاء قانون الوزن النسوى - وما لبثت ان فاستحت بعض الاخوان بهذه الفكرة وناقشتهم واقتنعوا بها وان كانوا لم يتوقعوا نجاحها وبدأت حملتى من اليوم التالى ( الاحد ٨ نوفمبر ) ولكنى كنت اخشى كثيرا كما خشى اخوانى أن تحبط هذه الفكرة وتقف عند مجرد الادلاء بها دون أن يسمع لها النواب « وتدخل فى دور التنفيذ بيد ان الله قدر لها النجاح فكتبت أكثر الصحف فى تأييدها واتفقت كلمة الأحزاب على الدعوة اليها ونشطت الامة لتحبيذها ونهض نواب البلاد لتنفيذها وكانت الايام القليلة التي تفصل ٨ نوفمبر عن ٢١ نوفمبر حافلة بحركة وطنية كبرى كللت بفوز باهر بالرغم من المساعى التي بذلتها الحكومة وقتئذ لاحتباط هذه الفكرة . . انعقد البرلمان اذن فى فندق الكونتنتال بين سمع الحكومة وبصرها فكان لهذا العمل اثران فى نفسى : الاول : سرورى بانقاذ الدستور وفوز الامة واندحار الحكومة وهو ذلك السرور الذى عم البلاد واشتركت فيه جميع الطبقات ، الثانى : ارتياح ضميرى ارتياحا يشعر به كل من وفقه الله الى دعوة صالحة كتب لها النجاح . »

وفى نفس اليوم المحدد لاجتماع البرلمان كتب الرافعى يقول : استئناف الحياة النيابية وانعقاد البرلمان بارادة الشعب - اجتمع البرلمان بالرغم من ارادة الوزارة - اجتمع البرلمان بالرغم من القوى المسلحة - اجتمع

البرلمان بالرغم من الخطة الحمقاء التى اشار بها حلمى عيسى وعلى ماهر - اجتمع البرلمان رغم كل شىء - اجتمع البرلمان وأنف الاستبداد راغم - اجتمع البرلمان فسجل فى تاريخ مصر صفحة خالدة سيقرا فيها العالم بأسره ان مصر لا تعرف الهزل فى حياتها وانما تعرف الجد - انه لدرس جليل لفته الامة على المستبدين واشهدت العالم على ان الروح الوطنية تدب فيها ديب الحياة وان نارها أصبحت موقدة فى كل قلب من قلوب ابنائها ، فلا يستطيع أى مستبد ولا أى ظالم ان يخمدتها أو يضعف أثرها » .

ويصف عبد الرحمن الرافعى هذا الحدث الضخم - فى مذكراته المخطوطة التى نحفظ بها والتى لم تنشر بعد - بقسوله : كان يوم السبت ٢١ نوفمبر يوما مشهودا فى تاريخ مصر وفى تاريخ الحياة البرلمانية المصرية ففيه انعقد البرلمان من تلقاء نفسه فى فندق الكونتنتال بالرغم من ارادة الحكومة : ان الفضل فى هذه الحركة العظيمة يرجع الى شقيقى امين الرافعى لانه هو الذى ابتكر فكرة وجوب انعقاد البرلمان فى ٢١ نوفمبر طبقا للمادة ٩٦ من الدستور وكتب سلسلة مقالات مملوءة حججا قوية وبراهين قانونية فى وجوب انعقاد البرلمان من غير دعوة من الملك . كتب أول مقالة فى الاخبار يوم ٨ نوفمبر ١٩٢٥ واثبت ان مرسوم الحل قد بطل بالمرسوم الذى أوقف عملية الترشيحات بسبب شروع الحكومة فى تعديل قانون الانتخابات ، ومع ان الاخبار ليست منتشرة مع الأسف فان الفكرة لقيت تعظيما كبيرا من الصحف لأن السعديين والاحرار الدستوريين والجمهور كانوا متعطشين لعودة الحياة النيابية بعدما

عانوا من سيئات حكومة الاتحاد ما عانوا . وافق الاحرار الدستوريين بلسان صحيفة « السياسة » على الفكرة وكذلك اقرها السعديون في صحفهم . وصارت حديث الناس في مجالسهم على اختلاف احزابهم وأعلن حافظ بك رمضان باسم الحزب الوطنى قرار اللجنة الادارية فى ١٣ نوفمبر ١٩٢٥ بدعوة نواب الحزب الوطنى فى البرلمان ومن ينحو نحوهم من النواب الى الاعتقاد فى دار البرلمان يوم ٢١ نوفمبر طبقا لاحكام الدستور فكانت هذه الدعوة الرسمية من الحزب الوطنى تسجيلا لفكرة أمين بك ان الحزب الوطنى هو صاحب الفضل فى هذه الفكرة من مبدأ ظهورها وظهر ان سعد باشا فى خطبته التى كان ينوئ القاءها يوم ٢٣ نوفمبر موافق على الفكرة ولو انه لم يشأ ان يردها الى صاحبها وقال انها ليست جديدة والحق انها جديدة لأن أمين بك هو الذى ابتكرها ولولاه لما التفت أحد الى وجوب انعقاد البرلمان ، بعد حل مجلس النواب تبين ان الاحزاب كلها وافقت اذن على الفكرة فوجب على النواب أن يلبوا الدعوة فاهتمت الأمة بهذه المسألة اهتماما عظيما لأن انعقاد البرلمان بعد حل مجلس النواب حادث خطير يعيد الحياة النيابية الى البلاد رغم ارادة الحكومة، وانهمر سيل التفرقات على جميع الصحف تأييدا للفكرة وكان واجبا على أن أعمل على نجاح الفكرة والحق انى قمت بمجهود عظيم فى سبيل نجاحها سافرت الى مصر صباح يوم الأربعاء ٨ نوفمبر فتقابلت مع اخوانى أعضاء الحزب لنتفق على طريقة اجتماع البرلمان ونتفاهم مع نواب الاحزاب الأخرى على طريقة الاجتماع وكانت الحكومة قد شغرت بخطورة الفكرة فأعلنت بلسان صحافتها انها ستمنع الاجتماع وأنها ستعتبره باطلا وانها

ستحيط دار البرلمان بقوة جنودها في الجيش والبوليس لمنع الاجتماع واصدرت بلاغا تطلب فيه من النواب والشيوخ ان يمتنعوا عن عقد اجتماع قالت انه باطل وتهدهم بانها ستمنع الاجتماع في دار البرلمان وفي اي مكان آخر .

عزمت على ان اقوم بواجبي في سبيل التفاهم بين الاحزاب فقابلت فتح الله بركات باشا في منزله صباح الخميس وسالته عما اذا كان الوفد قد نظم طريقة اجتماع البرلمان فرأيت تخوفا كبيرا من عواقب الاجتماع ودهشت لانى اعلم ان انعقاد البرلمان في هذه الظروف هو لمصلحة الوفد لان الاغلبية فيه للسعديين ولقد قال لى ان الفكرة هي فكرة الحزب الوطنى فعليه هو ان ينظم الاجتماع فقلت له ان الحزب الوطنى هو حقيقة صاحب الفكرة ولكن ليس له الاغلبية بل هو اقلية صغيرة ولا يطلب من الاقلية وضع خطة تنفيذ الفكرة وكانت المناقشة على غير جدوى واخيرا فهمت منه انه يفضل مقابلة حافظ بك رمضان لسعد زغلول ليتكلم في هذا الموضوع وكنت عالما ان حافظ بك غير راغب في هذه المقابلة لتكرار ورود اسمه في تشريفات بيت الامة حينما قابل سعد باشا غير مرة منذ اكثر من شهر فلمحت لفتح الله بركات الى هذا المانع وقلت له انه ليس من المناسب عندما يقابل مثل حافظ بك سعد باشا ان يرد اسمه في التشريفات ويبلغ الصحف واخيرا فهمت انه لا بد لحل هذه العقدة من ان يتقابل حافظ بك مع سعد باشا فذهبت الى نادى الحزب الوطنى واجتمعت واخوانى وافهمتهم الحديث الذى دار بينى وبين فتح الله باشا وكان حافظ بك مترددا لان نفس اعضاء الحزب كانوا يلومونه على تكرار مقابله لسعد وبعد

مناقشة طويلة استقر الراى على ان يقابله فتقابلنا مع  
فتح الله باشا وعلى الشمسى ودعانا فتح الله الى الفداء  
فى منزله فذهبتا معه لتتم مساعينا فى سبيل التفاهم ...  
ورايته من حديث فتح الله احتفظ بك انه شديد الوجل  
من اجتماع البرلمان وقد لاحظت انه يتخوف من هدم نشر  
الأحرار الدستوريين لقراراتهم وانه لا يثق بهم فهو لا يريد  
ان يغرد النواب السعديون بتحمل هذه المسئولية مع  
نواب الحزب الوطنى فلما عرضنا عليه ان يتداول النواب  
قبل يوم الاجتماع فى اصدار قرارات يوقعونها حتى تكون  
معدة للنشر يوم ٢١ نوفمبر فيما اذا لم يتيسر عقد  
البرلمان أظهر كذلك تخوفه من عواقب هذه الطريقة وقال:  
كيف تضمنون ان لا تصل الحكومة الى استكتاب قرارات  
تناقضها من باقى الأعضاء وافترقنا الساعة الثالثة على  
ان يعود حافظ بك لمقابلة سعد باشا فى بيت الأمة  
الساعة الخامسة لان سعد كما يقول فتح الله باشا هو  
مفتاح الباب ، ذهب حافظ لمقابلة سعد باشا فى الموعد  
فالقاه ايضا متخوفا جدا من الاجتماع - وكان حديث  
فتح الله باشا صورة لأفكار سعد وقد ألح عليه حافظ بك  
فى ضرورة العمل وأن الجمود يقضى على الحركة كما  
انه يؤثر فى مركز سعد والظاهر ان حديث حافظ بك  
قد أثر فى نفس سعد وأخرجه من الجمود لانه فى  
المساء دعا حافظ بك من جديد لمقابله بعد العشاء فعلمنا  
انه حصل تطور فى الموضوع ولكن قبل ذلك نشر سعد  
نداء للأمة بالتزام الهدوء والسكينة فى يوم ٢١ نوفمبر  
ففهمنا من ذلك انه ما زال شديد التخوف من عواقب  
الاجتماع والتصادم مع قوة البوليس والجند - كتبت  
فى مساء الخميس مشروع قرارات يقررها البرلمان

مجتمعا يوم ٢١ نوفمبر وكان من رأى أن نتفق قبل هذا اليوم على صيغة القرارات وأن يجمع عليها النواب للأحزاب المختلفة حتى لا يحصل أى خلاف يوم ٢١ نوفمبر وحتى يمكن عقد اجتماع قصير ينتهى باعلان هذه القرارات - فكرت فى ذلك لأننا كنا نتوقع أن الحكومة لا تمكنا من عقد اجتماع صحيح فوافق اخوانى أعضاء الحزب على هذه القرارات وذهب حافظ بك رمضان وعبد الحميد بك سعيد الى نادى الأحرار الدستوريين لعرضها على أقطابهم الذين كانوا مجتمعين فى ناديبهم وهم عبد العزيز بك فهمى ومحمد على باشا وحافظ بك عفيفى ومحمود باشا عبد الرازق ومحمد باشا محمود ، وانتظرت أنا فى نادى الحزب الوطنى لكى ألقى طلباً من بيت الأمة لأبلغه الى حافظ بك ولم يوافق زعماء الأحرار الدستوريين على الصيغة التى وضعتها لأنها عبارة عن اعلان ثورة فى نظرهم» ويمضى عبد الرحمن الرافعى فى ذكر الحديث عن الخطوات التى أدت الى لقاء الأحزاب الثلاثة : الوفد والحزب الوطنى والأحرار الدستوريين - وكان الحزب الوطنى كما ذكر حافظ رمضان هو موقف الزوج بين ضرتين ( الوفد والأحرار الدستوريين ) لا يستطيع كيف يوفق بينهما . ويذكر الرافعى كيف كان الأحرار الدستوريين أسرع الى تنظيم الاجتماع قائمهم اتفقوا مع فندق الكونتنتال على أن يبيت أكبر عدد ممكن من النواب ليكونوا على موعد للالتقاء باخوانهم صباح السبت ، وكنت ممن بات فى الفندق ليلة الاجتماع وكنا لغاية الصباح مترددين فى هل نعقد الاجتماع فى الكونتنتال ام نذهب الى دار البرلمان ونحاول أن نفتحم أبوابه ، وقد كان من رأى أن نجرب هذه المحاولة فان نجحنا انعقد البرلمان

فى داره وان لم تنجح عدنا الى الكونتنتال ، وعقدنا اجتماعنا فيه وكانت الاشاعات متضاربة والانباء مزعجة فيما ستفعله الحكومة لمنع الاجتماع فان البلاغات والتعليمات التى أصدرتها الحكومة ووزارة الداخلية كانت تقضى بمنع الاجتماع فى اى مكان ولو باطلاق النار وأعدت الحكومة احتياطات عسكرية كانما نحن فى حالة حرب وكان الناس فى البـلـاد فى خوف وقلق وانزعاج . على انى نمت فى الكونتنتال نوما هادئا .

تقابلت فى الصباح بردهة الكونتنتال ببعض النواب الذين بكروا فى الحضور وكنت ارى على الوجه ابتسامة الحزم والعزم فتفاءلت خيرا ، وكانت القوات المسلحة منتشرة فى الشوارع والطرق والقوة الكبرى معسكرة فى دار البرلمان ، على ان الذى لاحظته ان الجنود وضباطهم كانوا يظهرهم عطفهم واحترامهم للنواب والشيوخ واعجابهم بهذه الحركة المباركة . والواقع ان الجيش لم يكن فى صف الحكومة وكذلك البوليس وهذا مكسب كبير لنا وكنت على يقين انه اذا استمر التضامن الذى ظهر فى اجتماع الكونتنتال فان الحكومة لا تجد اية قوة تركز عليها لمقاومتنا .. الى ان كانت الساعة العاشرة فعددنا الحاضرين منهم فوجدناهم نحو ١٨٠ نائبا وشيخا ، وكانت اغلبيـة النواب المطلقة قد تكامل عددها فاصبح من الممكن عقد مجلس النواب ، وكان سعد باشا لا يريد حضور الاجتماع ، هذا امر واقع ، وكتابة صيغة الاحتجاج الذى وقعـه النواب السعديون تدل على انهم يريدون الاكتفاء بالاحتجاج واعلان ارادة النسواب فى أن يجتمعوا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .. واذكر اننا عندما كنا فى منزل سعد باشا ليلة الجمعة قال لنا بصراحة يجب ان

تكتفى بالاحتجاج وان لا نحاول الذهاب الى البرلمان او الاجتماع لأنه كان متخوفا من العواقب ، ولكن تطور الحال صباح السبت ارجعه عن عزمه واقنعه بالعدول عن رايه والحضور لمشاركة الأعضاء فى اجتماعهم وليس من شك أن من مهارة سعد مسيطرة الظروف وانتهازه الفرص الطارئة والاستفادة منها ولكن يظهر ان سعد لما تكامل عدد النواب وأخذوا يوقعون القرارات التى اتفقنا عليها خاطبته بعض أعضاء الوفد فى التليفون فى ضرورة الحضور ، فحضر والأعضاء يوقعون - والحق ان حضوره أثار الحماسة فى النفوس لا فى الأعضاء وحدهم بل فى الجماهير ويجب أن نعتزف بأن لسعد شخصية كبيرة مؤثرة فى الاجتماعات وتزيدها قوة ، هذا هو رأى وان كنت أعتقد ان أنانية سعد قد أضرت كثيرا بالقضية الوطنية كما انها فككت الوحدة القومية وكنت أعتقد انه اذا استطعنا ان نقلل من أنانية سعد ونجعله زعيما قوميا لا زعيما حزبيا لاستفادت البلاد كثيرا من هذا التطور : والواقع انه حضر اجتماع الكونتنتال بروح مسالمة وهودة مع خصومه السياسيين لا بروح التعصب الحزبى الذى اشتهر به والذي رأته فيه حتى ليلة الجمعة .. حضر سعد ومد يده نحو خصومه ورفع راية التضامن القومى بالكلمة التى ألقاها بعد انتخابه رئيسا .. وسعد هو مقترح اجراء انتخاب اعضاء مكتب المجلس والواقع انه محق فى اقتراحه لاننا ما دمنا اعتبرنا انعقادنا دستوريا وأصدرنا قرارات برلمانية فمن الواجب علينا أن نبدأ بانتخاب الرئيس والوكيلين والسكرتيرين والمراقبين تنفيذا للاحكام اللائحة الداخلية لكن هذا الاقتراح قد أساء الأحرار الدستوريين وخصوصا عبد العزيز فهمى ومحمد على



وغيرهم لأنهم لم يكونوا يريدون مسعدا رئيسا وكانت  
 حجتهم ان انتخابه رئيسا يفضب الملك ويعتبر تحديا له  
 ولا أنفى عنهم من التأثير في هذه المسألة بالحزبات القديمة،  
 لاننا اذا كنا نريد اعادة الدستور والحياة الدستورية  
 فيجب علينا ان نحترم حكم الأغلبية وهذا ما قاله سعد لهم  
 حينما اعترضوا على اجراء الانتخابات ، لاننا اما ان نريد  
 الدستور واما ان لا نريده ، فاذا كنا نريده حقا فيجب  
 علينا ان نحترم رأى الأغلبية ولا جدال ان اغلبية النواب  
 من السعديين فيجب دستوريا ووطنيا ان ترضى بسعد  
 رئيسا للمجلس واما ان نقبل الدستور في جزء منه  
 ونرفض حكمه فيما لا ترضاه فهذا ليس من الدستور في  
 شيء . وفعلا تمت انتخابات مكتب المجلس والحق انها تدل  
 على تغيير في نفسية سعد لانه رضى ان يكون الوكيلان  
 غير سعديين وجعل وظائف السكرتارية والمراقبين موزعة  
 بين السعديين وغير السعديين وفي ذلك ما فيه من روح  
 المسالمة والمهادنة - ويكتب عبد الرحمن الرافعي عن نتائج  
 انعقاد البرلمان فيقول : كان لانعقاد البرلمان نتائج خطيرة جدا  
 في حالة البلاد السياسية لأنه كان بمثابة اعلان العصيان  
 والتمرد على النظام الاستبدادي الذي تحكم به البلاد في ظل  
 عصابة حزب الاتحاد والسراي . والحق ان هذا العصيان  
 قد اشتركت فيه كل طبقات الأمة وكل الهيئات المفكرة  
 في البلاد لانه ما من هيئة تحترم نفسها ترضى بان يتحكم  
 في مصر البلاد بضعة افراد من اذنفاء النفوس وطلاب  
 المنافع الشخصية ، والواقع ان حزب الاتحاد قد ضرب  
 ضربة قاتلة بهذه الحركة المباركة . وابتدأ الشعور الوطني  
 يستيقظ من جديد ويهب بقوة ونشاط لمحاربة الظلم  
 والاستبداد بعد ان مضى عليه زمن طويل وهو مصاب

بالجمود والفتور ولا شك أن تضامن الأحزاب السياسية هو الذي هز الرأي العام وأخرجه من الجمود الذي كان غارقا فيه فهبة الرأي العام وشعور الأمة بقوة التضامن وتضعف هيئة الحكومة الفردية هي من أهم النتائج التي ترتبت على انعقاد البرلمان .. ولقد ولد اتفاق الأحزاب قوة في الرأي العام لأن الحكومة أحست بعزلتها وبالسخط الذي وقع عليها وليس في مقدورها وهي في عزلتها وضعفها أن تقاوم طويلا قوة الأمة في تضامنها واتحاد زعمائها .. وقد كسب الحزب الوطني من هذه الحركة مكسبا أدبيا كبيرا وارتفع نجم أخى أمين بعد أن كان مرموقا من الجماهير السعدية بعين السخط فالآن شعروا بأن دعوته هي التي أدت إلى انعقاد البرلمان واتحاد كلمة الأمة فاليه يرجع الفضل في هذه الحركة المباركة والآن شعروا بأنهم كانوا ظالمين في اتهمته والسخط عليه وهكذا لا يلبث الحق أن يعلو ويتغلب على العقبات والدسائس والأباطيل التي يلقيها الباطل في طريقه ..

## مع الحرية بلا حدود

كان أمين الرافعى من أصدق المؤمنين - بلا حدود - بالحرية ، حرية الكتابة وحرية الخطابة وحرية الاجتماع وحرية التعبير والحرية الشخصية وشتى أنواع الحريات ولم يكن الرافعى يكافح من أجل تحقيق الحرية له وحده أو للذين يقفون معه بل لخصومه أيضا فالحرريات هى مقومات الحياة ولا يمكن أن يحرم منها احد . . ولم يكن الرافعى يثور عند تعطيل الصحف الوطنية التى يعمل بها وحسب ، بل كان يثور عند اتخاذ الإجراءات غير العادية تجاه خصومه من الصحفيين أيضا . فتعطيل الصحافة فى رأى أمين الرافعى عمل جائر ، والزج بالكتاب والصحفيين فى السجون والمعتقلات لا يمكن أن يقضى على الآراء التى يدافعون عنها ، ولو كانت آراء خاطئة وأنما الذى يجدى ويفيد هو الإقناع ، فبدلا من أن تعطل صحيفة ما يمكنك أن توضح للرأى العام أخطاء اتجاهها وبدلا من أن تزج بصحفى فى سجن أو معتقل يمكنك أن تقضى على آرائه الخاطئة عن طريق الحوار والمناقشة . كتب الرافعى فى ٦ سبتمبر ١٩٠٩ مقالة تحت عنوان : « نحن والحكومة » أكد فيها وجود هوة سحيقة بين الأمة والحكومة « فالحكومة تهزأ بالرأى العام وتسخر منه وتعد الأمة عدوة لها لا تستحق رحمة ولا عطف » والرأى العام ساخط على

الحكومة يرفع اصوات الاستياء من أعمالها فتذهب هذه الأصوات أدراج الرياح » ويتساءل الرافعى فى نهاية مقاله : هل هناك ثورة مدبرة ؟ أحرم على الناس المطالبة بحق كان لهم من قبل ؟ أم ماذا جرى حتى آلت الاحوال الى ما نحن عليه الآن .

وكتب الرافعى فى ٢٥ مارس سنة ١٩١٠ فى ذكرى صدور قانون المطبوعات يقول : « عام انقضى على صدور هذا القانون والأمة تشن منه وتشكو من تطبيقه فلا يسمع لها احد نداء » ثم قال « ان الحصرية مهما صودرت وضويقت فى مكانها فلا يتوارى ضيلؤها ولا تغرب شمسها ولا تلبث أن يزيدا الحجب ظهورا ولا يفعل بها الضغط الا انماء وانبعاثا .

وعندما يناقش الرافعى السير جورست المعتمد البريطانى فى مصر فى تقريره السنوى يقول : يجب أن تكون الصحافة حرة لأنها تعبر عن رأى الأمة بأسرها ولأنها خلاصة أفكار الطبقة الجاهلة والطبقة المتعلمة وهى المرآة التى يرى كل انسان فيها نفسه بجانب غيره فيقارنها بسواها ويصدر حكمه بعد ذلك » .

كانت جريدة الاخبار تعادى الراى العام ويوم أن نزل الايطاليون الى شاطىء طرابلس كتبت تقول : « ادخلوها بسلام آمنين » ولكن يوم أن عطلت كتب الرافعى فى ٣ مارس سنة ١٩١٢ فى صحيفة الافكار يقول : ان ديدن الاخبار التصفيق لكل جديد لقانون العقوبات والتشفى من كل جريدة وطنية ينالها نصيب من هذا القساوتون ولكن ذلك كله لا يبرر قرار الداخلية القاضى بتعطيلها شهرين ، لاننا نبغض تطبيق القوانين الاستثنائية حتى

على خصومنا السياسيين وما دامت خطتنا انتقاد مبدأ من المبادئ وجب علينا ان لا ننظر للأشخاص ولا نلجأ الى الشتماتة كما يفعل غيرنا - ان قانون المطبوعات ما وضع الا لزمن الثورة فليس له مسوغ الآن باى حال من الأحوال ولقد رفعت جميع طبقات الامة صوتها بالاستياء منه مطالبة بالغائه فمجلس الشورى طلب الغاءه والجمعية العمومية طلبت بالاجماع الغاءه وكذلك الاحزاب وجميع الهيئات التى فى مصر فلا معنى اذن لبقاء سيفه على الرؤوس ، لا معنى لأن تكون الصحف مهددة بضرباته القاتلة فبينما القلم يخط اليوم ما شاء واذا بنا نراه فى القيد محطما ليس هذا هو الذى تطلبه أمة تنشد الحرية وليس هذا ما يتفق والقرن العشرين وليس هذا آية من آيات المدنية » .

وعندما عطلت صحيفة وادى النيل كتب الرافعى فى العلم ١٨ ابريل سنة ١٩١٢ مقالا عنيقا تحدث فيه عن تعطيل « مصر الفتاة » تعطيل ابدى ، كما تحدث عن تعطيل « الشعب » و « الأخبار » و « وادى النيل » وقال أن هذه التصرفات لا تستهدف الا شيئا واحدا وهو ان يمتنع الكتاب عن توجيه كلمة انتقاد للحكم . ولم يكن الرافعى يدافع فقط عن حرية الصحافة بل كان يدافع عن حرية التعبير بشتى صورها ، كتب فى ٥ فبراير ١٩١١ فى « العلم » ينقد التضييق على التمثيل فقال : وضع بعضهم رواية تمثيلية عن حياة نابليون فى جزيرة هيلانة عندما كان أسيرا لاكتلرا قبل موته وابان فيها المعاملة التى عومل بها ثم عرضها على نظارة الداخلية وبعد فحصها رفضت الترخيص له بتمثيلها ونحن نعجب لهذا التصرف الاستبدادى لانه ليس هناك قانون يخول الداخلية فحص

الروايات قبل تمثيلها للترخيص بمسا يوافقها ورفض ما لا يتفق مع آرائها ، ولا ريب فى أن تدخل الداخلية فى أمر التمثيل بهذه الصفة أى بغير حق شرعى يجعلنا نعتبر أنفسنا فى بلد تقام فيه الاحكام العرفية اننا لا ندرى كيف تحجر الحكومة على حريات التمثيل هذا الحجر الغريب ؟ ومن خول لها تلك السلطة الاستبدادية وما هو القانون الذى تستمد منه ذلك ؟ هذا ما نسأل عنه عطوفة ناظر الداخلية الذى صرح فى أول عهد الوزارة السعدية ( الحرة ) بأنه يعتبر الحرية حقاً طبيعياً للأمم ويمقت وسائل الضغط ، فأين هذه الحرية يا عطوفة الوزير . ونحن نرى ركنا منها يقبر بلا قانون أو لائحة بعد ما قبرت الاركان الاخرى . لقد تملكنا الخيرة يا عطوفة الوزير من هذه التصرفات التى ما كنا نسمع بها قبل الآن . يوزع الى الممثلين بعدم تمثيل بعض الروايات ، وبرغم الكتاب على عرض رواياتهم على الداخلية قبل تمثيلها وترفض هذه النظارة الاذن بتمثيلها وإذا اراد احدهم استئجار ملهى من الملاهى أو أى محل عمومى آخر لاقامة احتفال أو غيره منع من ذلك وأبى عليه صاحب المكان ما يريده الا اذا حصل على تصريح من الحكمدارية . . يحدث كل ذلك واكثر منه بغير قانون ينص عليه . فاذا سألنا عن مصدره أو المسوغ له قالوا لنا : أوامر سرية صدرت ويجب ان يجرى العمل بها ولو انصفوا لقالوا انها احكام عرفية مقامة فى البلد : اننا لا تهمنا الرواية التى منع تمثيلها وانما يهمنا ذلك المبدأ الخطير الذى وضع للتضييق على البقية الباقية من اركان الحرية « . وحول اشاعة ترددت بأن فى دار جريدة الشعب منشورات ثورية قال الرافعى : اذا أصبح للوشايات أى اثر ولو كان طفيفا فان

الحرية الشخصية تكون مهددة بخطر عظيم لقد فتش مندوب الداخلية ومأمور قسم عابدين دار « الشعب » فلم يجدوا بها شيئا « ويتساءل الرافعي عقب استدعائه الى وزارة الداخلية - وما اكثر ما استدعته هذه الوزارة في تلك الفترة - وقد وجهت اليه تهمة الكتابة فيما يدخل الشك في صحة بلاغات الوكالة البريطانية : « ما الذي يمكن ان نفعله لنكون محل رضاهم ؟ لقد اصبحت اكثر مواد « الشعب » تحرر في دوائر المراقبة او الداخلية والتلغرافات الخصوصية التي ترسل اليها لا تسلم الا بعد ان يصلح فيها الرقيب ما يصلح والتلغرافات العمومية وبلاغات الوكالات التي ترسل اليها من قلم المطبوعات تأخذ من صحيفتنا فراغا كبيرا مع اننا غير ملزمين بنشرها فما الذي يتبقى بعد ذلك حتى نحاسب كل يوم حسابا عسيرا . اننا اليوم لا ننظر الى هذه الحرب نظرة انجليزي او فرنسي وعلى ذلك لا يجوز ان نحاسب باعتبارنا انجليزيين وفرنسيين كما اننا لا ننظر اليها نظرة الماني وانما نحن نراها بعين مصرية مستقلة » .

وتقوم الحرب العالمية الاولى ونهايتها تبدأ ثورة ١٩١٩ ولا يستطيع الرافعي طوال عام ١٩١٩ أن يصدر صحيفة فيكتفي بكتابة المقالات في بعض الصحف الصديقة وعندما ساعدته ظروفه فأصدر « الاخبار » في فبراير سنة ١٩٢٠ حالت الرقابة بينه وبين ما يريد أن يقوله وسقط سيف الرقابة وبودع الرافعي اشرقاية في ١٥/٥/١٩٢٠ بكلمة يحمدهم فيها الله على ما أنعم به علينا من جلاء الرقابة على الصحف . ولا ينسى الرافعي أن يحذر من أي اعتداء على حرية الرأي أو المساس بها ، فحرية الرأي يجب أن تكون مقدسة محترمة .

وفى دراسات الرافعى عن الدستور يؤكد على ضرورة  
 الحرص على الحريات وقد كان الرافعى أول من نبه الى  
 الخطر الجسيم الذى جاء فى الدستور عندما نص على  
 « ان اندار الصحف او وقفها او القائها بالطريق الادارى  
 محظور الا اذا كان ذلك ضروريا لوقاية النظام الاجتماعى »  
 وقال ان هذه العبارة الاخيرة قد سلبت الصحافة حريتها  
 الصحيحة ، لان محاسبة الصحف بالطريق الادارى انما  
 هو قضاء على الصحافة وحريتها ولا سيما اذا استخدم  
 فى هذا السبيل نص مبهم غامض مرن لا حدود له ولا قيود  
 اذ ان وقاية النظام الاجتماعى يمكن تطبيقها على كثير  
 من الأمور ، أن تدخل الادارة فى شئون الصحف لا سيما  
 فيما يتعلق بحياتها وموتها انما هو تدخل سيىء المغبة يطعن  
 الحرية طعنا قاتلا مهما كانت الاسباب الداعية لهذا  
 التدخل لانه تدخل لا مبرر له اذ حرية الصحافة تحتم  
 أن يكون حساب الصحف من حق القضاء وحده أما  
 الطريق الادارى فانه طريق استبدادى محض ولا يمكن  
 التخلص من أخطائه الفظيعة ولا من شهواته السياسية  
 ولا من أغراضه الانتقامية ، ولقد دخلت البلشفية فى  
 جميع دول أوروبا ومع ذلك لم نسمع بأن حكوماتها  
 الدستورية أدخلت فى دساتيرها ذلك الاستثناء الموجود  
 فى دستورنا المصرى أو فكرت فى تعطيل الصحف أو  
 وقفها بالطريق الادارى وكم هناك من صحف تقف أعمدها  
 لنشر المذكرة الشيوعية ومع ذلك فانها اذا خالفت القوانين  
 لا تجرؤ الادارة على التدخل فى شأنها بل يعهد بأمرها  
 الى القضاء وحده فهو الذى يفصل فى جميع جرائم  
 الصحافة ، بل ان كثيرا من البلاد قررت حرصا على حرية  
 الصحافة اذ لا ينفرد القضاء بمحاكمة الصحفيين وانما



بأنهى هذا القضاء بناء على قرار هيئة من المحلفين وقد بالغ الشارع الفرنسي في احترام هذا المبدأ الى حد انه حتم عدم رفع الدعوى المدنية الا امام قضاة الدعوى الجنائية حتى يمنع الفصل في أية نقطة من نقاط الدعوى الصحفية، بدون تدخل هيئة المحلفين فالتواري خلف خطر الدعوة البيلشيفية لابقاء سيف الطريق الادارى مهددا للصحف بالموت وللحرية بالفناء انما هى وسيلة يستحيل الدفاع عنها فالقضاء هو الهيئة الوحيدة التى يجب ان تحاسب الصحف على ما نشر والقانون العام هو وحده الذى يرجع اليه لمعرفة الجرائم المعاقب عليها .

روى الشاعر احمد محرم حادثة يتجلى فيها ايمان الرافعى بحرية النشر فقال : أردت يوما ان اكتب مقالا عن بعض الصحف الاسبوعية التى اغرقت فى نشر الفضائح ولما عرضت نيتى على أمين الرافعى واطهرته على مقال لبعض الزميلات من كبريات الصحف اُحت فيه بشدة طالبة وضع تشريع قال لى بلهجة الغاضب المشفق : اكتب ما تشاء ولكن لا تطلب وضع تشريع يقيد حرية الكتابة لاننا مرهقون بالقيود ، واننا نطلب الحرية مطلقة بلا قيود . قلت ولكن الحرية المطلقة لا وجود لها فقال : وهل للحياة قوانين تحدها حسب الحياة ان تكون بريئة لتكون صالحة قلت وماذا يمكن ان يصد هذه الصحف عن نشر الفضائح ان لم يكن قانون يحرم الخوض فى الشخصيات ، فقال : « الضمير » هو الشريعة فخطب ضمائر زملائنا اصحاب ومحررى الصحف الاسبوعية الجريئة على العلاقات الشخصية وعلى حوادث ما وراء الستار ، وترفق فى مناقشتهم فقد تنال باللين ما لا تناله بالعنف ، وسيلنا

هو النصيحة وما كان سبيلنا ان نستعين بالقوانين على  
تقييد الحريات لان القوانين تفسر وفق الأهواء والانها  
قد وضعت بحيث تتخذ يوما من الايام آلة للارهاق  
والانتقام » فاقنعت بوجهة نظره واقنعت بأن الرافعى  
أكبر مشرع معاصر وكنت اظنه متفقه فى القانون فاذا  
بى أراه فقيها فى علوم الحياة . ولم يغب عنى ان الرافعى  
كان يحب الحرية لخصومه وخصوم المجتمع والأمم  
المهضومة كما يحبها لنفسه : الحرية التى كان يدعو اليها  
أمين الرافعى حرية تقوم على الفضيلة وعلى الانسانية  
وعلى العدل لا حرية كتلك التى نفهمها ولكنها حرية  
يفهمها الرسل والأنبياء ولم يكتب الرافعى كلمة واحدة  
ضد حرية الاجتماعات وضد حرية المظاهرات فى الوقت  
الذى قذفت الجماهير الطائشة دار « الأخبار » ،  
بالحجارة وكادت تقتحمها عليه لانه يطلب الحرية للجميع  
ولانه يعتقد ان تقييد الحرية اذا حوى شخصه فربما  
أضر بالامة ، فليذهب هو فداء الامة ولتتوطد الحرية على  
جثته وعلى جثث سواه اذا لزم الحال .

ولم يكن عباس محمود العقاد ينتمى الى المدرسة  
الوطنية التى انتمى اليها الرافعى ولم يلتق العقاد  
والرافعى يوما فى عمل صحفى واحد ، ومع ذلك فان  
أحدا لم يفهم أمين الرافعى كما فهم العقاد ، ولم ينجح  
فى تصوير شخصيته ، كما نجح العقاد . قال عباس  
محمود العقاد يصف الرافعى : كان أمين مؤمنا وكفى  
بالإيمان عزاء فى شقاء الحياة ، وكفى به شقاء فى عالم  
الكفاح ، فلولا إيمان الرجل لما ألقى بنفسه فى ميدانه ولولا  
إيمانه لعز عليه الصبر فى بلائه فالإيمان عدوه والإيمان  
حليفه ويا لشقاء من يأتبه الكيد من حليفه الحميم

ويا لسعادة من يأتيه العون من عدوه المبين لم تكن للرافعى آراء تحتل الخطأ والصواب وانما كانت له عقائد لا تترخص بشك ولا تأذن فى هواده وكان حد العقيدة عنده ان يجهر بالرأى ، فما هو الا أن يخالف فيه المخالفون حتى يفصح عنه ويشند فى تأييده ويأخذ على المعارضين سبيل الشك فى أصوله وفروعه وحتى يلتقى الرأى والايمان ويمتزج اليقين والبرهان واذا بكل رأى كأنه دين ذو شعائر وفروض لا تختل منها شعيرة ولا تمس منها فريضة واذا بنفسه كلها قد صبت قواها على الرأى فلا بقية فيها لرأى سواه .. لقد عاش أمين لرايه وعقيدته فكان مثلاً فى الثبات وعنوانا شريفا لصناعة الصحافة وفردا من الافراد الذين رفعوا هذه الصناعة النبيلة عن طمع الطامعين وشبهة المشتبهين ... فالرافعى لم تكن له كما يقول العقاد آراء تحتل الخطأ والصواب وانما كانت له عقائد لا تحتل الجدل والمناقشة والتحوير والتأويل وكما لا يجوز الخروج على الاصول فكذا لا يجوز الخروج على الفروع : ان معتقدات الرافعى كائن حتى له قلبه وعقله وفكره وأطرافه وكل ما للكائن الحى من اجزاء والاضرار بجزء من هذا الكائن مهما صغر هذا الجزء ومهما بدت عدم أهميته اضرار بجسم الكائن كله »

كان الرافعى - مثلاً - يؤمن بأن شر ما اصاب مصر فى قلبها هو الاحتلال البريطانى وكان لا يرى من دواء لهذا الداء الا الجلاء فأى لقاء أو اتفاق أو تعاون أو مصالحة مع المحتل بدون الجلاء اضرار بالقضية المصرية واى طريق لا يوصل مباشرة الى الجلاء طريق لا امان فيه ولا يمكن لاحد أن يطمئن اليه أو يسير فيه .. والرافعى - مثلاً - كان يؤمن بالدستور والحياة النيابية القائمة على

أسس ديمقراطية سليمة ، فأى عمل داخلى لا يستهدف الحصول على الدستور ولا يوصلنا الى الحياة النيابية السليمة عمل لا يعتد به ولا خير فيه .. والرافعى - مثلا - يعتقد بحرية الصحافة فى التعبير عن آمال الشعب وآلامه ومعتقداته ومطالبه وأى قيد على هذه الحرية حتى ولو أسرفت بعض الصحف فى الخروج عن واجبها وأساءت الى المهنة قيد باطل يجب العمل بكل قوة للتخلص منه .

والرافعى - مثلا - يؤمن بأن بريطانيا قد اغتصبت مصر واحتلتها بالقوة والخيانة والخديعة وأى مفاوضة بين مصر وبريطانيا ينبغي أن تكون واضحة الأسس والمعامل بحيث تعترف بريطانيا أولا بحق مصر فى الحرية والاستقلال وبحيث تعلن بريطانيا عزمها على احترام حرية مصر واستقلالها وبعد ذلك يمكن اللجوء للبحث فى التفاصيل .

وكان الرافعى - مثلا - يؤمن بأن مركز القوة فى مصر ، فى دار المندوب السامى البريطانى فهو وحده الذى يحرك الخديو ، والسلطان والملك - كما يحرك الوزراء والساسة أو بمعنى أدق كثير من السياسيين وهو - أى المعتمد البريطانى - مهما يكن اسمه ومهما يكن الأسلوب الذى يعتمد عليه فى الحكم لا يعمل الا لتنفيذ السياسة الاستعمارية ولا يمكن أبدا لممثل بريطانيا فى مصر أن يعمل لفائدة مصر ، ولذلك فإن أى تفاهم معه ، أو تعاون وإياه - أو على الأقل السكوت على ما يرتكبه من جرائم يكون ضارا بالقضية الوطنية المصرية ، ومفيدا للمصالح الاستعمارية البريطانية وكان الرافعى مثلا - يعتقد بأن الأسرة المالكة التى تحكم مصر ، لا تستهدف إلا مصالحها

الشخصية ، ولما كان الاحتلال البريطاني قد جاء الى مصر باسم الدفاع عن هذه الاسرة وباسم حمايتها فسان هذه الاسرة ستظل ملتصقة بالاستعمار ، معتمدة على قواته ، ولذلك فان محاربة الاستعمار البريطاني والقضاء عليه انما يعنى الاستفادة من التناقضات الموجودة بين المعتمد البريطاني وبين الخديو عباس حلمي الثاني لاضعاف السلطتين الشرعية والفعلية معا .

وكان للرافعي معتقدات كثيرة خاصة بالسودان والجيش المصري والحزب الوطني ولم تكن هذه المعتقدات تتبدل او تتغير بتغير الظروف وتبدلها ، لقد كان في مصر معتمدون عديدون كرومر وجورست وكتشنر وونجت والنبى ولويد جورج وكان في ايديهم كل السلطة وكل الجاه وكانوا يختلفون في اساليبهم كما كانوا يختلفون في طريق معاملتهم للشعب ، ومع ذلك لم يتخلف الرافعي عن مهاجمتهم وهم في مراكز السلطة ولم يقف من واحد منهم يوما ما موقف المسألة او المعادة .

بينما كانت لجنة الدستور تعمل لاعداد الدستور كان الرافعي يكتب مقالات عديدة ، صريحة وجريئة حول سلطة الملك وكيف يجب « أن يملك ولا يحكم » وكيف يجب أن يباشر عمله عن طريق وزرائه ، وكيف يجب أن تتحمل الوزارة المسؤولية كاملة بحيث لا يكون للملك الا التصديق على القرارات وكيف يجب الا يملك الملك سلطة الاشراف على المعاهد الدينية وكيف يجب الا يكون له حق منح الرتب والنياشين الا عن طريق الوزارة المسؤولة امام البرلمان و .. و .. وقد دخل الرافعي في صدام مباشرة مع الملك عندما اصر الملك علي السفر

الى أوروبا لاجراء مفاوضات مع بريطانيا دون أن يصحبه  
رئيس وزرائه كما دخل في صدام مباشر معه في موضوع  
حسن نشأت باشا وكيل الديوان الملكي بالنيابة الذي كان  
يسير الوزارة من مكتبه في السراي وكذلك في موضوع  
المخصصات الملكية واستبدال تفتيش بشبيش بسراي  
الزعفران ، وكان الراقعي كمحام قدير يعتمد في كل مايكتبه  
على القانون فلم تستطع الحكومات الاستبدادية أن توجه  
اليه العيب في الذات الملكية التي وجهتها الى غيره .

في منتصف يونيه سنة ١٩٢٥ كتب الراقعي عن  
استبدال سراي الزعفران بتفتيش بشبيش وذكر مايردد  
على السنة الشعب حول عدم عدالة الصفقة وما تردده  
الحكومة حول عدالتها وقال الراقعي ان ايراد التفتيش  
يساوي أربعة أمثال ايراد السراي وان الاعتماد على الابرار  
في تامين قيمة التفتيش لا يمكن أن يكون مبررا للصفقة :  
وفي ديسمبر سنة ١٩٢٥ بلغت فضائح حسن نشأت باشا  
في القصر ذروتها واصبح الرأي العام متساء جدا لمواقفه  
المعادية للشعب فأراد المعتمد البريطاني الجديد جورج لويد  
في مستهل عمله أن يكتسب ارضا شعبية فتدخل لاقالة  
حسن نشأت من منصبه . ورغم أن الشعب كان مستاء  
لهذا التدخل الا أن اقضاء حسن نشأت عن السراي كان له  
رنة فرح وكان مما قاله الراقعي عن اخراج حسن نشأت  
باشا : انتهى دور من أدوار الازمة الحاضرة بخروج  
نشأت باشا من القصر الملكي وقد كانت البلاد تتمنى من  
زمن طويل وقوع هذا الحادث ، لان نشأت باشا استخدم  
منصبه في غير ما أنشئ له وكان اكبر خصم للدستور  
والدعدو للحياة البرلمانية : حارب نشأت باشا الدستور  
والحياة البرلمانية لأنه أراد ان يسيطر على البلاد ويتحكم

« فى شئونها ويأمر وينهى فى كل أمورها » .

لقد كان أعضاء الوزارة الاتحادية آلات فى يده يلعب بهم كيف يشاء ويحركهم كيف يملئ عليه هواه ، لقد كانوا عبيدا له خاضعين لا يعصون أمرا ولا يرفضون له إشارة فكانت النتيجة الويلة أن فردا واحدا هو نشأت ، أصبح الكل فى الكل وأصبحت شئون البلاد فى قبضته « وبينما كان الملك فؤاد يستعد للسفر الى أوروبا اثار الرافعى موضوع هذه الرحلة فى أكثر من مرة اتسمت بالعنف وخاصة عندما طلب من مجلس النواب اعتماد مبلغ ٢٠.٠٠٠ فى ميزانية ديوان الملك لتنفقات الرحلة وعندما ناقش مجلس النواب المخصصات والمرتبات فى ميزانية الديوان الملكى قال الرافعى : « ان خطة الاسراف والتبذير ، أصبحت عظيمة الضرر على البلاد ولا سيما فى الظروف الحاضرة التى قلت فيها إيراداتنا فاذا لم نعمل بحزم وعزم على تقليل نفقاتنا كان علينا أن نواجه أزمة مالية خطيرة لا ندرى كيف نتغلب عليها ولم يعد خافيا على أحد ان القسم الخاص بمرتبات ومخصصات ديوان جلالة الملك تتضخم تضخما لا يتناسب مطلقا مع إيراداتنا ، وأشار الرافعى الى الزيادة المطردة التى طرأت فى السنوات الأخيرة على المخصصات الملكية حتى أصبحت ٦.٣٦٩٩ جنيهها مصريا وهى زيادة فاحشة ليس لها ما يبررها » كما أشار الرافعى الى التخفيض الذى اقترحه اللجنة المالية فقال أنه تخفيض أكثره تصورى ، وأشار الرافعى الى فداحة المبالغ التى تنفق على اصلاح السرايات الملكية والمبالغ التى زادت بسبب شراء قصرى المنتزه والقبة لسكنى جلالة الملك بمبلغ ٢٣٧ر٢٢٢ جنيهها وأشار الرافعى الى اقتراح حافظ بك رمضان الذى يقضى

بأن تعتبر مرأى عابدين وسراى رأس التين وحدهما مقرا للجالس على العرش ، ولا تتكلف ميزانية الدولة غير المصاريف اللازمة لهاتين السرايتين لأن هذه هي الطريقة الأولى لسد هذه البالوعة التى تبتلع ميزانية الدولة ويوضع حد لتلك المصاريف الطائلة التى لا فائدة منها وأشار الى ما ذكره مصطفى الشوربجى من أنه ليس هناك مثل قاطع على سياسة الاسراف ، مثل ما يتفق على الباب الخاص بالركائب الملكية فقد حسب مجموع ما صرف فى هذا السبيل فى مدى ست سنوات فاذا به يقرب من نصف مليون جنيه فى حين أننا لم نر ثمة منفعة من هذه الركائب كما أشار الى ما ذكره كامل حسين الأسىوطى من أن ما ينفق على هذا الجزء من الميزانية يذهب على الكماليات وليس فيه من الضروريات الا جزء يسير جدا . . وينتقد الرافعى المجلس لأنه لم يوافق على ما أرتأته اللجنة المالية ولم يوافق على ملاحظات الأعضاء وإنما وافق على أنه عهد الى حكومة الملك النظر فى الملاحظات التى بينتها اللجنة المالية . وفى اختيار الوزارة لتكون مسئولة عن قسم المباني ابتداء من السنة المالية القادمة . وحول اصرار الملك فؤاد على عدم اصطحابه رئيس الوزارة معه فى رحلته الى الخارج كتب الرافعى يقول : « ان اصطحاب جلالة الملك رئيس الحكومة امر ضرورى لما فيه من احترام التقاليد الدستورية ولكن مجرد هذا الاصطحاب وحده لا يكفى لدفع الاخطار التى قد تترتب على مثل هذه الزيارة ومن اجل هذا كان حتما أن تطرح مسألة هذه الزيارة على بساط البحث فى مجلس الوزراء ووضع برنامج خاص لرئيس الوزراء فى هذه الزيارة لا يجوز له أن يتعداه حتى ولا يسمح له بالقاء تصريحات قد يأخذها الانجليز علينا ويجعلونها دعامة يرتكزون عليها



لتحقيق أغراضهم الاستعمارية ، وعندما احيث ضعيفة « السياسة » الى قاضي الاحالة تمهيدا لاحالتها الى محكمة الجنائيات بتهمة العيب في الذات الملكية . كتب الرافي اكثر من مقالة في هذا الموضوع و اشار الى الراى القائل بضرورة التفرقة بين ذات الملك وعمله وكيف ان القانون وقف عند حماية ذات الملك ولكنه لم يتعرض لحماية عمل من أعماله ولا سيما اذا كان لهذا العمل اساس بالدستور .

وبعد ذلك يأتى معتقد الرافي الخاص بالمفاوضات بين مصر وبريطانيا ، وربما كان هذا المعتقد هو الذى حدد عمله السياسى منذ عام ١٩١٩ الى وفاته وبسبب هذا المعتقد خاض حربا ضارية ضد الوفد ، كما خاض معركة عنيفة ضد اخوانه وأصدقائه وزملائه فى الحزب الوطنى الذين كانوا لا يرون رأيه فى المفاوضات بصورة عامة . لقد كان الحزب الوطنى يتجه فى هذه النقطة الى التشدد الذى ما بعده من تشدد ، وكان الحزب الوطنى قد اتخذ قرارا فى ١٩ ديسمبر ١٩١٩ يقضى بأن « الأمة لا تقبل غير استقلال مصر التام مع سودانها وملحقاتها استقلالا غير مشوب بأية حماية أو وصاية أو سيادة اجنبية أو أى قيد يقيد هذا الاستقلال وأنها لا ترضى بالمخابرة مع أية هيئة بريطانية أو غيرها الا اذا اعترفت بريطانيا بهذا الاستقلال التام واعلنت اعترافها رسميا وايدته بجلاء الجنود الانجليزية عن وادى النيل وسحبت اعلان الحماية، أى ان الحزب الوطنى كان يطالب قبل المفاوضات مع أية هيئة بريطانية بالاعتراف بالاستقلال التام من قبل انجلترا وتنفيذ هذا الاعتراف بالفعل ، وكان الوفد قد اشترط قبول التحفظات التى ادخلها الشعب على مشروع ملتر ،

ثم عاد ، فرأى دخول المفاوضات بدون أى قيد أو شرط . وهذا ما جعل الرافعى يختلف وایاه .. فالرافعى اذن كان يقف موقفا وسطا بين الحزب الوطنى وبين الوفد فيشترط وضع اسس سليمة واضحة للمفاوضات بين مصر وبريطانيا ، الامر الذى لا يقبله الوفد رغبة منه فى التفاوض والامر الذى لا يقبله الحزب الوطنى اعتقادا منه بسوء نية بريطانيا هذا الاعتقاد الراسخ الذى آمن به الرافعى منذ عام ١٩٢٠ لم يتخل عنه الى وفاته والجدير بالذكر ان الكتاب الوحيد الذى اخرجته أمين الرافعى كان عن مفاوضات الانجليز بشأن المسألة المصرية وقد طبعه ووزعه فى اواخر عام ١٩٢١ وقد تكلف هذا الكتاب ٣٧ جنيهها مصريا دفعها لصاحب مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز وقام الرافعى بتوزيع أعداد كبيرة من هذا الكتاب مجانا وكما سبق ان قلنا ان الرافعى بعد فشل مشروع ملتر ومفاوضات ملتر أخذ على عاتقه محاربة كل مفاوضات بين مصر وبريطانيا لا تقوم على اسس سليمة وواضحة وكان الرافعى أبعد السياسيين نظرا فيما يتعلق بالمفاوضات وربما لو اتبع الساسة المصريون ما كان ينادى به لما وقعوا فى المصيدة التى كانت بريطانيا تضعها لهم ، واحدا وراء الآخر ، وحزبا وراء حزب الى ان وقعوا جميعا - فيما عدا الحزب الوطنى - فى الفخ الأكبر الذى انتهى بمعاودة ١٩٣٦ : وكان الرافعى أول صحفى مصرى اهتم بالجيش المصرى وتولى الدفاع عنه ضد مؤامرات الاحتلال البريطانى .

وقد كان الرافعى بحق محامى القضية السودانية وما من مناسبة الا وحمل الرافعى على السياسة الانجليزية الاستعمارية فى السودان .. وفى ١٩ يناير من كل عام

كان الرافعى يكتب باستمرار عن اتفاقية السودان (١٨٩٩) وينادى بطلانها بطلانا مطلقا ، وللرافعى مواقف مشهورة فى القضية السودانية وخاصة عند وضع دستور ١٩٢٣ ويعتبر عام ١٩٢٤ عام السودان فى مصر ومعظم مقالات الرافعى فى ذلك العام كانت عن السودان وللحق وللتاريخ أيضا ، لم تكن نظرة الرافعى الى قضية السودان تختلف اى اختلاف عن قضية مصر بل لقد كان يرى ان القضية الوطنية لوادى النيل هى قضية مصرية سودانية . وكان الرافعى حريصا على اعتبار مصر والسودان دولة واحدة لكل جزء الحق فى الجزء الآخر وللسودانيين كما للمصريين فى وادى النيل نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات . .

وكان الرافعى يعلم حق العلم ان الاستعمار التركى قد أساء الى مصر كما أساء الى السودان وان الاستعمار البريطانى قد عمل على تشويه الوجود المصرى فى السودان . ومما قاله الرافعى فى هذا الخصوص : لقد ابتلينا فى مصر بحكام ينسبون الى مصر ظلما وعدوانا كما ابتلى السودان ايضا فى نفس الوقت بحكام ينسبون ايضا الى مصر ظلما وعدوانا وكان من رأى الرافعى - وكان يكرره باستمرار - ان إنجلترا يجب أن تخرج من مصر ، ومن السودان ، ويجب أن يترك لأبناء النيل وحدهم بناء دولتهم دون تدخل أو وصاية من بريطانيا التى لا تستهدف الا اضعاف كل من القطرين وتوسيع الشقة بين الآخرين « ولا يتسع المجال - فى هذا الفصل - للاحاطة بما كتبه الرافعى عن السودان بالمقالات كثيرة ومتعددة عن السودان والسياسة الانجليزية فى السودان وما صنعتها الحكومة البريطانية فى السودان ، وكان الرافعى الى جانب اهتمامه بالمقالات التى كان يكتبها بقلمه عن السودان كان يعطى أخبار السودان وحركاته

الوطنية وانتفاضاته الشعبية التى كانت تقوم بين حين وآخر أهمية كبرى فى الصحف التى كان يصدرها .

وفى الدراسات العديدة التى كتبها الرافعى عن الدستور مقالات متنوعة عن السودان ومما قاله الرافعى فى هذه المقالات : لقد كان من حق الشعب القاطن فى مصر والسودان أن يقرر مصيره بنفسه بدون تدخل أية دولة أجنبية وأن يضع لوادى النيل من منبعه الى مصبه ما يشاء من الأنظمة .

وكتب الرافعى فى ١٦/١١/١٩٢٣ يقول : لقد شغل الوزراء كثيرا بمشاكل الترقيات والتعيينات وزيادة المرتبات وأفرطوا فى حضور اللوائم والآداب ونسوا أن هناك مصالح وطنية يجب السهر عليها وأن الاهتمام بالسودان أعود على البلاد من حضور مادية الاسطول البريطانى « وواصل الرافعى دفاعه عن السودان وهجومه على الاستعمار البريطانى هناك وتتبع أخبار الحركة الوطنية السودانية ، وعندما اعتقل البطل السودانى على عبد اللطيف نادى الرافعى فى ٢٨/٦/١٩٢٤ بارسال محامين مصريين متطوعين للدفاع عنه وطلب من الوزارة تسهيل مهمة السفر لهؤلاء المحامين ليتمكنوا من القيام بواجبهم الوطنى والقانونى .

وفى كلمات مختصرة كان الرافعى يؤمن بحق الشعوب ، كل الشعوب ، فى الحرية والاستقلال والتخلص من الحكومات الاستبدادية . . كان يؤمن بحرية الشعب - أى شعب - فى الثورة ضد أى ظلم يقع عليه وكان فى مقالاته العديدة يحتفى بذكرى الثورات الشعبية ويعطى أهمية خاصة للثورات التى قامت فى عصره .

## معارك صحفية

كان أمين الرافعي مسالما للغاية غير انه كان ينقلب الى العكس اذا اعتقد للحظة ما ان الصالح العام فى خطر من قريب او بعيد ، وقد اشرنا فيما سبق الى بعض المعارك التى خاضها الرافعي ضد الشيخ على يوسف - وكان وقتئذ من كبار رجال السياسة والصحافة - بينما لم يكن الرافعي قد انهى بعد دراسته فى مدرسة الحقوق الخديوية ونشر فى هذا الفصل الى بعض معارك الرافعي ونسبها تجاوزا بالمعارك لان الرافعي كان يدخلها مدعما بكل أسلحته ويخوضها بكل ما يملك من قوة وعنف .. دخل فى سبتمبر ١٩١١ معركة مع حزب الأمة ومع صحيفة «الجريدة» رداعلى مقال كان الأستاذ احمد لطفى السيد قد كتبه وأشار فيه الى حزب الأمة قائلا انه ليس حزب شعب ولا حزب جماعات : قال الرافعي : كأن جماعات الشعب احقر من أن تنضم تحت لواء حزب الأمة . لقد فات الأستاذ لطفى السيد ان هذه الجماعات هى عدة الأمم وذخيرتها . وهى التى قوضت العروش وانتزعت التيجان من فوق الرؤوس وهى التى قضت على السلطات الغاصبة فى كل العصور وهى التى قلبت أوروبا رأسا على عقب فأبدلت حكم الفرد بحكم الأمة وهى التى اذا ارادت أمرا كانت ارادتها صحيحة لم يقف فى وجهها أغنياء ولا اشراف ، وحول ما قاله

لطفي السيد من اننا نعتقد أنه لكي يحق لانجلترا أن تتخطى  
 عن مصر لابد من ان تتوافر شروط مخصوصة تلك  
 الشروط التي تألف حزب الأمة لتحقيقها وان سياستنا  
 لم تتغير انها ترمى الى تحقيق غرض واحد وعظيم هو ان  
 يحصل المصريون على المجلس النيابي الذي نجد جميعا  
 للوصول اليه بكل قلوبنا . حول ذلك قال الرافعي : « ان  
 هذا القول يظهر قائله في مظهر الذي يريد أن يكون  
 انجليزيا اكثر من الانجليز أنفسهم ان الامة كلها تطالب  
 بالجلء العاجل وترى سعادتها في هذا الجلء فما معنى  
 وضع شروط له من جانب المصريين » ويدخل في معركة  
 عنيفة مع اسماعيل اباظة باشا بعد أن أشاد به وبوطنيته  
 أكثر من مرة ويقول الرافعي : ان مدحنا اياه في بعض المواقف  
 المحموده لا يمنعنا من ذمه اذا فعل ما يستحق الذم وهذا  
 يدل على اننا لا ننظر الى نفس الشخص وانما ننظر الى  
 عمله ، فان احسن اطرينه وان اساء تقديده . وأشار  
 الرافعي في نقده لاسماعيل اباظة باشا الى اعتذاره عن  
 قبول عضوية مجلس ادارة جمعية السلام بحجة ان له  
 مصالح خصوصية كثيرة واذا ظهر في مثل هذا العمل  
 الذي حاربه الانجليز ، واضروا بمصالحه الخصوصية» ورد  
 مرة أخرى على ما قاله اباظه باشا بأن الحزب الوطني ماهو  
 الا قوة معنوية وكل ما لديه من تلك القوة القلم واللسان .  
 ويسأل الرافعي اباظة باشا ان يذكر له اسم حزب من  
 احزاب أوروبا له جيش ومدافع وحراب تنفذ اوامره وهل  
 يستطيع اباظه باشا ان ينكر قوة القلم واللسان واثريهما  
 في جميع الانقلابات التي حدثت منذ خلق العالم الى  
 الآن . ثم يقول الرافعي : ان قوة الاحزاب في تضامنهما  
 واحتفاظ اعضائهما بعقيدتهم فاذا كانت العقيدة قوية ثابتة

تدفع الشخص الى تضحية مصالحه الشخصية وعدم الالتجاء الى أعداء البلاد وكان الحزب قويا تبعا لتلك العقيدة فالعقيدة اذا تمكنت من النفوس استطاعت ان تهزم كل قوة تقف في سبيلها وزلزلت الأرض ومن عليها » وقال الرافعي « لقد انقضى ذلك الزمن الذي كانت المصلحة تقاس فيه بالثروة وتقدر بالفدادين من الارضي وأصبح كل فرد من أفراد الشعب له مصلحة تعادل مصلحة أكبر الناس جاها وأعظمهم ثروة فالبلاد ليست بلاد الأغنياء وحدهم وإنما هي بلاد الشعب بأسره » .

ويقول الرافعي معللا كثرة دخوله مع بعض السياسيين في معارك « لسنا من عشاق الانتقاد في المسائل السياسية وإنما نحن تلج هذا الباب مع خصومنا السياسيين مضطرين لا طائعين لأننا كنا نود ولا نزال نأمل أن تكون الأمة كلها يدا واحدة ضد الاحتلال تتفق جميع مجهوداتها على هذا الغرض ولا نفقد جزءا منها في تنفيذ آراء الذين يتبعون سياسة لا تنفع الأمة والبلاد » .

تنشر الاخبار في ١٩٢٣ للرافعي كلمة يقول فيها: من فظائع الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي تروى قصة رجل علق جسمه في سقف وراح اثنان من الفرنسيين يتبادلان ضربه بكل قوة وعنف بسوطين طويلين « فيكتب ويكتب الى أمين أحد أصدقائه قائلا : لا تحزن على ما يجري في المغرب العربي على يد الاستعمار الفرنسي ففي مصر الكثير من هذه المآسي » ويروي صاحب الرسالة قصة زوجة موظف انجليزي تسكن امامه رأت سجيناً يأكل طماطة ملقاة على الأرض فأمرت الاومباشي الحارس بضربه بالكوبايخ الخ . وينشر الرافعي الواقعة في الاخبار ١٥/١/١٩٢٣ طالبا من الحكومة التحقيق لأن مهمة

الصحفى - كما قال الراقى - تقضى عليه ألا يقف جامدا أمام أية مظلمة ولا سيما إذا كان راويها موثوقا منه وعند هذا تنتهى مهمة الصحفى وتبدأ مهمة الحكومة وهى الكشف عن الحقيقة » ويستدعى الراقى للتحقيق ويسأل عما ورد فى الرسالة فيجيب بأنه واثق من صدق الكاتب الذى بعث برسائله اليه وأن على الحكومة أن تحقق ما تضمنته المقالة من الوقائع ويذكر للمحقق - مساعدة له - الجهة التى وقع فيها الحادث ويسأل الراقى عن كاتب الرسالة فيرفض بتاتا أن يذكر اسمه لأن ذكره - كما جاء فى محضر التحقيق مع الراقى - مخالف لشرف الصحفى ، ومناهض لأبسط واجبات المهنة الصحفية وما دام صاحب الجريدة قد نشر شيئا بغير توقيع صريح فلا يجوز مطالبته باظهار صاحب التوقيع . ويسمح للراقى بالانصراف وبعد أيام طلب الى الراقى أن يتجه الى المحافظة وفى المحافظة سلم ثلاث صور من المستند التالى وقد كتب باللفة الانجليزية : فى النية محاكمة أمين بك الراقى محرر الاخبار أمام محكمة عسكرية بمسا يأتى : التهمة الاولى مخالفته الاحكام العرفية وذلك بأن نشر خبرا من شأنه أن يحدث الفزع والقلق بين المدنيين وطبقة منهم بأن نشر فى اليوم الخامس عشر من يناير سنة ١٩٢٣ بجريدة الاخبار الخطاب التالى « وتشر عريضة الاتهام الخطاب الذى نشرته الاخبار وفيه طلب من مدير الاخبار الى المصريين أن يحتجوا على فرنسا على صنع بعض أفرادها فى تونس فأسمع ما جرى هنا فى مصر منذ أيام أكل مسجون من المساجين الذين يخدمون فى حديقة أحد الموظفين الانجليز ( والحديقة والدار للحكومة ) طماطة واحدة لمقاه فما كان من السيدة زوجة الموظف الانجليزى وقد رأت المسجون



الا ان امرت الاومباشى الحارس ان يظل يضرب المسجون بالكرباج حتى تكلفه ان يكف فآلهبه بسوطه الى أن شبع من المنظر وأشارت له بالكف ، وتنتهى الرسالة بكلمة من صاحبها « متألماً » بأن الحالة فى مصر أفظع منها فى تونس والجنس اللطيف هنا من أولئك القوم صار قلبه بهذا الشكل » اما التهمة الثانية التى قدم بسببها الرافعى الى المحاكمة العسكرية بناء على عريضة الاتهام - فهى مخالفته قانون مصرى ، وذلك بأنه يبيع ويوزع ويحفظ للبيع فى محل عمومى - هكذا فى الأصل - مادة مطبوعة من شأنها إثارة احساسات الاحتقار أو البغض لطبقة من الاشخاص وذلك بأن نشر الرسالة السالفة الذكر بجريدة الاخبار وهذه مخالفة لنصوص المادتين ١٤٨ ، ١٥٣ من قانون العقوبات الأهلى المصرى ويكون التوقيع : عن مدير القسم المخصوص هيو . و . هلمر يه . ويتسلم الرافعى المستند ويطلب اليه الحضور الى القسم المخصوص ويقول الرافعى : لا ندرى مسوغا لمحاكمتنا أمام محكمة عسكرية على امور يذهبون الى انها واقعة تحت طائلة القانون المصرى فان لهذا القانون محاكم أهلية تطبقه على كل من يرتكب أمورا تقع تحت طائلته ، فلماذا يتخطون هذه المحاكم القائمة بعملها ويلجأون الى المحاكم العسكرية وأغرب من كل ذلك أن يتم هذا التخطى فى العهد الذى يسمونه بالاستقلال وفى العصر الذى يقولون فيه ان الانجليز تركوا للمصريين شئونهم » وتثور الصحافة المصرية - بل الاجنبية فى مصر - لمحاكمة الرافعى محاكمة عسكرية وتقول صحيفة الليبرتيه « ان أمين الرافعى من الصحفيين الذى تفخر بهم مهنتنا لسمو آرائه ونزاهه أسلوبه وهو يتصرف دائماً بالصدق والصواب . ان أمين الرافعى

يشغل مكانا فى الصف الاول من كبراء هذه البلاد بحيث لا يسلم أحد بأنه فى الامكان ان يكون مهيجا » وتقول الجازيت « انه رجل ذو مبادئ ثابتة وقد كان أنصار الوزارات السابقة يصفونه دائما بأنه خصم شريف وهو ينتقد كل وزارة تسيء الى مصر وقضية مصر » وتبذل سلطات الاحتلال البريطانى جهودا كبيرة لمعسرفة كاتب الرسالة التى نشرها الرافعى ليقينها بأن الرافعى لا يمكن ان يصطنع هذه الرسالة ويحاول كثير من أصدقاء الرافعى وقد رأوا سلطات الاحتلال جادة فى محاكمته عسكريا ان يقبل الرافعى البوح باسم صاحب الرسالة ، ويرفض رفضا باتا مفضلا السجن بل الموت على ان يخل بشرف المهنة ويكتب الرافعى فى الاخبار : « لسنا اول من قدم للمحاكمة العسكرية حتى فى عهد الاستقلال ، ولسنا اول من سخطت عليهم الوزارة لأنهم يقولون لها الحق فى وجهها ولسنا اول من يتخذونه دليلا على ان سياسة الشدة لا تجدى نفعا ولسنا اول القائلين بأن المبادئ التى اختلطت بعظم الانسان ولحمه ودمه لا يمكن ان تضعف أو تتلاشى أو تتغير امام تدابير القوة ووسائل الاعنات » . ويختم كلمته بقوله تعالى « أم حسبكم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا أن نصر الله قريب »

١٩٢٣/١/٣١ ، ويثار موضوع الطماطمة هذه فى سبتمبر سنة ١٩٢٤ وكان الذى اثاره الأستاذ عباس محمود العقاد وكان قد دخل فى معركة مع الرافعى بسبب موقف الرافعى من وزارة الشعب التى كان يؤيدها العقاد وكان الأستاذ العقاد قد تشكك فى وجود الشخص الذى قال أمين

الرافعى ، انه أرسل له رسالة خاصة بموضوع « الطماطة » متهما الرافعى بالجبن : وقد عثرت على نص الخطاب الذى أرسل الى الرافعى والذى نشره فى الاخبار فى منتصف يناير سنة ١٩٢٣ كما عثرت على خطاب آخر لصاحب هذه الرسالة قال فيه « كانما فرغت مصر من متاعبها وعاد قادتها وكتابها يصفون ما بينهم من الحساب فرجعوا الى أحقر الأشياء ، حقا لست أقدر ان ادخل فى نزاع بين الاخبار والبلاغ فأسلم عرضي الاسنة الأقلام وحقا مرة أخرى لست أبيع اسمى لينشر لا لانى جبان فلقد كتبت للأستاذ امين بك حين حوكم ليوبح باسمى أو أبوح انا به لا تقاذه من المحاكمة فكان يكتب الى بشجاعة بأنه يأبى ان أبوح أنا باسمى واذا كان المراد اقناع الأستاذ العقاد فأنا مستعد ان اقبله شخصيا واقنعه بما يرضى ، وينهى صاحب الرسالة رسالته بقوله : انى لا أريد الآن اطلاق راحة عائلتي بلا فائدة ولا جدوى : انى ما أظن مصريا يصف امين بك بالجبن حتى يحتاج الى الشهود والأدلة على شجاعته فلا يحتاج النهار الى دليل » . ويقول صاحب الرسالة فى حاشية له موجهة الى امين الرافعى « مررت عليك كوعدى فلم أجدكم وكنت فى حاجة للأستاذ المازنى لأخذ المقالة ولضيق وقتى سافرت للمنصورة وكتبت هذا وأنا فى منتهى التعب » .

وكان الرافعى قد فاجأ الراى العام بنبأ عودة الشيخ جاويز الى مصر وطالب الحكومة بعدم التعرض له ، وتقوم قيادة صحف الوفد ضد امين الرافعى وضد الشيخ عبد العزيز جاويز وكانت معظم المقالات التى نشرتها الصحف الوفدية تتسم بالعنف وخاصة تلك التى كتبها كاتب مقنع رفض ان يذكر اسمه ، ونما قاله امين الرافعى

فى هذا الخصوص « ان الحرية اذا انتهكت وجب على كل وطنى أن يدافع عنها، وان ينسى فى سبيل هذا الدفاع كل خصومة وكل حقد وكل ضراوة، لأننا اذا كنا نتخلى عن واجب الدفاع عن الحرية لان المعتدى عليه من خصومنا كان معنى هذا ان الحرية ليست حقا للجميع ، وانما هى من نصيب فريق دون آخر وفى هذا هدم لاقدس مبدا ترتكز عليه حياة الشعوب . أضف الى ذلك ان الذين يشمتون اليوم بخصمهم لانه مسلوب الحرية لم يأخذوا على الدهر عهدا بأن تظل حريتهم مصونة الى الأبد . . ان الحرية حق للجميع فيجب أن نطلبها لأنفسنا وخصومنا وأن نعمل على احترامها وأن نناوئ كل من تحدته نفسه بالاعتداء عليها » لا ان نحيد ذلك الاعتداء اذا كان واقعا على أى خصم من الخصوم » ويذهب الرافعى الى يحيى ابراهيم باشا رئيس الوزراء ويتحدث اليه فى موقف الحكومة طالبا منه عدم التعرض للشيخ جاويش اذا ظهر . ويوافق رئيس الوزراء ويدعو الشيخ جاويش لمقابلته ويجيء الشيخ جاويش من الاسكندرية الى القاهرة بعد نداء وجهه اليه الرافعى على صفحات الاخبار ويقابل رئيس الوزراء الشيخ جاويش وأمين الرافعى ويحمد الله أمين الرافعى على أن الدسائس التى ارادها بعض خصوم الأستاذ قد أصابها الفشل المحقق : لقد ظهر ان العاطفة الوطنية متغلغلة فى النفوس وان فكرة الاتحاد قد ارتكزت على أقوى أساس فأصبح الباطل لا يأتياها من بين يديها ولا من خلفها .  
 وينتهاز الرافعى هذه الفرصة فيكتب فى ١٩٢٣/١٢/٢٠ عن الخصومة السياسية وجبف يجب أن تكون شريفة لا تتعدى تمحيص الآراء المخالفة وتقنيدها وبيان أضرارها ان كان لها أضرار » ويتساءل الرافعى : « هل من شرف

الصحافة أن يستعمل كاتب قلمه في محاربة خصم يذود عن حريته ويدافع عن نفسه ويسعى في أن يتمتع بما له حق من كفلته له القوانين العامة وهو العودة الى الوطن » ثم يقول : « ألم يكن من الواجب الصحفي أن يدافع الصحفيون عن حرية الخصم وعن حقوقه الوطنية حتى تعود اليه ثم تفعلوا به بعد ذلك ما نشاءون » .

ويدخل الرافعي في معركة من أعنف المعارك التي خاضها في حياته ضد حسين رشدي رئيس الوزراء المصري أثناء الحرب العالمية الاولى ، وكانت بعض الصحف قد نشرت اثر وفاة اسماعيل أباطة باشا بعض صفحات من مذكراته ورأى رشدي باشا أن يصحح بعض ما جاء في هذه المذكرات حول موقفه من اعلان الحماية وخلع الخديو عباس حلمي الثاني ورأى الرافعي أن يرد على رشدي باشا ويفند حججه الواحدة بعد الاخرى .

ويرسل رشدي باشا الى أمين الرافعي الخطاب التالي - ٢٥ مارس سنة ١٩٢٣ - « سيدى مدير الاخبار : آثرتم ما طواه الماضي لمجرد قصد الاساءة الى احاديث قديمة صدرت منى فى بعض الجرائد ومع فرض انى راجعت هذه الاحاديث قبل نشرها وانه لم يحشر فيها بعض الاضافات فانها انما كانت من مستلزمات الخطة السياسية التى كنت رسمتها لنفسى لمصلحة البلاد فانى كنت أعتقد ان مصلحة مصر تقضى بأن تتجنب البلاد كل عدوان للانجليز بل ان تقدم على مساعدتهم وتعلمون انتم حق العلم ان الذى دفعنى الى هذه التصريحات هو تلك الخطة السياسية ، تعلمون ذلك لائنى سبق ان نشرت تفاصيل الامر فى الجرائد ، حسن ومفيد ان يوجد فى البلاد حزب متطرف ولكن التطرف السياسى لم يخلق ياسيدى لهدم الرجال الذين

يعول عليهم في خدمة البلاد : فهل مصر غنية بهؤلاء الرجال الى درجة تجعل شغلهم الشاغل هدم أمثالي مهما قل في المضى مقدار نصيبى في خدمة البلاد ومهما قل في المستقبل الأمل فيه ؟ فإن كنتم تعتقدون حقا ان مصلحة البلاد تقضى بهدمى فأريحوا أنفسكم من هذا العناء فان الموت كفيل بتخليصكم منى قريبا أما عن الثلاثة الملايين التى قدمتها للانجليز رغم معارضتهم فانى آخذ على نفسى بكل ارتياح مسئولية ذلك امام التاريخ « ويرد الرافعى على خطاب رشدى باشا بقوله : ونحن نقول لدولة رشدى باشا انه أخطأ فهم ما تقصده من الرد عليه فلا نحن نرمى الى الاساءة اليه كما أن من أبعد ما يدور بخلدنا أن نهدمه أو نهدم غيره وانما الامر أهون من ذلك بكثير . لقد نزل رشدى باشا الى ميدان المساجلة والبحث ونشر ما انطوى من صحف التاريخ فهل يظن دولته أن موقفه هذا لا يستلزم أخذا وردا ولا يستتبع مناقشة وتمحيصا ؟ أم يريد دولته أن يقف الكتاب مكتوفى الأيدى حيال ما ينشره ولو كانت هناك نقط تستوجب ردا أو تتطلب إيضاحا ؟

ثم يقول الرافعى بقيت فكرة الهدم التى ينسبها اليها رشدى باشا ونحن نسأل الله أن يغفر له ما رآنا به فى هذا الصدد فاننا لا نبغى هدم أحد وانما نبغى تقرير الحقيقة ، والانتقاد شئ والهدم شئ آخر يا دولة الباشا، وتقرير الحقائق وحرية مناقشة الآراء أمران لا يحملان على أى محمل سيئ ، أما الموت الذى تحدث عنه دولة رشدى باشا فلم يكن لذكره محل فى مثل هذه المناقشة ونحن جميعا امام الموت سواء وغنى عن البيان اننا مهما اختلفنا مع دولة رشدى باشا فى الآراء أو فى تقرير الحقائق فان ذلك لا يمنعنا مطلقا من

ان ندعو له بالصحة والعافية وطول البقاء اننا لا نعرف  
فى خلافنا السياسى مع اى انسان عداء شخصيا ولا نضمر  
ى حقد لاحد وانما نحن نكتب عن الفكره مجردة عن  
شخصية اصحابها ولا نبغى سوى الوصول الى الحقيقه  
التي نرجو ان نوفق لخدمتها . والله على ما نقول  
شهيد » .

وقد دخل الرافعى فى معارك عنيفة مع الحكومة  
المصرية دفاعا عن حرية كثير من الزعماء العرب :  
احتجت الحكومة الايطالية ايام حكومة سعد على وجود  
بعض الزعماء الطرابلسيين فى القاهرة وطلبت اعتقالهم  
وتسليمهم للحكومة الايطالية ، وعلن الرافعى ثورة عارمة  
ضد الحكومة لانها وقفت موقفا متخاذلا من هؤلاء الزعماء  
وعندما ثار الرأى العام ووقف الى جانب هؤلاء الزعماء لم تشأ  
الحكومة تسليمهم وانما طلبت منهم مغادرة مصر واعتمد  
الرافعى على النص الوارد فى برقية لوكالة استيفانى  
الايطالية الشبيهة بالرسمية - حيث جاءت عبارة الطرد ،  
وسل الرافعى قلمه وهاجم الحكومة هجوما مرا قائلا : ان  
ما حدث لم يكن سوى معنى الطرد وهذا ما نراه ماسا  
بكرامة مصر وعزتها القومية فضلا عن مجافاته للقوانين  
والعادات المرعية . وعندما أصدرت الحكومة أمرا بإبعاد  
الزعيم السورى الكبير عبد الرحمن شهنذر بناء على تدخل  
من الحكومة الفرنسية احتج الرافعى فى مقالات عديدة  
على هذا الإبعاد وقال فى بعض هذه المقالات : ليس الدكتور  
شهنذر بالرجل المنكور القدر أو المجهول الجاه ولقد كان  
فى العراق فقول من ملكه ووزرائه ونوابه بأعظم مظاهر  
التبجيل والتكريم ولما زار مجلس النواب العراقى حياه  
النواب وهو جالس فى شرفات كبار الزائرين وهتفوا

له ، أما فى مصر المعروفة باكرام ضيوفها والتى يتسغ صدرها حتى للجنة الوافدين عليها من الغرب وبه يطرد منها ولا تحتمل حكومتها ان يقيم اياما فيها لا عذر للحكومة فى تصرفها المقوت حيل هذا الزعيم السورى ان ابعاده يتافى أبسط قواعد الانسانية ويضم مصر بأقبح سمعة فى جميع بلاد الشرق ويظهر الحكومة المصرية بأنها آلة فى يد الغير فعلى الحكومة ان تعدل عن هذا التصرف المعيب وأن تسمح لهذا الزعيم بالبقاء فى مصر كما يشاء ولعلنا نسمع غدا فى مجلس النواب أصواتا تدافع عن سمعة مصر وكرامتها وتحمل الحكومة على سحب قرارها الاستبدادى الضار بالكرامة القومية ( ١٩٢٧/٥/١٥ ) وتكون آخر معارك الرافعى وأرقها تلك التى كانت بينه وبين زميله وصديقه الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى وكان قد انتقل الى العمل فى جريدة الاتحاد عندما عتب المازنى على الأخبار لأنها نسبت الى حزب الاتحاد محاربة الدستور . لم تكن أبدا معركة بقدر ما كانت مساجلة فقد كان كل من أمين الرافعى وعبد القادر المازنى يحب الآخر ، ويقدره وان اختلفت وجهات النظر فى مرحلة من مراحل العمل الوطنى .



## الرافعى وتمثال نهضة مصر

كانت القضية المصرية تشغل باستمرار عقل الرافعى وقلبه ، وإلى جانب ذلك كانت له اهتمامات عديدة بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية والدينية ولم يكن الرافعى مجرد كاتب سياسى أو زعيم وطنى وحسب بل كان فى الوقت ذاته كاتباً يهتم بالمسائل الاقتصادية والاجتماعية والدينية كان له دور بارز فى التنظيمات النقابية كما كان له دور هام فى اخراج مشروع تمثال نهضة مصر ووضعه فى ميدان المحطة بالقاهرة ..

ترك المجال للأستاذ بدر الدين أبو غازى وزير الثقافة السابق ومؤرخ حياة فنانا « مختار » وأبن شقيقته ليروى قصة تمثال نهضة مصر يقول : أولى صلات مصر بالتمثال جاءت من جريدة الأخبار التى كان يصدرها المرحوم أمين الرافعى ومن خلال مقالة من أربع مقالات نشرتها للأستاذ مجد الدين حفى ناصف الذى كان يدرس بباريس ومن خلال هذه المقالات جاء التعريف الأول بالتمثال وقد انطوى المقال الأخير على اشارات الى أهمية العناية بالفن وضرورة انشاء المتاحف وإلى ضرورة اقتناء تمثال مختار بمعرفة البلديات ووضعه فى ميدان عظيم من كل بلد .. وكان الوفد المصرى برئاسة سعد زغلول

قد سافر الى باريس للدعوة للقضية المصرية فتعرف  
 أعضاء الوفد على مختار ووقفوا على جهوده وشهدوا  
 تمثاله قبل أن يعرضه فلما نشر مجد الدين حفى ناصف  
 مقالاته أعقبه الدكتور حافظ عفيفى وكان ضمن أعضاء  
 الوفد الذين وقفوا على جهود مختار بباريس فكتب  
 يقترح على المرحوم أمين الرافعى أن تقوم جريدة الأخبار  
 بالدعوة لاكتتاب عام لاقامة تمثال مختار فى أحد ميادين  
 العاصمة ورحب المرحوم أمين الرافعى بالفكرة ونشر فى  
 اليوم التالى نداء الاكتتاب تحت عنوان : نهضة مصر  
 دعوة الى الأمة المصرية « وأثار البعض المخاوف من أن  
 تعترض الحكومة على اقامة التمثال فرد المرحوم حافظ  
 عفيفى بأن التمثال رمز يمثل الفلاحة وأبا الهول ولا يعقل  
 أن ترفض حكومة اقامة مثل هذا التمثال وساند الفكرة  
 من أعضاء الوفد المصرى المرحومان ويصا واصف وواصف  
 غالى فنشر الأول مقالا مسهبا تحت عنوان محمود مختار  
 والنهضة الفنية فى مصر ، ونشر الثانى مقالا تحت عنوان  
 واجبنا نحو مختار . وبدأت حركة الاكتتاب وكانت  
 الأنباء قد حملت خبر قبول التمثال فى المعرض وتمييز  
 لجنة التحكيم له ضمن ٦٠ تمثالا قدمت للمعرض ومنح  
 مختار شهادة شرف من المعرض لأن الجوائز الأخرى  
 حجزت للفنانين الفرنسيين العائدين من الحرب وعلى هذه  
 الأنعام - مقالات الصحف الأجنبية كالفيجارو  
 والستراسيون والكان والمجلة الحديثة للفنون عن مختار  
 - نشط الاكتتاب وارتفعت الحماسة . جموع صفار  
 العمال والباعة الجائلين وتلاميذ صفار يعيشون برسائل  
 تفيض بالحماسة ومعها قرش هى كل مدخراتهم ، سيدات  
 يهدين حليهن من أجل اقامة التمثال ومع هذه الرسائل

كلمات وقصائد من الشعب صيغت من حماسة الناس وكلها دعوة للتمثال ، ووصل هذا التيار الى جموع الفلاحين فأخذت التبرعات تصل من جوف الكفور الى جريدة الاخبار وهكذا ارتفع التمثال الى قداسة الفكرة الوطنية وتحقق بذلك الاتصال بين الفن والحركة القومية ..

وقد وجدت ضمن مخلفات الرافعى التى تسلمناها من استاذنا عبد الرحمن الرافعى مجموعة من الوثائق الخاصة بتمثال نهضة مصر . منها خطاب ارسله فى ٨ ماير ١٩٢١ الى عدلى يكن باشا رئيس الوزراء يقول فيه : سبق ان قدمنا طلبا الى دولتكم أرجو فيه صدور ، الامر للتصريح باقامة تمثال نهضة مصر من صنع الحفار الأستاذ مختار فى ميدان المحطة بالقاهرة حيث انه هو المكان الوحيد الذى يصلح له ، وحيث ان الضرورة تفضى بمباشرة هذا العمل فى اقرب وقت لان العمال اللازمين قد استحضروا من أوروبا وهم باقون من غير عمل ، وليس من الميسور ان تبدأ أعمالهم الا فى نفس المكان الذى ينشأ عليه التمثال ، وهذا بالنظر لارتفاعه وعظم حجمه ولاتقاء نفقات النقل واخطاره فيما لو صنع فى غير المكان المعد له من قبل فيكون رجاؤنا الى دولتكم صدور الامر لحصولنا على هذا التصريح وان شكرنا ليتضاعف لدولتكم اذا صدرت هذه الأوامر فى اقرب وقت ممكن حتى لا يزداد تعطيل العمال أكثر مما هو الآن » . وخطاب آخر ارسله الرافعى فى ٢١ اغسطس سنة ١٩٢٣ الى رئيس الوزراء يقول فيه : سبق لن ان تشرفت بمحادثة دولتكم بشأن تمثال نهضة مصر الذى قررت وزارة دولة عدلى باشا اقامته فى ميدان محطة القاهرة ثم تلتها وزارة دولة ثروت باشا فأعانت المشروع ماليا بمبلغ قدره ثلاثة آلاف من

الجنيهاً فالحاقاً بالحديث المذكور أحيط دولتكم علماً  
 بأن المبلغ الذى قدمته الحكومة سابقاً قد نفذ وبيان حسابه  
 عند حضرة صاحب العزة فؤاد سلطان بك أمين صندوق  
 التمثال قدمه الى دولتكم بمجرد الطلب كما قدمنا  
 للحكومة سابقاً حساب المبالغ التى جمعت من طريق  
 الاكتتاب . ولقد أصبح التمثال على وشك ان يتم ولكن  
 اتمامه يحتاج الى معونه اخرى قدرها ٢٥١٠ جنيهات على  
 وجه التقريب فرجاني الذى اتشرف بعرضه على دولتكم  
 هو : ( اولا ) ان تتولى الحكومة وضع القاعدة التى سيقام  
 عليها التمثال وانا مستعد لتقديم كل الرسوم والمعلومات  
 العنية التى أعدتها لوضع القاعدة على النمط الملائم  
 للتمثال ، وسأشارك المهندس الذى تكل اليه الحكومة  
 القيام بهذه المهمة فيما يعتضيه العمل من وجهته العنية .  
 ( ثانيا ) ان تتكرم دولتكم بتقرير ما ترونه بشأن مبلغ  
 الالفين والخمسمائة من الجنيهاً التى يحتاج اليها  
 اتمام التمثال نفسه خصوصا وقد نفذ مبلغ الاعانة التى  
 قررتها الحكومة سابقاً مع استمرارها فى العمل حتى  
 اليوم ومع النفقات الشهرية التى تبلغ ما يزيد على  
 اربعمائة من الجنيهاً وهى مرتبات العمال واثمان المواد  
 اللازمة للعمل . هذا واللجنة على اتم استعداد لأن تقبل  
 اشراف الحكومة على ما بقى من الأعمال كما عرضنا ذلك  
 على الحكومات السابقة وتقبلوا يا صاحب الدولة مزيد  
 اجلالى واخلاصى . . وخطاب آخر من الرافعى الى رئيس  
 الوزراء بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٢٣ يقول فيه : اتشرف بأن  
 ارفع الى دولتكم حساباً تفصيلياً من حضرة صاحب  
 العزة فؤاد سلطان بك أمين صندوق تمثال نهضة مصر  
 مستخرجاً من دفاتر لجنة التمثال كطلب وزارة المالية

عن مبلغ الالفين وخمسمائة جنيه التي طلبتها بوجه  
التفريب لاتمام التمثال وكنت قدمت الى دولتكم بتاريخ  
١٢ اغسطس سنة ١٩٢٣ بيانا مثل هذا راجيا اعتماد  
سرف هذا المبلغ ليتسنى لى اتمام هذا العمل الوطنى  
بالسرعة التى تحفلها وجود النقدية محددا مبلغ الالفين  
وخمسمائة جنيه بأقل ما يمكن تقديره لانجاز هذا العمل  
الجسيم . ولقد مر لان زهاء الثلاثة أشهر دون البت فى  
سرف هذا المبلغ مما ترتب عليه زيادة فى النفقات وتعطيل  
فى الأعمال وما كان يتطلبه العمل من شراء الادوات  
الضرورية وغيرها فترون دولتكم من البيان المذكور مقدار  
المبالغ الجسيمة التى يكلفها عمل التمثال خصوصا وقد  
عائنتم دولتكم شخصا وكذلك حضرة صاحب المعالى  
وزير الأشغال وحضرنا صاحب السعادة وكيل الخارجية  
ووكيل الأشغال وغيرهم الأعمال الشاقة التى تمت الى  
اليوم ، ما برحنا منذ نضب معين اعانتنا من مزاولتها  
ولا يخفى على دولتكم أن كل تأخير فى سرف هذا المبلغ  
يكلف من الزمن والمال أكثر مما قدر له لاتمام هذا التمثال  
اذ يترتب على التأخير زيادة المصاريف لذلك أرجو من  
دولتكم اعتماد سرف المبلغ « . ويخطو المشروع خطوه  
كبيرة فى أيام وزارة الشعب حيث ينجح ويصا واصف  
فى الحصول على قرار من مجلس النواب بفتح اعتماد  
بمبلغ ١٢ر٠٠ جنيه لمواجهة نفقات اقامة التمثال ( يوليو  
١٩٢٤ ) وتلكا الحكومة فى العمل بحجة النظر فى تعديل  
موضع التمثال فى اعقاب اقالة الوزارة الشعبية ويكتب  
الرافعى فى ١٤/٤/١٩٢٥ يقول : اصدرت وزارة  
الأشغال قرارا غريبا فيما يتعلق بتمثال نهضة مصر وحكاية  
هذا التمثال تتلخص فى أن الأستاذ محمود مختار صنعه

ليكون رمزا لنهضة مصر ثم عرضه في معرض باريس  
فنال تقدير المحكمين الذين منحوه الجائزة الجديرة به  
هنالك نبئت في مصر فكرة اقامة التمثال في مصر  
وفتحت الاخبار باب الاكتتاب الشعبي لتنفيذ هذا المشروع  
فبلغ ما جمعته نحو ستة آلاف جنيه ولم يقف الأمر  
عند اشتراك الشعب في هذا العمل بل ان الحكومة  
نفسها اشتركت فيه بمختلف الوسائل فقد طلبت لجنة  
التمثال من وزارة دولة عدلى باشا اقامة هذا التمثال في  
ميدان باب الحديد وكان دولة ثروت باشا نائباً لرئيس  
مجلس الوزارة في ذلك الوقت فلم تتردد الحكومة في  
اجابة هذا الطلب فشكرتها اللجنة على ذلك بكتاب  
ارسله سعادة عبد الخالق باشا مذكور . فرد عليه  
دولة ثروت باشا بقوله : « ان ما أبديتموه بكتابكم الخاص  
بشكر الحكومة على ما قررت من اقامة تمثال نهضة مصر  
في ميدان باب الحديد بالقاهرة ، كان له أجمل وقع  
وأحسن أثر وان الحكومة لا تدخر وسعا في تشجيع  
الأعمال والمشروعات العامة الناهضة بالبلد الى الرفى  
العلمى والفنى » . ثم توالى اشتراك الوزارات الاخرى  
في هذا العمل ففي عهد وزارة ، دولة يحيى باشا ابراهيم  
تقرر ان تقوم الحكومة بنفقات نقل أحجار التمثال من  
اسوان الى ميدان باب الحديد والتبرع ببعض الأدوات  
مما بلغ مجموعه نحو ٥٠٠ جنيه ، وفى عهد وزارة دولة  
سعد باشا زغول قرر البرلمان فتح اعتماد بمبلغ ١٢ ألف  
جنيه لاتمام التمثال وكان معنى هذا القرار الاستمرار  
في العمل الى النهاية ، ولكن وزارة الاشغال طلعت علينا  
اخيرا بقرارها الغريب الذى يقضى بتأليف لجنة تفحص  
التمثال من جديد فاذا وافقت عليه كان لها الحق في

تقرير المكان الذى ينصب فيه .. ذلك قرار وزارة  
الاشغال وهو قرار ينطوى على العبث بإرادة الشعب  
والعبث بقرارات الوزارات السابقة والعبث بقرار البرلمان  
المصرى نفسه ، فهل تملك وزارة الاشغال الحاضرة من  
السلطة ما تستطيع به القيام بمثل هذا العبث الشنيع  
وهل أتمت الوزارة كل المشروعات التى لديها فلم تجد  
ما تشغل به الوقت سوى هدم ما اشتركت فى بنائه الأمة  
والحكومة معا ؟ حقا اننا لا نفهم تلك العقلية الغريبة التى  
أملت هذا القرار الشاذ فاننا على أى وجه نظرنا الى  
المسألة لا نجد أى مسوغ لذلك اللهم الا اذا كانت الاهواء  
وحدها هى التى يحلو لها التعطيل والهدم والتخريب من  
أجل ذلك نرى واجبا على وزارة الاشغال أن تعدل عن  
قرارها وتشتغل بما هو أجدى وأنفع اما الخضوع للاهواء  
واما الهدم والتخريب فتلك سياسة عقيمة « وظل المشروع  
يتألك طوال وزارة زيور باشا ولم يتحرك الا فى اثناء  
الوزارة الائتلافية التى اهتمت بالمشروع من جديد عام  
١٩٢٦ - ووافق البرلمان على تخصيص ثمانية آلاف جنيه  
لاتمام التمثال وتعاقدت الوزارة مع مختار فى اغسطس  
سنة ١٩٢٧ على اتمام اقامة التمثال خلال ثلاثة عشر شهرا  
.. ولا يشهد الراقى ازاحة الستار عن تمثال نهضة مصر  
الذى عمل طويلا من أجل اقامته فى هذا المكان لان ازاحة  
الستار عن التمثال لم تتم الا فى ٢٠ مايو ١٩٢٨ أى بعد  
وفاة الراقى ببضعة أشهر ..

## من بناء نقابة الصحفيين

وعن دور الرافعى فى انشاء التنظيمات الشعبية نقول ان الرافعى منذ مطلع القرن العشرين كفيه من قيادة الحزب الوطنى قد اولى اهتماما بالغاً بالتنظيمات العمالية والطلابية ، وقد اشرنا من قبل الى دوره فى انشاء نادى المدارس العليا الذى اختير عضوا بمجلس ادارته عن طلبة مدرسة الحقوق حتى تخرج فيها فانتخب سكرتيرا له الى ان غلغته السلطات العسكرية فى عام ١٩١٤ كما ان مقالات الرافعى عن العمال وحقوق العمال واضراب العمال عديدة وقد اختارت نقابة عمال الصناعات اليدوية وهى اهم النقابات المصرية أمين الرافعى فى ١٣ ابريل سنة ١٩١٣ عضوا بمجلس ادارتها .

اما نقابة الصحفيين فقد كان الرافعى من اوائل الذين دعوا الى انشائها ، وقد اشترك فى اول اجتماع نظم لهذا الغرض فى ١٩٠٩ ، بوصفه محررا باللواء ولم يكتب النجاح لهذه الدعوة بسبب تدخل المعتمد البريطانى غير ان الرافعى حمل لواء الدعوة الى انشاء نقابة الصحفيين فى عام ١٩١٩ وبين ايدينا ونحن نكتب هذا البحث القانون الاساسى لنقابة الصحافة المصرية عام ١٩١٩ المطبوع فى مطبعة البلاد بشارع نوبار والذي وضعه امين الرافعى .



والذين وجهوا الدعوة لانشاء نقابة للصحافة عام ١٩١٩ هم داود بركات ، سعيد علي ، اسكندر رسلان ، حافظ عوض ، جورج طنوس ، وأمين الرافي ، وكان أول نقيب للصحافة هو جبرائيل تكللا - الذي انتخب عامين متتاليين - على ان الحكومة لم تعترف بهذه النقابة وظلت المحاولات تبذل من جانب الصحفيين وفي مقدمتهم أمين الرافي لكي يكون للنقابة كيائها الرسمي ، غير ان الحكومات كانت دائما تقف لها بالمرصاد، ثم سري الضعف والتخاذل الى النقابة في آخر عام ١٩٢٢ بسبب انشقاق البلاد الى سعديين وعدليين وتفتت القوى الوطنية الى ان جاءت وزارة يحيى ابراهيم التي أصدرت العديد من القوانين الجائرة ، وفي مقدمتها قانون خاص بالصحافة وتعديل قانون العقوبات فيما يتعلق بالصحافة .. وأحس الصحفيون بالخطر الذي تتعرض له المهنة فنجحت دعوة الرافي الجديدة بتشكيل هيئة تدافع عن الصحافة والصحفيين : ومن محاضر جلسات اجتماعات الصحفيين وقد كتبت بخط أمين الرافي : في جلسة ٦ أكتوبر سنة ١٩٢٣ اجتمع كل من عبد القادر حمزة وحافظ عوض ورشيد رضا وأمیل زيدان وأمیل الفوري كامل وابراهيم عبد القادر المازني ومحمود عزمي وأمين الرافي وتباحث الجميع في حالة الصحافة الحاضرة وقرروا دعوة اصحاب الصحف اليومية بالصيغة التالية :

يجتمع اصحاب الصحف اليومية غدا ( ٣٠ أكتوبر ) الساعة السابعة مساء فوق بار اللواء للنظر في موقف الصحافة امام قانون المطبوعات وامام قانون الصحافة المنتظر وقد قرروا دعوتكم لحضور الاجتماع ، فالمرجو

حضوركم أو انتداب من ينوب عنكم » ويكتب الراجعي بخطه جلسة هذا الاجتماع وفيه أن مستر راؤول كانفيه يعتذر ويعطى موافقته على ما يقرره الحاضرون ويعطى صوته لأمين الراجعي .

وعند افتتاح الجلسة عرض سيد بك كامل ان الدكتور حسين هيكل اعتذر عن الحضور لأن الدعوة سياسية ولا يملك تليستها حتى يأخذ رأى أعضاء حزبه ، وعلى ذلك فسيد بك كامل يحضر لا عن جريدة السياسة ولكن عن نفسه باعتباره صحفيا ويعرض على الهيئة مسألة تطبيق قانون المطبوعات بتعطيل الصحف والقانون الجديد الذي تشتغل الحكومة بسنه للصحافة ، وتقرر الهيئة أن اتذار الصحف أو تعطيلها بالطريق الإداري مخالف للمبادئ الأساسية المقررة بالدستور ويقرر الصحفيون المجتمعون أن من واجبههم مطالبة الحكومة باحترام المبادئ الأساسية فى الدستور العام وعدم مخالفتها .

وبهذه المناسبة قرر المجتمعون أن اجتماعهم هذا ليس له صفة سياسية ، كما ذهب الى ذلك الدكتور حسين هيكل وبنى عليه امتناعه عن الحضور وانما هو اجتماع للمشتغلين بمهنة الصحافة للدفاع عن حقوقهم ورفع كل حيف يقع عليهم . . وقررت الهيئة مطالبة الحكومة أصليا بعدم وضع قانون للصحافة الآن بانتظار انعقاد البرلمان فاذا أصرت الحكومة على سن هذا القانون الآن قبل انعقاد البرلمان فهذه الهيئة تطلبها بعرض مشروع قانونها على الصحفيين للوقوف على ملاحظاتهم عليه والعمل بها وتقرر الهيئة تكليف أمين الراجعي بكتابة قرار بهذا المعنى وتوقيعه من جميع الحاضرين ورفعها الى دولة رئيس الوزراء بواسطة أمين الراجعي وحافظ عوض والمسيو ليون كاسترو ،

وتقف الأغراض الحزبية حجر عثرة أمام طريق انشاء نقابة للصحفيين ويتكون ما سمي بأسرة الصحافة .

وتحاول هذه الأسرة مرة أخرى فى ٢٦ مارس ١٩٢٥ انشاء نقابة للصحافة المصرية ويعقد الرافعى مشروع القانون الجديد ويجرى العمل لتنشيط الانضمام الى هذه النقابة ودفع الاشتراكات وتوجيه الدعوة لحضور اجتماع الجمعية العمومية للنقابة فى ٢٥ مارس سنة ١٩٢٥ وتجتمع الجمعية العمومية وتنتخب مجلس الادارة ولتقر القانون وتسير النقابة الجديدة بخطى حثيثة وتدعى فى نوفمبر ١٩٢٦ الجمعية العمومية للنظر فى مشروع « صندوق تعاون نقابة الصحافة العامة » ومن أغراض هذا الصندوق « الاتفاق على أعضاء النقابة الذين تنزل بهم ضائقة مالية » .

وتدعو النقابة الجديدة الى اضراب الصحف فى ١٦ يوليو ١٩٢٥ وتبلغ كل التنظيمات الصحفية فى العالم بهذا الاضراب الذى نجح نجاحا باهرا .

والجدير بالذكر أن نقابة الصحافة هذه كانت من المؤسسين لاتحاد الصحفيين العالمى فى ٣ يوليو سنة ١٩٢٦ وكان الدكتور محمد حسين هيكل هو ممثل الصحافة المصرية فى اول اجتماع لهذا الاتحاد .

ويتجلى اهتمام الرافعى بالصحافة والصحفيين ونقابة الصحفيين والصحافة من اجابته على الاستفتاء الذى نظمته مجلة الهلال ( العدد الاول عن سنة ١٩٢٣ ) واستفتت فيه اعلام الصحافة وارباب الاقلام وكان من بينهم امين الرافعى وهذه بعض الاسئلة التى وجهت الى الرافعى واجاباته عليها :

س : ما رأيكم فى محررى الصحف فى الوقت الحاضر؟  
ونسبتهم الى من سبقهم من الوجة العلمية العامة والفنية  
الخاصة ؟

ج : ان المستوى العلمى والفنى لمحررى الصحف فى  
الوقت الحاضر يعتبر ارقى من المستوى الذى كان عليه  
من قبل ، فقد انضم الى الصحفيين عنصر جديد نال من  
العلوم والآداب قسطا وافرا ، كما ان المنافسة الصحفية  
والعناية بادخال الاسلوب الصحفى الفسرى كان  
لهما الفضل فى ترقية المستوى العلمى والفنى للقائمين  
بتحرير الصحف .

س : هل يحسن انشاء فرع فى الجامعة المصرية او  
دائرة خاصة لاعداد الصحفيين ؟ وهل يوجد عندنا من  
يقومون بالقاء المحاضرات فى هذه الدوائر ؟ .

ج : لا ارى بأسا من انشاء فرع فى الجامعة المصرية  
او دائرة خاصة لاعداد الصحفيين واطن ان بيننا من  
يستطيعون القيام بالقاء المحاضرات فى هذه الدوائر .

س : هل يجب ان تبقى الصحافة حرة بلا قانون ؟ ام  
يجب تقييد من يسرونها بشروط كشهادات مدرسية  
وخبرة فنية وقضاء زمن ، فى مزاولتها ونحو ذلك ؟

ج : الاصل فى الصحافة هو انه يجب ان تكون حرة  
من كل قيد ، ولكن حرصا على مكانة الصحافة وعلى حسن  
ادائها للمهمة الكبيرة الملقاة على عاتقها يجب ان يشترط  
فيمن يديرونها ان يكونوا حاملين شهادات دراسية او  
يكونوا ذوى خبرات فنية ، او يكونوا ممن قضوا زمنا ما فى  
مزاولتها ، وذلك فضلا عن الشروط العامة الاخرى كعدم  
سبق الحكم عليهم باحكام مخلة بالشرف . ولكن لا يجوز  
ان يتخذ البحث فى توفر هذه الشروط وسيلة للتحكم

في الصحفيين ، ومنعهم من مزاوله مهنتهم بل يجب أن يكون توفر الشروط السابقة كافيا لتحويل من شاء حق إدارة الصحف وتولى أمرها . . فقد جربنا مثلاً ان وزارة الداخلية كانت تعطى رخصاً باصدار الصحف لمن تشاء وتمنعها ممن تشاء . فمثل هذا النظام يجب ان يقضى عليه قضاء مبرماً ، بمعنى ان كل من يقدم طلباً لاصدار صحيفة وتتوافر فيه الشروط الخاصة بشرف المهنة وبالكفاءة الصحفية يجب منحه هذا الحق ليكون الصحفي كالحامى والطبيب متى حصل على شهادة اللسانس او الدبلوم اضطرت الحكومة ان تجيز له الاشتغال بمهنته . ومن رأى - محافظة على حرية الصحافة - ان تكون للصحافة نقابة ذات سلطة قانونية كقابة المحامين يكون من اختصاصاتها الفصل فى من له الحق فى مزاوله الصحافة وعلى الادارة تنفيذ القرارات .  
س : ما رأيكم فى رواتب المحررين الحاضرة بوجه الاجمال واجور كتابة المقالات والرسائل الخاصة ؟

ج : رواتب المحررين الحاضرة حسنة ومعتدلة بوجه الاجمال وكذلك اجور كتابة المقالات والرسائل الخاصة .  
س : ما رأيكم فى انشاء نقابة للصحف ؟ وهل تكون جامعة للمحررين وارباب المحال أم يكون لكل فريق نقابة وهل تكون للنقابة علاقة بالحكومة أم لا ؟

ج : يجب كما قلت ان يكون للصحافة نقابة ذات سلطة قانونية ومن رأى ان تكون النقابة عامة للمحررين وارباب المحال ، وليس فى هذا الجمع ما يخشى منه على الفريق الاول لا سيما اذا لاحظنا انهم هم الاغلبية . هذا ويجب ان تكون النقابة مستقلة عن الحكومة اللهم الا ضرورة اعتراف الحكومة بها وتنفيذها لقراراتها .

## الرافعى فى ذمة التاريخ

يمكننا القول - فى ايجاز نرجو الا يكون مخلا - بان حياة امين' الرافعى تنقسم فى جملتها الى عدة مراحل ، تنتهى كل واحدة منها بحدث هام له اثره البالغ فى تكوين الرافعى ، وفى خلق شخصيته ، وليس معنى ذلك ابداً ان كل مرحلة من هذه المراحل ، منفصلة عما سبقتها او تلتها فكل مرحلة ليست سوى تمهيد للمرحلة التى تلوها وليست سوى تكملة للمرحلة التى سبقتها ، بحيث تجىء تلك المراحل كلها وكأنها أشبه بسلسلة متصلة الحلقات لا تستطيع أن تفصل واحدة عن الأخرى . وأولى هذه المراحل بدأت بسن التمييز عند الرافعى الذى ولد فى أعقاب الاحتلال البريطانى ، ورأى الجنود البريطانيين بخوذاتهم اللامعة وأحذيتهم الثقيلة وصلفهم وكبريائهم يجوبون شوارع القاهرة والزقازيق والاسكندرية وكل مدينة أتيح له فرصة الوجود بها . وينمو امين الرافعى وتنمو معه كراهيته للاحتلال الاجنبى الذى داس كرامة بلده بالنغال ، وراح يتحكم فى كل صغيرة وكبيرة من أمور شعبه الصبور المسالم . ويتجه الرافعى الى القراءة لعلها تنسيه الهموم والأحزان التى سيطرت على قلبه وقلوب زملائه ثم يتجه فيما بعد وبعد أن مكنته القراءة الجادة من الحصول على جزء من المعرفة الى الاجتماعات

الصغيرة المغلقة التي كان يعقدها في سرية تامة وفي غفلة  
عن الجواسيس وجنود الاحتلال بعض الوطنيين الشرفاء  
الذين لم يفقدوا الأمل - رغم اكفهار الجو وظلمته -  
في انقاذ بلدهم من المحتل الاجنبي ، ونرى الرافعي وهو  
يوشك أن يكمل دراسته الثانوية يشترك في بعض  
المهرجانات الوطنية والمظاهرات العامة التي يحاربها  
العدو بكل ما يملك من وسائل ، ونراه يخطب مرة - وهو  
الخجول - في احتفال السنة الهجرية وفي الاحتفال  
بالمولد النبوي ثم نراه يتشجع أكثر وأكثر : فيحضر بعض  
الاجتماعات العامة التي كان يعقدها مصطفى كامل  
بالاسكندرية ويرسل بعض المقالات التي كتبها الى بعض  
الصحف تحمل أسماء مستعارة ، ولم يكد امين الرافعي  
ينهى دراسته الثانوية في عام ١٩٠٥ بعد أن تأخر أكثر  
من عام بسبب المرض الذي كان يصيبه في وقت الامتحان  
حتى كان قد اختط لنفسه خطة في الحياة هي العمل  
السياسي الوطني تحت قيادة مصطفى كامل ، وفي خلال  
السنوات الأربع التي قضاها امين الرافعي في مدرسة  
الحقوق كان سياسيا لامعا يكتب في غير اوقات المذاكرة  
والامتحانات في « اللواء » كما يحضر باستمرار الاجتماعات  
التي يعقدها مصطفى كامل في جريدة اللواء للمحررين  
العاملين في اللواء ، ويقود الرافعي المظاهرات الصاخبة  
ضد مدير مدرسة الحقوق الانجليزي وضد نظم التعليم  
الاستعمارية التي اريد فرضها على كلية الحقوق وهو  
احد ثلاثة كانوا يختارون كل عام ابتداء من عام ١٩٠٦  
لتمثيل طلبة مدرسة الحقوق في نادي المدارس العليا  
وهو يخوض المعارك الصحفية بأسلوب رشيق وعبارة  
سلسلة وفكر مستنير ضد كبار الصحفيين والسياسيين

مثل لطفى السيد وعلى يوسف مما لفت اليه الأنظار وعندما تخرج أمين الرافعي في مدرسة الحقوق لم يجد تعباً ولا نصيباً في شق طريقه في الحياة : لقد أهله نشاطه الصحفي والاجتماعي والطلابي والسياسي في مدرسة الحقوق الخديوية ان يكون بسرعة خارقه من أوائل سياسيين الحزب الوطني وكتابه في تلك المرحلة التي بدأت في عام ١٩٠٩ وانتهت بنشوب الحرب الأولى كان أمين الرافعي كاتب الحزب الوطني الثاني بعد الشيخ عبد العزيز جاويش وخلال الفترات التي سجن فيها الشيخ جاويش او التي نفى فيها من مصر كان أمين الرافعي الكاتب الأول للحزب الوطني حتى بعد أن استقال من العلم وأنشأ الشعب لم ينزعه أحد من رجال الحزب الوطني في زعامته الصحفية بالرغم من كونه ليس رئيس تحرير جريدة العلم لسان حال الحزب الوطني : كان هناك اعتراف صريح وواضح ممن يؤيدون أمين الرافعي في اللجنة الادارية للحزب الوطني ومن يعارضونه بأنه اللسان الناطق والترجمان الصادق للحركة الوطنية ، وقد كان الرافعي في هذه المرحلة من خيرة الكتاب المصريين على الاطلاق فهو لم يكن يكتب الا عن فهم ودراسة وإيمان وهو لم يكن يكتب الا بصدق وجراءة وحماس ، ولذلك اعتبر الاجراء الذي اتخذه أمين الرافعي باغلاق جريدة الشعب - أوسع الجرائد المصرية انتشاراً وأقواها نفوذاً - حتى لا تنشر قرار الحماية على مصر إخطار اجراء ووجهت به سلطات الاحتلال في أعقاب اعلان الحماية على مصر وخلع الخديو عباس والمجيء بالسلطان حسين : ويدخل الرافعي كما سبق أن ذكرنا السجن وينتقل من معتقل الى معتقل دون أن يتبدل له



رأى أو اعتقاد ، ويتحمل الرافعى فى سجنه واعتقاله كل صنوف التعذيب وسوء المعاملة وعندما يفرج عنه يطلب منه السلطان حسين ان يعيد اصدار « الشعب » ويعدّه بكل مساعدة مالية ويرفض أمين الرافعى بآباء وشمم ان يعيد اصدار الشعب بأمر السلطان قائلاً ان الذى يملك اصدار « الشعب » قيادة الحزب الوطنى ، ولا يستطيع ان يستمر فى عمله كمحام أكثر من عام واحد ليتفرغ للدراسة لايمانه بان الليل يجب ان يعقبه النهار وعلان الاحكام العرفية وتقييد الحريات وملء السجون والمعتقلات بالأبرياء لا يمكن ان يدوم الى الابد ، اذن فلا بد للرافعى من أن يعد نفسه لذلك اليوم المقبل الذى يغضب فيه الشعب لكرامته ويثور ضد من اغتصبوا حقوقه وكادوا يفقدونه كل أمل فى التقدم والحياة الحرة ، ولذلك فان الرافعى لم يكده يعرف نبا اعلان الهدنة حتى ابتداء يتحرك فيتصل بالقيادات الوطنية او ما تبقى منها يفتح صفحات جديدة للزعماء والسياسيين الذين يعرفهم ويعرف أخطاءهم وانتهاسايتهم وينغمر الرافعى فى أتون ثورة ١٩١٩ بكل ما يملك من قوة ويهب سعد زغلول زعيم هذه الثورة كل ما لديه من جهد وعبقريّة وكفاءة ومقدرة : لقد وثق بسعد زغلول كما وثق به الشعب كله ولقد علق عليه الآمال الكبار كما علقها عليه الشعب بجميع فئاته وطوائفه : ويصبح الرافعى كاتب الوفد الاول كما كان قبل قيام الحرب العالمية الاولى الكاتب الاول للحركة الوطنية ويختلف الى حد كبير مع قيادات حزبه الوطنى ويتعب الرافعى نفسيا بسبب هذا الاختلاف مع أحب الناس اليه ولكن الرجل وجد ان القضية المصرية اكبر من الاحزاب فآثر ان يقدم للملا

نموذجاً حياً طيباً جريئاً ينسى كل شيء فى سبيل ما يعتقد  
انه الحق .

ويصل الرافعى الى القمة وتصبح البلاد وتمسى ولا هم  
لها الا انتظار ما سيقوله الرافعى فى الاحداث التى تمر  
بها وتتوالى تلفرافات سعد زغلول وخطاباته الى الكاتب  
الشعبى القدير تطلب منه المزيد ويطلب من الآخرين ممن  
لهم حظوة عند الرافعى ان يشجعوه على المزيد وفجأة  
تبين للرجل ان الناس ليسوا كلهم مثله يسلمون على خط  
واضح ، فالوفد الذى اعلن انه لن يقبل المفاوضات الا على  
اساس التحفظات التى أبدتها الأمة على مشروع ملنر يعلن  
عكس ما قاله من قبل ويعلن رغبته فى الدخول فى  
المفاوضات بدون قيد أو شرط ويعلمن أمين الرافعى  
مخالفته للوفد المصرى الذى انضم اليه أكثر من ٩٩ ٪  
من أبناء الشعب ، ويجاهر الرافعى باختلافه فى رأى مع  
سعد زغلول الزعيم الجماهيرى الذى كان فى ريف مصر  
ومدنها أشبه بالمعبود « يولد الطفل وهو يهتف بحياة  
سعد » . « ينزل العجل الصغير من بطن أمه قائلاً : سعد  
سعد » « حتى أوزاق الفول والتوت والقطن وبقية المحاصيل  
الزراعية تظهر وعليها عبارات عاش سعد عاش سعد »  
الى غير ذلك من الترهات والأكاذيب ، وتنطلق المظاهرات  
الدامية تهدد الرافعى ، تهدده فى جريدته ، فى بيته فى  
أعز الناس اليه ولكن الرافعى لا يتراجع عما قاله فى  
الوفد ورئيسه قيد أنملة فستمر المظاهرات الدامية  
تحرق أعداد الأخبار فى وضح النهار ويستولى المتعهد  
الوحيد للصحف فى مصر على نسخ الأخبار كلها ليغيدوها  
الى الرافعى كما هى لانه يأخذ ما هو أكثر من الثمن  
من جهات أخرى ، ويذهب الوسطاء الى الرافعى يرجونه

ان براف بنفسه ، بولده ، بزوجه ، وان يكف مجرد الكف  
عن معارضته للوفد ولسمعد ، ولكن الرجل يصر على رايه  
ويعلن على رعوس الأشهداد :

« اذا كان معنى الحياة ان الغير يسيرنا وان تكون آلة  
فى يد كائن من كان فاننا نرفض هذه الحياة ونحتقرها  
لأننا ما عشنا الا للحرية وما وهبنا حياتنا الا لنكون  
أحرارا ، أحرارا فى عقائدنا أحرارا فى أفكارنا ، أحرارا  
فى آرائنا ، أحرارا فى خططنا واذا كانت حرية الراى  
لم توجد فى كثير من البلاد الا بعد أن ذهب فيها عدد كبير  
من الضحايا فليكن كاتب هذه السطور أول ضحية  
لاحترام حرية الراى المصرى » .

« اننا لو سلمنا لانفسنا بان نغير خططنا تحت تهديد أو  
وعيد من طائفة من الناس ، فقد حكمنا على انفسنا بأننا  
عبيد لفكرة غيرنا لا لفكرتنا ، ومتى كنا عبيدا لفكرة غيرنا  
فاننا نصبح أبواقا لغيرنا وقد كنا ولا تزال معبرين عن  
ضميرنا لا نقبل أن نشرك احدا فى الضمير الذى به نجيا ،  
وبصوته ، نسترشد ، وبأمره نهتدى وفى سبيله نموت ، لقد  
قلنا لمن يهددوننا فى أرزاقنا ، ونقول لكل محاربى حرية  
الراى : لو نصبت امامنا المدافع ، وخيرنا بين اطلاق قنابلها  
علينا وبين أن نسلم فى عقيدتنا لما ترددنا فى اختيار  
الطريق الاول ، اذن فلا سبيل لاية قوة انسانية فى العالم  
على التحكم فى ضمائرنا ، لا سبيل لاية قوة على تغيير  
موقفنا وما دام هذا هو مبلغ ايماننا وما دامت هذه  
عقيدتنا فليبحث الباحثون عن شخص آخر يقبل ان يسلم  
« قياده لغير ضميره » .

أما نحن الذين لم نخضع فى اى وقت من الاوقات  
الا لهذا النداء الصادر من أعماق قلبنا فلن نتحرك من

مكاننا وسيظل صوتنا مرتفعا لان الواجب الوطنى يطالبنا بان يرتفع هذا الصوت الى آخر نسمة من حياتنا ومحال ان يخفت لنا صوت الا اذا خفتت دقات قلوبنا » .

« لقد وطننا انفسنا على ان نحول السجون الى بيوت لنا » نخرج من هذا السجن ليحل محلنا غيرنا حتى تتحرر بلادنا » .

ومهما واصلت صحف الحكومة تهديدنا وتوجيهه السباب كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة فاننا لن نتحول عن خطتنا قيد شعرة فليحققوا معنا ، وليحاكمونا اذا شاءوا ، اما ان نعدل عن خطتنا او نكتب ما نخالف عقيدتنا او نسكت عن تقرير الحق او نتخلى عن واجبنا فذلك ما لا يكون ، وما لا يجوز ان يدور فى خلد احد ، وسنواصل الكتابة بهذا المعنى الى ان تتحقق الحرية » .

وينفى سعد زغلول وبعض رفاقه وسرعان ما يتحول المهاجم الاكبر الى مدافع اكبر : ضخية سعد زغلول يصبح محامى سعد زغلول : يتأدى كل صباح بضرورة عودة سعد ورفاقه الى وطنهم ، وبفتح صدر جريدته لاولئك الذين كانوا الى ايام قليلة يقذفونها بالطوب وبالحجارة .

ويعود سعد زغلول عودة الظافر المنتصر ، ويصبح فيما بعد رئيسا للحكومة ، ويلقى سعد خطاب العرش كما تجرى بذلك الاعراف الدستورية ، ولكن امين الرافعى وجد فى خطبة العرش ما يعيبها : لقد كان فى الماضى يهاجم زعيم الشعب ولسكنه الان يهاجم زعيم الشعب ورئيس الحكومة معا ولا يقبل سعد من امين الرافعى ان يهاجم خطبة العرش ، ويتكرر فى عام ١٩٢٤ ما تكرر فى عام ١٩٢١ ، بل ان الهجوم على امين الرافعى وعلى دار

الاخبار اخطر فى عام ١٩٢٤ منه فى عام ١٩٢١ : على الاقل كان هناك فى ١٩٢١ بقايا بوليس يمكن أن يدافع عن امين اما فى عام ١٩٢٤ فالجماهير والبوليس معا ضد امين . المظاهرات تنطلق لتحطم دار الاخبار ولتدق رأس صاحب الاخبار ، ولكن الله - كما عوده دائما - ينجيه من كل هذه المظاهرات الصاخبة .

وتبدأ الوساطة من اصدقاء سعد وامين ، لعل الامور تعود الى الحب والود بين سعد وامين .

وتتوالى استدعاءات البوليس والنيابة لامين الرافعى فى عهد وزارة الشعب ، ويستمر التحقيق فى احدى المرات اكثر من عشر ساعات حتى لا يتمكن امين الرافعى من اصدار الجريدة ، ولكن امينا هو امين لا يتغير ولا يتبدل ، هو هو ، ولكنه فى هذه المرة يتساءل :

« ماذا عساهم يقصدون من أجل ذلك ، هل يريدون ازهابنا ، وتخويننا ؟ اذن فهم لا يعرفون نفسيتنا او بالاحرى يتجاهلوننا ، فما كانت السجون تصرفنا عن مبدئنا ولا تزلزل عقيدتنا الوطنية ولا تحولنا عن خطتنا التى يملينا علينا ضميرنا وحده دون أى مؤثر من الخارج ، واذا كان سعد باشا بذلك يريد ان يبعثنا الى غياهب السجون فما ذلك بضائرنا ، ولن تكون فى السجن اول ولا آخر من يضطهد فى سبيل عقيدته ومبدئه : اذا كان سعد باشا يرى ان يتخلص من صوتنا لان فى يده الآن مفاتيح السجون فنحن ندخلها بشرقنا ، وعقيدتنا ، ومبادئنا ، ونبقى فيها بشرقنا وعقيدتنا ومبادئنا ، ونخرج كذلك بشرقنا وعقيدتنا ومبادئنا ، لقد اعتقلنا من قبل أحد عشر شهرا لاننا ابينا ان نحيد الحماية ورفضنا الا التمسك بالاستقلال التام بينما كان

غيرنا يشترك فى الاحتفال بالحماية ، وظللنا ننقل من سجن الى سجن فما كان السجن بضائرنا بل فهم الدين سجنونا ان عقيدتنا الوطنية لا يؤثر فيها اى نوع من الاضطهاد .

ويتساءل الرافعى ايضا : اين حرية الراى ؟ اين ما يكفل وسائل اعراب كل انسان عن فكره بالقول والكتابة ؟ اين ما يكفل الحرية الشخصية ؟ اين حرمة المنازل ؟ كل ذلك اصبح لا وجود له بالنسبة للاخبار ولحررى الاخبار والعاملين فى الاخبار وللساكنين فى الاخبار فهل استثنانا الدستور بنص يقول ، يحرمننا من التمتع بهذه الحريات ؟ »

وبصلابة المؤمن بربه ، وبوطنه وبمبدئه يقول : تقول لأولئك المعتدين ومن يحركونهم : اننا لن نتحول عن عقيدتنا وخطتنا ولن ننصرف عن العمل للقضية القومية ولن نخلى عن القيام بواجبنا الى آخر نسمة من حياتنا « ولان الفلك دوار ولان دوام الحال من المحال فان سعد زغلول رئيس الوزارة ابعد عن الحكم ، ولما تكتمل وزارته عاما واحدا من حياتها القصيرة .

وتستقيل وزارة سعد زغلول او بمعنى ادق تقال اثر حادث اغتيال السير لى ستيك حاكم السودان وسردار الجيش المصرى ويتساءل الناس : ماذا سيكون موقف امين الرافعى من سعد زغلول بعد اقالة وزارته ؟ ايتشفى فيه . وهو الذى وجه اليه المظاهرات تحطم داره وتطلب رأسه لا يتعاون مع خصومه الذين تولوا الوزارة بعده ؟ الذين يعرفون جيدا امين الرافعى لم يكفوا أنفسهم عناء وضع السؤال ، وعناء الاجابة عليه ، ايماننا منهم بان امينا هو ، هو لن يتغير ولن يتبدل هو هو فى موقفه : ضد

الاحتلال البريطاني ، ضد الحكم الجائر ، هو هو في موقعه ،  
مع الشعب لتحقيق مطالبه وأمانه القومية ؟

وبكل ما لدى أمين الرافعي من قوة ومن صلابة راح  
يعمل على تحطيم ذلك النظام الجديد ، نظام أحمد زيور الذي  
خلف سعدة في رئاسة الوزارة . ويحل زيور البرلمان مرتين  
ويحمل الرافعي على حل البرلمان ، ويطالب بانعقاد  
مجلس النواب المنحل رغم أنف المندوب السامي والملك  
أحمد فؤاد والحكومة المصرية ، ويستجيب زعماء البلاد  
وقادتها وعلى رأسهم سعد زغلول لفكرة أمين الرافعي ،  
ويجتمع البرلمان في فندق الكونتنتال حيث كان يقيم  
أحمد زيور باشا رئيس الوزراء . . . و . . .

وتنطلق المظاهرات في هذه المرة الى دار الاخبار  
فرحة جذلة تهنيء صاحب الاخيار بنجاح دعوته  
المباركة .

ويجلس الرافعي في مكتبه المتواضع بميدان الازهار  
ينتظر ماذا سيقروه الزعماء والقادة والنواب والشيوخ ،  
وهل سيثيرون فعلا - كما نادى - على من عطلوا  
الدستور ؟ .

ويقرر المجتمعون في فندق الكونتنتال الاحتجاج -  
فقط الاحتجاج - على تصرفات الوزارة والمنافية للدستور  
كما يقررون حجب الثقة عن الوزارة بالاجماع ، كما  
يقررون ايضا استمرار جلسات مجلسي الشيوخ والنواب  
في المواعيد والامكنة التي سيتفق عليها الاعضاء غير ان هذه  
القرارات رغم ضعفها لا تنفذ اذ سرعان ما انشغل الجميع  
بالاستعداد لاجراء الانتخابات الجديدة التي كانت لقمة  
تقدم دائما للفاشين لكي يزول عنهم غضبهم !

يرى أمين الرافعى ان ما كان يأمله من دعوته لم يتحقق  
وان المعركة ضد الاحتلال الخصم الاون للدستور ، ضد  
السراى ، ممثلة الحكم الاوتوقراطى ، ضد الرجعية التى  
تعمل فى خدمة الاستعمار والسراى ، وكل قوى أخرى  
معادية للشعب : هذه المعركة التى كان يدعو اليها أمين  
الرافعى تحولت الى معركة أخرى : معركة انتخابات  
لا أكثر ولا أقل !

ويصاب الرافعى بصدمة عنيفة هزت كيانه وزلزلت  
بنيانه ، لقد وجد نفسه وحيدا فى الميدان . . وأعلن أمين  
الرافعى احتجاب الاخبار !

وفى فترة احتجاب الاخبار ينتزع القدر من أمين  
الرافعى ابنه البكر عبد الرحمن البالغ من العمر خمس  
سنوات بعد اصابته بالدفتيريا ويصلى أمين الرافعى بعد  
أن علم نبأ الوفاة ، وينكفئ على سجادة الصلاة يبكى ،  
ثم يطلب أن يدفن جثمان ابنه الى جوار جثمان الزعيم  
مصطفى كامل ، ويجاب الى طلبه ، وتفتح لأول مرة مقبرة  
مصطفى كامل ليدفن بها عبد الرحمن أمين الرافعى .

ويصاب أمين الرافعى بمرض السكر .

ويذهب أمين الرافعى لاداء فريضة الحج ، وينتهز  
الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير صحيفة  
السياسة الاسبوعية وقتئذ الفرصة فيطلب من أمين الرافعى  
أن يكون مراسلا لصحيفة السياسة وهو فى الحجاز .

وهنا تبدو شخصية الصحفى الكبير عظيمة رائعة  
انه وهو صاحب اكبر صحيفة شغلت الراى العام أكثر  
من خمس سنوات وهو السياسى الوطنى الرائد ، الذى  
سبق د . هيكل فى العمل السياسى بسنوات عديدة



يرحب بأن يكون وهو صاحب الصحيفة ورئيس التحرير  
والصحفي الخطير مراسلا لواحدة من الصحف التي كانت  
دون صحيفته نفوذا وانتشارا .

وفى موسم الحج يشترك فى اول مؤتمر اسلامى عرفه  
العالم الاسلامى دعى اليه الملك عبد العزيز آل سعود ملك  
« نجد والحجاز » .

وتصادف ان وقعت فى السنة التى كان يحج فيها أمين  
الرافعى فتنة « المخمل » بين القوات المصرية المرافقة  
للمخمل وبين بعض المتطرفين من النجديين وقد تم تبادل  
الرصاص بين الجانبين وكلف الملك عبد العزيز أولاده  
بالاسراع بالذهاب الى مكان الحادث ومنع إطلاق  
الرصاص و . . و .

وقد شارك أمين الرافعى فى واد تلك الفتنة قبل أن  
تستفحل وتؤدي الى قطع العلاقات بين الحكومة المصرية  
وحكومة نجد والحجاز ، وقتئذ .

وعندما عاد أمين الرافعى من أداء فريضة الحج باشر  
العمل لاستئناف اصدار الاخبار ، وتعود الاخبار مرة  
أخرى الى الصدور أقوى مما كانت تهاجم ويعنف السراى  
وسلطات الاحتلال والاحزاب التى انتلفت من اجل  
الانتخابات .

وبسرعة تعود جريدة الاخبار لتحتل مركز الصدارة  
بين الصحف المصرية ولم يكن ذلك بحاجة الى جهد لقد  
كان والقراء - وقتئذ - يتبعون كاتبهم المفضل الى اية  
جريدة يذهب اليها ولم تكن الجريدة التى عطلت بقرار  
من الحكومة أو بقرار من صاحبها ، عندما تفكر فى  
الظهور من جديد بحاجة للاعلان عن موعد صدورها أكثر

من بضعة أسطر تنشر فى الصحف القائمة ان جريدة كذا  
ستعود الى الظهور ، ليعود اليها قراؤها .

وفى نوفمبر سنة ١٩٢٧ اشتمد المرض على أمين  
الرافعى وبدا الاهل والاصدقاء محاولة اقناعه بالراحة  
دون جدوى . ووصف عباس محمود العقاد : « أمينا فى  
ايامه الأخيرة بقوله : « رأيت أمينا يمشى فى الطريق على  
مهل فرايت شبعا يتماسك ، وجسدا قد تهدم الا قليلا ،  
ونفسا تمشى فى عالم وحدها وهى تشعر بنهايتها ولا تكاد  
تشعر بها من فرط الاطمئنان فيها وسيماء السكينة  
والرضوان التى تحف بها ، فعلمت اننى ارى أمينا فى  
تهافت جسده وأمينا فى قوة نفسه ورأيت كيف يؤثر  
الايمان على الجسد الفانى أما نفسه فهى فى ملاعيز الحوزة  
منيع الجانب ، وعجبت ان يكون هذا أمينا وهو بعد فى  
ابان الفتوة وعنفوان الحياة ثم عجبت لهذا الهيكل الفانى ،  
ان يكون هو ذلك الفتى الذى كنت اراه فى مكتب الدستور  
أو مكتب اللواء فياضا بالشباب مقبلا على الحياة فى  
وجهه بشرة العافية وفى عينيه وميض الامل وفى مشيته  
صولة القوة والمضاء ، فكيف تبدل هذا ومن أين حل الهرم  
فى هذا الالهاب النضير ، ههنا شيخ يحسبه من يجهله  
فى الستين أو ما فوق الستين وهنالك لم يتجاوز العشرين  
أو جاوزها بقليل ، وما جار الرجل على شبابه فى غواية  
ولا أسرف على نفسه فى مهلكة من مهالك الاعمار ، فقل اذن  
انه هو الجهاد ، كان داء ذلك الجسد الناحل فاعجل  
اليه المات وهو فى مقتبل الشباب » .

ويلقاه فى ايامه الأخيرة هذه ، محمود الطوخى - الفلكى  
- بعد خروجه من المسجد الزينبي اثر صلاة العشاء  
فيهش للقائه ، فقد كان الطوخى زميلا له فى سجن

الجيزة أيام الحرب العالمية الاولى ، وكان الطوخى يعمل فى الحقل الوطنى كما يعمل فى الفلك وهو الذى اعتقل فى اثر حادث مقتل بطرس غالى لانه كتب فى طوابعه ان رئيسا يقتل ، وينعم على ابنه بالباشوية ، ووجهت الى الطوخى تهمة الاشتراك مع الوردانى فى الجريمة لانه ذكر الواقعة فى تقويمه وقال الطوخى للمحققين ضاحكا : من الممكن ان اكون قد اشتركت فى جريمة مقتل بطرس غالى ، ولكن من الذى اعلمنى ان الخديو سينعم على ابن بطرس باشا غالى بالباشوية .

ويركب الرافعى والطوخى الترام من ميدان السيدة زينب الى ميدان الازهار ويسأله الرافعى وهو يضحك : اين تقويمك ؟ فيخرجه الطوخى من جيبه ويعطيه اياه ، مشيرا الى البيت الذى يقول فيه الطوخى فى صفحة ٦٥ :

ونجسم امين الرافعى ضسعوده

يكون بهذا الدور والسعد يكتمل !

ويقول له الرافعى وهو يبتسم مشيرا الى حرف الصاد فى التقويم صفحة ٨٠ وقد جاء فيه عن سعد زغلول : يحرمه صفة زغلول :

صفة ان الوقت قد حان للصفاء

فلا تجزعى ان النجوم ستنتقل

ويقول الرافعى للطوخى : لقد مات سعد ولم ير الناس راى فى ان هذا دلالة الموت فان الموت .. هو الصفاء ، هو الراحة . ويسأل الرافعى صديقه العالم الفلكى قائلا : فكيف ترى صعودى اذن .. هل الى منصب وزير مثلا ، فليس يكمل السعد الا به طفرة .. وقال الطوخى : لا أدري يا امين بك .. لقد تنبأت للأخبار بالخير وها هى ستبدأ حياة جديدة .. « وانصرف كل منهما .

وفى منتصف نوفمبر ، يشتد المرض ويكثر الأطباء من نصحهم للرافعى بأن يلجأ الى الراحة ، والرافعى كالعادة لا يستمع الى النصيحة ، وفى ليلة ٢٣ نوفمبر يكمل الرافعى عمله اليومى فى الاخبار ويكتب مقبالاته التى يفتح بها مرحلة جديدة من مراحل تطور الاخبار ، وتشتد الحمى ، وترتفع الحرارة الى الاربعين وينقل الرافعى الى سريره محمولا على سيارة . وفى مرضه يتروره كل أقطاب البلاد وكل السياسيين والادباء والشعراء ويتحول بيته المتواضع ، الى مزار لجميع الشخصيات المصرية والعربية .

وتشتد الحمى ويصبح الرافعى كالورقة الجافة فى مهب رياح هوج ، وتنطفئ شمعته فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٧ .

واذا كل جريدة فى مصر - حتى تلك التى خاصمها الرافعى بعنف - تنعى الى مصر والعالم العربى والاسلامى وفاة اصدق الكتاب وأخلصهم وأصلبهم واشدهم ايمانا وأكثرهم تضحية .

وتكون جنازته أروع ما شهدته مصر .

وتعيد الى الأذهان جنازة مصطفى كامل .. لقد أبى الشعب جميعا الا أن يكرم الرجل الذى عمل فى صمت وضحي بحياته فى هدوء وبلا مقابل .

ولو اننا أردنا أن نحصى أسماء الشخصيات الكبيرة وممثلى النقابات المهنية والعمالية والطلابية الذين اشتركوا فى هذه الجنازة لأحتجنا الى صفحات وصفحات .

ثم تقيم أسرة الصحافة فى دار الاوبرا حفلة رائعة

بشترك فيها ممثلو الصحف على اختلاف نزعاتهم الحزبية  
فى رثاء الرافعى .

وعلى مدى عام كامل ، تقام حفلات التأيين فى كل مكان  
فى مصر ، حتى القرى ، والنجوع ، والكفور ، لم تخل  
من حفلات تأييين لهذا الرجل الذى لم يحمل يوما ما الا  
قلمه ، ولم ينل من دنياه الا السمعة الطيبة التى اجمع  
عليها الناس .

قال الدكتور محمد حسين هيكل ، الذى اتناه الصحفيون  
المصريون جميعا لالقاء كلمة الصحافة المصرية فى الاحتفال  
الذى اقامته أسرة الصحافة فى دار الاوبرا فى ٢٨ فبراير  
سنة ١٩٢٨ وهو يخاطب الرافعى : كنت فى الصحافة  
مثال البر والطهر والنزاهة ، والصلابة فى الحق والتضحية  
الخالصة لوجه الله والوطن واى تضحية اكثر من تضحيتك  
بنفسك . . لقد سقطت فى ميدان جهادك الصحفى ضحية  
هذا الجهاد ، وما يزال فى عدد سنين الحياة فسحة  
بعشرات منها لانك كنت تحرق من نفسك لتضىء روحك بكل  
ما فيها من نور الهداية والحق ، وما زلت فى ذلك جاهدا  
حتى احترقت جميعا . . لقد جاهدت لتضىء لغيرك فأحرقت  
نفسك وجاهدت لتبنى رجالا مصر الذين تفخر بهم اعلاما  
لمجدها فانهد جثمانك وجاهدت لتنصر الحرية التى قدستها .  
والحق كما عرفته فذهبت ضحية طاهرة للحق  
واللحرية ، وجاهدت فى سبيل ذلك وذلك كله عظيم  
بقلمك ، قلم الصحفى المتقد غيرة ونشاطا الذى لا يعرف فى  
حياته الراحة ولا الملل : قدست الحرية وانرت سبيل  
الرأى وصنعت عظماء الرجال فكنت للصحافة مجدا  
والصحفيين فخرا وكنت فى حياتك كما انت اليوم اصدق  
آية لشرف جهاد القلم فى سبيل الحرية والسلم .

وكننت فى حياتك كما انت اليوم انبل من قدس الصحافة  
قلم تعرف غيرها عملا وغير الصحفيين اسرة حتى استعذبت  
فى سبيلها كل الم واستهان بها فيها بكل تقلبات  
الحياة .

وقال عباس محمود العقاد : لقد عاش امين الرافعى لرايه  
وعقيدته ، مثلا فى الثبات وعنوانا شريفا لصناعة الصحافة ،  
وفردا من الافراد القلائل الذين رفعوا هذه الصناعة النبيلة  
عن طمع الطامعين وشبهة المشتبهين ، وحسب الصحافة  
من فقيدها هذه الحلة التى تحلت بها عن كريم خلاله ، ونبل  
سجاياه . فان لم يكن لها حظ غير هذا الحظ الجزيل لكفى  
به نصيبا تفاخر وتذكره بما هو حقه فى ثناء واكبار ، فكيف  
وهى تذكر لفقيدها رحمه الله - فوق هذا الذى ذكرناه -  
انه كان قوة بقلمه وانه كان صوتا مسموعا فى وطنه وانه  
ادى لامته واجبه الذى هو اكبر مما يؤديه انسان ،  
لا وسيلة له غير وسيلة القلم والقرطاس .

ولقد عرف الصديق والأدب لامين كل من عرفوه  
واجتمعوا به فى صعيد واحد ، حتى الانجليز الذين كانوا  
يشرفون على اعتقاله فى عهد الاحكام العسكرية كانوا  
يعلمون انه الرجل الصادق والخصم النزيه فلا يشكون  
فى صدق كلامه ولا يرجعون الى احد بعد سؤاله واذا نفى  
لهم امين شيئا فذلك الشئ مقلوع عندهم ببطلانه  
واذا اخذ على نفسه عهدا فذلك العهد موثوق بانجازه .

على اى حال ، فقد عرفوا فيه الرجل المهذب وعرفوا  
فيه الرجل القوى الايمان فاكبروا فيه الخلقين واستكبروا  
عليه ان يخادع او يلين » .

وخطب مصطفى صادق الرافعي مصر فقال : وبحك  
يا مصر أفيك نوع من الموت هو أشد الموت فلا ينقذ إلا  
من أصدقائك خاصة ؟ أمن سحرك أنك لا تظهرين للشعب  
عظيما إلا بموت ميت ( كأمين ) أو بناء قبر كالهرم الأكبر ؟  
أمن عظمتك أنك تنشئين النبي من أنبياء الوطنية ليؤدي  
رسالته ثم تصليه ؟ أمن قوتك أن لا ينتصر فيك الحي  
إلا بعلامة واحدة هي أنه أهلك نفسه بك ؟ أمن جبروتك  
أنك لا تدركين حقيقة ابنائك إلا حين لا تستطيعين أن  
تناديهم يا ابنائي ؟ أمن عجائبك أن لا يعرف خصومك  
وأنصارك الذين هم كخصومك رجلا مثل ( أمين ) إلا أن  
يرغمهم هو على الإقرار حين يجعله الموت جزءا من ضميرهم  
الإنساني يا الهى . كان صوتك فى مصر ، فكان كالرعد  
فى حجرة ، وكان كالبرق فى قلم .

كان الباطل يرى فى ذلك الرجل حقا لا يتبدل أبدا .  
كانت الفتنة ترى فيه سموا لا يتنزل أبدا .  
كان الذل يرى فيه عزة لا تتحول أبدا .  
كان الواجب يرى فيه عاملا لا يتعلم أبدا .  
كان رجلا من الأبد قامت بينه وبين مخازى الدنيا  
كلمتان : أبدا أبدا .

كان صوته صاعقا يشق حجاب القلب لأنه من قلبه  
لا من شهواته .. وهو صوت مدفعك الذى وضعته فى  
أعلى برج من الحصن المصرى ترسل إليه كل يوم شراره  
لتنطلق منه كل يوم كل قذيفة .. يا له مدفعا ملء بارودا  
لولا مدافع أخرى يتهازا بها القدر فيحشوها بما يؤكل  
وما يشرب .

« بذلك ناجيت بعش أمين » .

وقال عنه الامير شكيب ارسلان : وامين الرافعى ككاتب كان من كبار كتاب هذا الوقت ، وابلغهم عبارة واحياهم روحا واسداهم منطقا واوفرهم ادبا واجودهم عارض قلم ، وامين الرافعى كصحفى كان مثالا للاستقامة والنزاهة ، لا يهमे مال ولا جاه ولا بلاء ولا شقاء فى سبيل الجهر بما يراه حقا ، وليس فى مصر من يجادل فى مزيتة هذه . وقد عرفنا حيادات كثيرين يضعون مبادئهم فوق المنافع الدنيوية ولا يبالون مصائب ولا عذابا واصبا اذا نهضوا لخدمة مبدا مقدس ولكنى قلما رايت فيمن عرفت او فيمن سمعت به رجلا كان يقنى فى المصلحة العامة بالقدر الذى كان يقناه أمين الرافعى .

وامين الرافعى كصحفى سياسى لم يكن يعرف المراوغة ولا ما يسمونه نصف التدبير وكان لا يمشى الضراء ولا يسير حسوا فى ارتفاع وكان ينازل اذا نازل وهو شهير مرفوع الراس حاسر عن الذراع .

وكانت لا تهوله كثرة العدد بازائه وذلك لشدة ثقته بالذى يراه حقا فكان يرى ان الكثرة لا تقدر أن تسطو على الحقيقة .

وان مائة الف خطأ لا توازى ربع صواب وويل لمن كان يحمل عليه أمين الرافعى فقد كان اذا رمى أصمى واذا ضرب كسر . ولم يكن شتاما ولا مقلدا ولا ممن يخوض فى الشخصيات اذ كانت نفسه تعلو عن هذا الضرب من المناظرة وكان من سداد حجته وحضور ذهنه وصوله بادرته بحيث يصرع قرنه فى الموضوع ويستغنى بتزييف القول عن تشنيع القائل . وامين الرافعى كوطنى كان صريح



المشرب والاداءة ، صحيح العزيمة متأبيا الهوادة ناظرا الى العواقب يرى من ضرر التساهل ما لا يرى من ضرر التمسك ولم يكن يرى أن كون الانسان عمليا يجيز له ان يتسلى بالمحالات وأن يجتزىء عن الحقيقة بالخيالات .

وامين الرافعى كصاحب . كان وفيا بالعهد ، حافظا للأزمة ، قائما بواجبات المروءة اذا خوطب اجاب واذا نودى لبى وكان حافظا لصديقه فى الغيب ليس كأولئك الذين لا تتجاوز صداقتهم ابواب المجالس ، وقد كانت مرعوته تحمله على تحمل الضرر بل الخطر حتى لا يفرط فى حقوق الصنحة وقد جاءتنى منه كتب عدة هذه المرة اذ هو مريض ، وفى احداها كان يوصينى أن لا أسأم من الكتابة بسبب السفة والتطاول اللذين أراهما من بعض الناس .

وامين الرافعى كمسلم لم يكن يرى فوق الاسلام شيئا ولم يكن يرى حياته الا لخدمة الاسلام والمسلمين ولم يكن يعرف فى مقام الدفاع عن الدين كبيرا ولا عزيزا ولا يرعى فيه خيلا .

ويقول ابراهيم عبد القادر المازنى : لا أحب أن أطيل فى عفة ونزاهة مبدأ أمين الرافعى فان هذا كله معروف دائما اقول انه هو الذى قوى ايمانى بالشرق وثبت ثقتى به وكنت قبل مخالطتى له اعتقد ان فى الشرق القوة الكافية للنهوض واستبعاد ان يكون ميثوسا منه . ولكن هذا لا يعدو ان يكون نظرية تدور بنفسى حتى كان من حظى ان عرفته وعملت معه واتصلت به اوثق اتصال ، فصار عندى دليلا ملموسا على ما فى الامم الشرقية من الحيوية فان امة تخرج رجلا له مثل صلابته وقوة روحه ورسوخ ايمانه بامته لا يمكن أن تكون قد عمقت . واكبر ما راعنى فيه الجلد والصبر والجلد حصانة والصبر مناعة وقد كان هذا الخلق

من ابرز صفات امين فعاش منيع الشرف محصن الضمير  
لا تطاوله الشهوات ولا ترقى الى ذروته (الهواء) .

ويروى فكرى اباطه قصة واحد من الذين كانوا يعاونون  
الرافعى فى الاخبار - لعله الاستاذ المازنى نفسه - اتصل  
به ليبلغه وفاة شقيقه فعزاه امين ودعا له بالصبر وانتظر  
المازنى ان يفد امين على داره ليواسيه فى مصابه ، ولكن  
النهار انقضى بطوله دون ان يرى له اثرا فعجب لمسلكه  
واخذ يلتمس له عذرا حتى اذا كانت الساعة الحادية عشرة  
ليلا سمع قرعا على باب داره فسارع اليه وفتح فالتقى  
امينا واقفا امامه يبكى وقد خنقت عباراته عباراته فلم يقو  
على الكلام فصمت ودفع اليه امين بصره تحتوى على اربعة  
عشر جنيتها لينفقها على معدات تشييع جنازة شقيقه .  
ومرت على تلك الحادثة اشهر طويلة وصديق الرافعى  
يجهل سرها ثم علم ذات يوم ان امين بك اقترض يومئذ  
الجنهات الاربعة عشر التى ساعده بها وانه مضى سحابة  
ذلك اليوم والشطر الاول من ليله فى البحث عن يقرضه  
هذا المبلغ .

هذا هو امين الرافعى الذى كان يرفض الوفاء بالجنهات  
كاعلانات اذا ما جاءت من شركات انجليزية حتى ولو لم  
يكن لهذه الشركات علاقة بالسياسة ، والذى كان يرفض  
الكثير من الالوف اذا جاءت كاعلانات عن اشياء محرمة  
كالكونياك مثلا .

ويكمل فكرى اباطه حديثه ويقول : ان امينا قد احتكر  
بلا منازع خاصيتين جنون العقيدة فقد احاطه بسياج من  
الاجلال ، خالد ، واما الاحتكار النصوص فلا اظن انه يوجد  
فى مصر كاتب يجاريه فى هذا وويل لكل سياسى يلقى  
الكلام على عواهنه فعند امين الرافعى اقواله السابقة

وثيريحاته السابقة كأنه يدرك في الماضي ان المتكلم سيناقض نفسه وينسخ نظرياته .

اما الاستاذ حافظ محمود وكان من حزب معارضى للرافعى - فقد كتب الينا رسالة خاصة عندما علم باننا نعد هذا الكتاب تحت عنوان « سبع كلمات » قال فيها : « لقد اجتمع في قلب أمين الرافعى كل بخار الوطنية الذي تصاعد من حركة مصطفى كامل وكل اللهب الذي اندلع من ارادة الشعب المصرى فى ثورة سنة ١٩١٩ فلم يتحول قلبه لا عن هذه الوطنية ولا عن هذه الارادة ولم تستطع مختلف السياسات - التى استتبعث ثورة سنة ١٩١٩ - ان تحول عقله عما كان فى قلبه من الارادة الوطنية الصادقة ففضى السنين السبع الاخيرة من حياته فى صراعين ، صراع الصحافة فى مختلف السياسات ، وصراع الوطنية مع هذه السياسات جميعا » . « ان أمين الرافعى الذى تتلمذ على وطنية مصطفى كامل قد رفضت وطنيته عند قيام ثورة الشعب فى سنة ١٩١٩ ان يقف منها جامدا محايدا فاندفع بقلمه مع الطليعة فى هذه الثورة حتى اعتبره سياسة الثورة لسانهم الاوحد الاول فكان يدافع عن جهود الوفد المصرى بزعامة سعد زغلول عندما ذهب الوفد اول مرة بعد خروج اعضائه من المعتقل الى الخارج للمطالبة الوطنية ، لكن سعدا ما كاد يعلن ان صحيفة أمين الرافعى هى لسان الوفد ، حتى انكر الرافعى هذه الصفة التى كان يتطلع اليها كل صحفى غيره مفضلا عليها ان يظل محتفظا باستقلال رايه وحرية قلمه فى كل ما يكتب » . « وكان الرافعى فى معارضته شجاعا لم يخش طفيان الجماهير . . فقد حضر بنفسه الاحتفال الذى اقيم لسعد زغلول عقب عودته من الخارج بفندق شبرد

.. وفى الاحتفال عرض سعد فى خطابه لوجهة نظره فى الحصول على « الوعد » بإلغاء الحماية كأساس لقبول الدخول فى المفاوضات مع بريطانيا ثم يتساءل : هل يعارض احدكم فى ذلك .. فاذا بأمين الرافعى يقف بين هذا الجمع المؤيد قائلا : نعم انا أعارض .. ودفع أمين الرافعى ثمن هذه المعارضة غاليا .. لقد اعتبرته الزعامة من الخوارج وحضت الناس علنا على عدم قراءة صحيفته ... احتل الرافعى هذه الحملة التى هبطت بتوزيع « الاخبار » من اربعين ألف نسخة فى الوقت الذى كانت تتطلع فيه اكبر الصحف الى توزيع العشرين ألفا .. احتل الرافعى هبوط توزيع جريدته من الاربعين ألفا الى بضع مئات دون أن يحيد عن موقفه « .. ومضت الايام واثقلت الاحزاب ورأى أمين الرافعى فى أسس هذا الائتلاف شيئا يختلف مع مبادئ الحزب الوطنى التى عاش دائم الحنين اليها فعارض أمين الرافعى هذه الاسس .. يومئذ اتهم أمين الرافعى بالمغالاة وقد يكون بعض هذا الاتهام أقرب الى الصحة لكن الايام أثبتت أن الجانب الأكبر من الحق كان معه ، إذ ما كادت حكومة الائتلاف تفكر فى أول مشروع للتوسع فى وحدات الجيش المصرى وأسلحته حتى اصطدمت - أى اصطدمت الاحزاب جميعا - بإرادة بريطانيا .. ولم يكن هذا الاصطدام عيبا بالنسبة لحكومة الائتلاف ، انما كان العيب فى أن المؤلفين كلهم قد اضطروا الى التراجع واضطروا الى تغطية هذا التراجع باخفاء أنباء هذا التصادم عن الشعب لولا أمين الرافعى الذى تولى وحده كشف أسرار هذا الصدام .. لقد كان معنى هذا الموقف من الرافعى أنه قد تعرض لفقدان

صدقات الزعماء جميعا .. لكنه لم يأبه لشيء من هذا ، واستمر فى حملته الى نهايتها .. وكان خلافه مع الزعماء على اختلاف احزابهم دليلا على انه صحفى حر صاحب رسالة حرة مستقلة عن كل الاحزاب فى سنة ١٩٢٠ كانت بريطانيا قد افحمت على الموقف السياسى مشكلة جديدة بوضع مشروع تعسفى جديد للحكم القضائى فى السودان ، وأرادت السلطات البريطانية ، فى زحمة الاحداث ، ان تحصل على موافقة الحكومة المصرية الخاضعة لنفوذها على هذا المشروع .. وكادت هذه المسألة تمر دون ان يشعر بها أحد فاذا بأمين الرافعى يتصدى لها قائلا فى مقاله ان هذا المشروع لا يمكن التصديق عليه الا بعد مناقشة الجمعية التشريعية فى مصر . ولقد كانت الجمعية التشريعية معطلة الجلسات بأمر السلطات المحتلة فاقترح أمين الرافعى على أعضائها ان يجتمعوا فى أى مكان ليقولوا كلمتهم ، وبالفعل عقد هذا الاجتماع بدار سعد زغلول فى شهر مارس سنة ١٩٢٠ باعتبار أن سعدا هو الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية .. ولقد سارعت السلطات الى اصدار القرارات التى تضى على هذا الاجتماع صفة البطلان ، لكن الرافعى كان أسرع منها فى الاعراب أيضا عن بطلان هذا المشروع . « ان أمين الرافعى كان المشعل الوطنى فى الصحافة المصرية عبر الحلقة الثالثة من القرن العشرين .. لكن هذا المشعل الذى شارك فى إنارة طريق الوطنية المصرية سبع سنوات أو تزيد .. قد أحرق أصابع اليد التى تحمله .. ولهذا فان الناس خصوما كانوا أو اصدقاء لأمين الرافعى - لم يشذ منهم أحد على احترامه حيا وميتا .. اننى لا زلت أذكر حفلة تأيينه بدار الأوبرا - وهى الدار التى كانت لا تقام فيها الحفلات الا بأذن الحكومات

التي خاصمها الرافعى - اننى لا زلت اذكر كيف كان  
خير المتكلمين فى تأبينه هم الذين اختلف امين الرافعى  
مع سياساتهم وكانهم كانوا يقولون انه فى خلافه مع  
سياساتهم كان امينا عليهم كما كان امينا على مبادئه ،  
ثم امينا على رسالة الصحافة » .

وسألت استاذنا الكبير محمد نجيب الذى عمل مع  
الرافعى سنوات عديدة أن يذكر لى بعض الجوانب  
الخفية عن حياة الرافعى فقال : كان الاستاذ امين  
الرافعى حريصا على أن تظهر صحيفته الاخبار بأحدث  
الاخبار ، حريصا على أن يكون سباقا فى التعقيب على  
الأحداث والاتجاهات السياسية .

كان يبكر فى الذهاب الى مكتبه فى الاخبار ولم يكن  
هذا راجعا الى أن مبنى الجريدة الضخم يضم منزله الى  
جانب مطبعتها ومكاتب ادارتها وانما كان ذلك يرجع أول  
ما يرجع الى أن عاداته جرت على الاستيقاظ مبكرا حتى  
أنه كان أول من يباشر عمله من المحررين وموظفى الادارة .

وكانت دار الاخبار تشغل المساحة الكبيرة التى تشغلها  
فى الوقت الحاضر المدرسة اليونانية فى ميدان الفلكى  
وكان حرصه على السبق فى التعقيب يدعو الى الاطلاع  
على البرقيات الواردة من الخارج برقية برقية وكذلك  
صحف الصباح صحيفة صحيفة وخبرا خبرا فاذا رأى  
فيها ضالته المنشودة أسرع بالكتابة ودفع بالمقال الى  
المطبعة . واذا لم ير هذه الضالة فانه يظل يرقب وينتظر  
حتى يتلقى نبأ من الانباء الجديرة بالتعليق دون أن يؤدى  
هذا الانتظار والترقب الى تأخير صدور الجريدة عن  
موعدھا لأنه كان سريع الخاطر سريع الكتابة .

ولقد بلغ من خشية حكومات ذلك العهد من أن تفاجأ بعد ساعات من إصدار قانون أو أى إجراء ترى فيه مادة لهجوم أمين الرافعى عليها أن كانت تحاول تفويت هذه الفرصة على أمين ، فتذيع هذا القانون أو هذا الإجراء فى وقت تعتقد أن أميناً لا يستطيع التعليق عليه وذلك لا يقتصر الصدور بالهجوم فيكون له أثر سيئ ضدها عند الراى العام .

ومع هذا فإنه كان يفوت على هذه الحكومات غرضها فيلقى مقاله اليومى المعد للنشر اعداداً نهائياً ويكتب مقالا جديداً ينتقد فيه القانون الجديد أو الإجراء الجديد .  
وما إذا كانت هناك استحالة مادية تؤدي الى تأخير صدور الأخبار فإنه كان يكتب أسطراً يعد فيها بالتعقيب فى اليوم التالى على أن هذه الأسطر لا تخلو من عبارة لاذعة تنطوى على النقد المر وكان المرحوم أمين الرافعى من كتاب عصره القلائل الذين يقسمون أوقاتهم ويوزعونها بين عملهم وراحتهم ، وصحيح أنه كان يختلس من وقت راحته ما يضيفه الى وقت عمله ولكنه لم يكن ليعمد الى العكس كما أن مكتبه كان منظماً تنظيمياً يدعو الى الإعجاب فإذا احتاج الى كتاب أو قانون أو ملف لمراجعته ليدعم مقاله به ويعززه فإنه لا يضيع وقته فى البحث عنه فى هذا الدرج أو فى ذاك أو فى هذا الدولاب أو ذاك بل أنه يضع يده عليه ويتناوله من مكانه فوراً دون أن يعتمد على سكرتير أو موظف يعاونه فى ذلك ، فقد كان رؤساء تحرير الصحف لا يعترفون بالسكرتير أو السكرتيرة وكان من الكتاب القلائل الذين لا يعتمدون على الذاكرة وحدها بل على نصوص القوانين أو الخطابات أو البيانات وكان رحمه الله يعتمد على

الأرشيف اعتمادا كبيرا فى تقديم الحجة والبرهان ضد خصومه السياسيين حتى لا يخطئ أو تخونه ذاكرته وكان يصرف ساعات من وقت فراغه فى تنظيم أرشيفه وتبويبه فقد كان يقص من كل صحيفة ما يحتمل أن يرجع اليه من الأخبار أو القوانين أو البيانات أو الخطابات وكان ذلك يكلفه كثيرا من الجهد والوقت . ولقد أصبح هذا الأرشيف ثروة صحفية ضخمة . ولا اظن أن أحدا من الصحفيين قد سبقه فى إعداد أرشيف صحفى كأرشيفه الذى كان يعد مرجعا تاريخيا . وأسأل أستاذنا نجيب أكان الرافعى منظويا على نفسه ؟ فيجب : فى اعتقادى أن ما وصف به أمين الرافعى من أنه كان منظويا على نفسه لم يكن صحيحا الى حد كبير . ذلك أن الرجل كان يكرس كل وقته لعمله الصحفى فلم يكن هذا العمل المضنى الذى اخلص له وتغانى فى حبه وأغرق نفسه فيه الى جانب ما اقترن به من المشكلات الضخمة والمؤامرات الدنيئة التى كانت تدبر للقضاء على صحيفة الاخبار وهذا يعنى القضاء عليه سياسيا ، كل هذا حد من اختلاطه بالناس فى الأندية العامة على أنه كان يختلس فى بعض الليالى ساعات من وقته ويقضيها مع زملائه وأصدقائه فى محل ( صولت ) أو فى « يعكوكة » وحيد بك الأيوبى .

وأسأل الأستاذ محمد نجيب عما يعرفه عن نزاهة أمين الرافعى وعفته وطهارة يده فيقول : كنت ذات يوم مع أستاذى أمين الرافعى فى مكتبه بدار جريدة « اللواء المصرى » و « الاخبار » بعد توحيد الجريدتين بسبب الإزمة المالية ، فجاء مدير الحسابات يعرض عليه شيكا بمبلغ ٢٠٠ جنية واردا من شركة مياه القاهرة قيمة اشتراك



الشركة فى عددین من الجريدة وطلب منه توقيع الشيك  
لقبض قيمته من البنك لأنه وارد باسمه .

ولم تكن نحن الذين ضمنا المكتب ننتظر الا ان يوقع  
أمين الرافعى الشيك . وتقبض الادارة المبلغ ولكننا فوجئنا  
به يطلب من مدير الحسابات رد الشيك وان يبلغ الشركة  
بقيمة العددين اللتين تطلب الاشتراك فيهما : وبدأ على  
مدير الحسابات ما يدل على عجبه من رد الشيك على  
حين ان خزانة الجريدة خاوية وأن مبلغ مائتى جنيه فى  
هذا الوقت مبلغ محترم يكاد يكفى مرتبات المحررين  
شهرا كاملا ، ويتباطأ فى تناول الشيك ، وأدرك أمين الرافعى  
مبعث هذا التباطؤ فقال لمدير الحسابات : اننا لا نشتري  
وقبول هذا المبلغ معناه تكميم فى والتغاضى عن اخطاء  
الشركة وهو ما لا يقبله صحفى شريف .. وذكر الزميل  
محمد نجيب قصة أخرى فقال : فوجئت ذات يوم  
بزميل كانت له علاقات طيبة بالوزارة القائمة وكانت من  
الوزارات الرجعية ، فوجئت به يسألنى فى غضب شديد :  
« هو أمين الرافعى ده عايز يموت ويخرب بيوت الناس  
اللى بتشتغل معاه : مش كفاية هو بيتحز ؟ فقلت لماذا ؟  
- فقال اسمع يا سيدى فلان باشا (وكان وزيرا للداخلية)  
سمع ان الحجوزات تتوالى على الاخبار وعلى بيت أمين  
الرافعى فكلفنى ابلاغه انه - أى الباشا - مستعد  
لسداد كل الديون بلا مقابل .. اى ان بظل معارضا للوزارة  
.. ولكن بشرط مهاجمة الوزارة السابقة وكانت وزارة  
وفدية .. تصور انه مع هذا السخاء من الحكومة ومع  
محافظتها على كرامته ... مع هذا كله رفض بدون  
اى تردد . ومضى صديقى فقال معقبا : ده راجل  
فاكر اننسا مايشين فى عصر « ابن حنبل » ويسألنى

صديقي هذا عن يستطيع التأثير على أمين ليقبل قلت له لا تحاول .. فأى محاولة ليست مجدية مع أمين الرافعى خاصة اذا تعلقت بالنزاهة .

وقد يؤخذ على الرافعى فى احوال قليلة ونادرة قسوته على بعض من خالفه فى الراى قسوة غير عادية كما حدث مثلاً - بالنسبة للشيخ على يوسف ، عندما استقال من رئاسة تحرير المؤيد بمناسبة تعيينه شيخاً للقيادة الوفائية ، بدلا من السيد عبد الحميد البكرى الذى عين نقيبا للإشراف ، لقد انتقد ضخامة مرتبه ٦٢٥٥ جنيها تدفع من «الروزنامة» كما انه علق على نبال استقالة الشيخ على يوسف بأن هذا النبأ قوبل بالغربة ولو لم يكن منشورا فى المؤيد لما صدقه أحد لان الرجل الذى اشتغل بالسياسة نحو ربع قرن لا ينتظر منه أن يتركها فجأة ، لمثل هذا السبب ، كما انه - أى أمين - تساءل هل يستقيل الشيخ من رئاسة حزب الاصلاح كما استقال من رئاسة تحرير المؤيد ؟

وكانت قسوة أمين الرافعى على طه حسين سببا فى ان طه حسين كان الكاتب العربى والمضى الوحيد الذى لم يكتب حسرا واحدا فى أمين الرافعى بعد وفاته ، والنقد الوحيد الذى وجهه د . عبد اللطيف حمزة الى الرافعى فى دراسته عنه ضمن سلسلة كتب « أدب المقالة » يتعلق بقسوة الرافعى على سعد زغلول فى مقالة بعنوان : البلاد سائرة فى طريق الفوضى وسعد باشا يدفعها الى الهاوية . وقد قال عبد اللطيف حمزة أن أمينا كان شديد اللهجة الى حد التطرف وتلك هى المرة الوحيدة التى يضطر فيها كاتب هذه السيرة ان ينحى باللائمة على أمين الرافعى لانه تجاوز القدر فى هذه المقالة

ونحن نعلم ان من حق الصحفي دائما ان ينسب الخطأ الى الزعماء والى ولاية الامور اذا كانت هناك دوافع وطنية الى ذلك ، ومن أجل هذا لم نوجه لوما الى محرر الاخبار فى مقاله الذى نقلناه قبل ذلك وهو المقال الذى خطأ فيه سعدا فى مواضع كثيرة - المقال حول حديث سعد باشا لمندوب رويتر - ولكننا مضطرون الى تخطئة أمين الرافعى فيما انزلق اليه قلمه بعد هذه التهم العريضة التى اتهم فيها زعيم الثورة فليس صحيحا ما قاله عن هذا الزعيم ، انه لا يتوخى غير مصلحته الشخصية وانه مستعد دائما للتضحية فى سبيلها بالمصلحة القومية وسيرة سعد زغلول شاهد على ما تقول » .

ويقول الدكتور عبد اللطيف حمزة : الصحفي فى الأمة أشبه ما يكون بالرائد لهذه الأمة والرائد نفسه كالمصباح ينير الطريق للناس وتظل ذبائته تجاهد فى هتك أستار الظلام فيما تكشف للناس عن جميع العقبات التى أمامهم والاحجار التى تعترض طريقهم ، والمتعرجات التى يتعرج اليها الطريق .. الطويل الذى يسرون فيه . وكما يحتاج الجيش الى القائد كذلك يحتاج هذا الجيش الى الرائد بل ان حاجة الجيش وقواده الى رواد يرتادون له الطريق ربما لا تقل عن حاجة هذا الجيش الى الطعام والشراب والى المععدات والادوات اللازمة فى ميدان القتال . وقد كان سعد زعيم الأمة المصرية بلا منازع ، كما كان أمين الرائد لهذه الأمة فى الواقع وقد فهم كل من الرجلين مهمته على أحسن وجه ، فقاد سعد أمته فى حدود امكانياتها الى نصر وقام أمين الرافعى فى حدود امكانياته كذلك بعمل الرائد الذى لا يكذب اهله فكان يصبرهم بمواقع الزلل ويرشدهم دائما الى خير العمل

والذى لا ريب فيه ان امينا فى اداء واجبه هذا كان يؤديه  
بصدق وامانة وشرف ونزاهة وكان يأخذ نفسه دائما  
بما يعتقد انه الحق لا ينظر فى ذلك الى الاشخاص ولكن  
ينظر دائما الى المبادئ وقد أجمع المعاصرون له على هذه  
الشهادة وبها نحن الآن نرى ان البحث يؤدى بنا الى  
هذه النتيجة . من اجل ذلك لا يعجب التاريخ حين يجد  
الصحفى مرة ينصر الزعيم ومرة أخرى يبدو معارضا له ،  
او حين يرى هذا الزعيم ، مرة يرضى عن هذا الصحفى  
الكبير واخرى يسخط عليه .

« ولقد أصر الرافعى فى خصومته العنيفة لسعد الى  
آخر الشوط فأصبح لا يعنيه كل يوم ألا أن يكتب مقاله  
السياسى ويحمل فيه سعدا مسئولية الحالة السيئة  
التي صار اليها الدستور والحالة السيئة التي صارت  
اليها الحرية الشخصية والحسرية الجماعية والحالة  
السيئة التي صارت اليها البلاد فى جميع مرافقها  
الحوية » .

وقد يأخذ البعض من رجال الحزب الوطنى على  
الرافعى موقفه من حزبه الوطنى اثر تشكيل الوفد حيث  
أصر سعد زغلول على ألا يمثل الحزب الوطنى فى الوفد  
تمثيلا لاثقا بأقدم وأكبر حزب وطنى فى البلاد وحيث  
اندفع الرافعى بكل ما يملك من حماس لتأييد الوفد  
الذى لم يكن يومئذ مكونا الا من كثير من زعماء حزب  
الأمة ومن المعتدلين فى السياسة ولم أجد ضمن أوراق  
الرافعى ما يوضح لى هذه النقطة سوى ان الرافعى لم يكن  
يؤمن فى فى يوم من الأيام أن الوفد المصرى الذى ضم  
محمد محمود وحمد الباسل وسعد زغلول واسماعيل  
صدقى والمكبائى ومحمود أبو النصر وحافظ عفيفى

وغيرهم من ذوى الآراء والأفكار المتضاربة يمكن ان يتحول الى حزب سياسى .

على ان الرافعى كان يعلم حق العلم ان غياب محمد فريد عن قيادة الحركة الوطنية قد أفقد هذه القيادة زعامة قوية ، يمكن ان تلتقى حولها كل القوى المتضاربة فى اللجنة الادارية للحزب الوطنى كما انه كان يبذل جهودا مضنية اما عن طريقه واما عن طريق عبد الرحمن فهمى لضم محمد فريد وبعض العناصر الوطنية التى حيل بينها وبين العودة الى مصر ، ابان الحرب العالمية الاولى الى عضوية الوفد بالرغم من ان سعدا كان مصرا على عدم الالتجاء الى تلك الخطوة خوفا من ان يتهم الوفد المصرى بالتطرف وخوفا من أن يؤدى ذلك - كما جاء فى خطاب سعد زغلول الى عبد الرحمن فهمى بهذا الخصوص - الى الخطر الكبير على القضية المصرية التى تحتاج على الدوام لعطف الحلفاء الذين اشتهر قريد لديهم عموما ولدى الفرنسيين منهم خصوصا بممالة أعدائهم وضم محمد فريد الى الوفد من شأنه أن يؤيد مطامع الخصوم ويشوه جمال قضيتنا » وقد كتب سعد زغلول الى عبد الرحمن فهمى ملفتا نظيره الى ان جريدة مصر تكتب رسائل لجد الدين ناصف فيها شيء من الانقسام وتشويه القضية المصرية خصوصا بالكلام عن محمد فريد ورحلاته وآرائه فى بعض المسائل الخاصة فاذا أمكنكم أن تستلفتوا نظر حضرة الفاضل صاحب جريدة مصر الى الكف عن نشر مثل هذه الرسائل كان ذلك أفضل » وقد كانت عقدة الخوف من الاتصال بغير الحلفاء مسيطرة على سعد زغلول الى أبعد الحدود .

وربما كانت هذه العقدة هى التى جعلت الوفد لا يحمل على عاتقه ثقل جثمان محمد فريد على نفقته كما فعل

بالنسبة لجثث الطلبة المصريين الذين ماتوا فى حادث  
سكة حديد بوئينتا .

وقد كتب سعد زغلول الى عبد الرحمن فهمى بتاريخ  
٧ مايو سنة ١٩٢٠ يرد على ما أرسنه اليه المحاميان  
شفيق منصور وعبد الحليم الببلى طالبين نقل هذه الجثة  
وعلى سعد زغلول عدم موافقة الوفد على مطلب شفيق  
منصور والببلى بقوله : ان الوفد لم يتعرض لمسألة الطلبة  
الا لأن الحادثة التى أودت بحياتهم نزلت بهم فجأة على  
غير انتظار فى جهة منقطعة لا يظن وجود أحد من المصريين  
فيها ، فرأى الوفد ان يسعف المصابين منهم وان يتكفل  
بنقل موتاهم ولكن المرحوم محمد بك فريد كان مريضا  
مرضا طويلا ووفاته كانت متوقعة لأهله وأصدقائه  
وأعضاء حزبه من زمن مديد وحصلت فى  
مدينة فيها كثير من المصريين ، ومضى على  
وفاته زمن طويل وقد تكفل بعض الأعيان بنقل جثته  
وسعى فى ذلك معظم أعضاء أهله وحزبه وسافروا لهذه  
الغاية فليس للوفد أن يتداخل من تلقاء نفسه فى أمر  
نقله لأن فى ذلك امتنانا على عائلته وحزبه والرجل الذى  
تصدى للقيام بأمر نقله ، أما العناية ، - فقد سبق للوفد  
أن اشترك فى الاحتفال بدفنه وتأيينه وعقدت له لجنة  
الوفد المركزية مأتما فى دار بعض أعضائها وهى لا تتأخر  
عن تشييع الجثة عند حضورها بالعاصمة وبناء عليه  
أرجو أن تفهموا ذلك الى هذين المحامين وان تؤكد لهما  
ولغيرهما ممن يتكلمون فى هذا الشأن أن كانوا ، ان الوفد  
مع ذلك كله مستعد للقيام بكل شيء اذا طلب ذلك منه  
الحزب الوطنى وسلم الامر للجنة الوفد المركزية لأننا  
لا نريد مزاحمة فى ذلك ولا نريد الافتئات عليه فى تولى ما هو

أولى بالعناية « وربما كانت هذه العقدة أيضا هي التي جعلت سعد زغلول يرسل الى اللجنة المركزية بتاريخ ٢٣ يونيه سنة ١٩١٩ يقول « الوفد غير راض عن المنشورات التي تعبر عن اعتماد المصريين على الالمان وتتضمن الانتصار للبليشفيك فان هذه المنشورات يستفيد منها اعداؤنا للقول بأن الحركة المصرية لها اتصال بالالمان والحركة البلشفية وهذا يضر بقضيتنا » .

وهذه العقدة هي التي جعلت الوفد يرسل الى الولايات المتحدة الامريكية محمد محمود للدعاية للقضية الوطنية ولا يرسل احدا الى بلدان أخرى لا علاقة لها بالحلفاء .

كما ان سعدا قد غضب جدا عندما نشرت صحيفة الفازيت خبرا عن اتصال الوفد بصحيفة الديلي هيرالد البريطانية المعروفة وقتئذ باتجاهها الاشتراكي وكان مما قاله سعد زغلول في رسالة بعث بها الى صحيفة الفازيت ونشرتها في ١٩ مايو سنة ١٩٢١ : اننى لست ممن يهتمون بالمباحثات في الشؤون الاجتماعية وانى لا أجهد نفسى فى أمر الكوميونية أو البلشفية ولا أبحث عن أيهما المناسب لحياتنا الاجتماعية اذ ليست عندى اى فكرة من هذه الوجهة وان العلاقة الموجودة بين الوفد المصرى والدلي هيرالد علاقة سياسية غير قائمة على قاعدة الارتياح لآرائها الاجتماعية . . لم نجعل علاقة لنا بها لآرائها الكوميونية ولكننا اتصلنا بها لانها قبلت ان تكون وسيلة لنشر آرائنا السياسية . ولو أبدت اى جريدة انجليزية مثل هذا القول لتقبلناه منها بمزيد الفرح » . وربما يؤخذ على الرافعى موقفه من كتاب الاسلام واصول الحكم حيث تزعمت الصحف - كما يقول الاستاذ احمد

بهاء الدين فى كتابه « أيام لها تاريخ » - التى تهاجم  
 الكتاب جريدة الاخبار لسان حال الحزب الوطنى فى ذلك  
 الوقت فهى تكتب فى افتتاحيتها يوميا : لم يبع من  
 نفوسنا موقع الاستغراب اقدام الشيخ على عبد الرازق  
 على اصدار الكتاب لاننا نعرف عنه فى كل حياته ضعفا  
 فى تحصيل العلوم وطيشا فى الراى والحادا فى العقيدة «  
 تقول فى يوم آخر : ما زالت صحيفة عبد العزيز فهمى  
 « جريدة السياسة » خالعة العذار مستهكنة فى الالحاد  
 لا تبالى انتهاك سترها ، خارجة على دين المسلمين ،  
 دين الدولة المصرية والراية المصرية . وفى اليوم  
 الثالث ترتفع درجة حرارتها جدا فنطلب اضرار  
 النار فى موقدى الفتنة « فلم يكن منتظرا من أمين  
 الرافعى وهو الذى كان ينادى صباح مساء بحرية الراى  
 أن يهاجم الشيخ على عبد الرازق هذا الهجوم العنيف  
 على أنه بعد مراجعتنا لمقالات الرافعى فى هذا الخصوص  
 ثبت لنا أنه كان يناقش الكتاب من الناحية الدينية أما  
 الاخبار فقد كانت تنظر الى الكتاب وكانت الاخبار وقتئذ  
 تحمل اسم « اللواء والاخبار » ، نظرتها الى معركة سياسية  
 تستهدف اخراج حزب الاحرار الدستوريين واخراج  
 وزرائهم من الوزارة وقد تحقق ذلك اذ اصدر يحيى ابراهيم  
 باشا - وكان وقتئذ نائبا لرئيس الوزراء ، زيور باشا -  
 مرسوما باحالة اعمال عبد العزيز فهمى باشا وزير  
 الحقانية الى وزير المعارف الى ان يعين للحقانية وزيرا .  
 وكان ذلك فى اوائل سنة ١٩٢٥ وبهذه الطريقة كما  
 يقول عبد العزيز فهمى فى مذكراته أصبح لا عمل لى  
 طبعا فى وزارة الحقانية فلزمت بيتى وقد تضامن معى  
 فى هذا الحادث حضرتا محمد على علوبة باشا وتوفيق دوس



باشا فاستقلا وكان اسماعيل صدقي باشا غائبا في أوروبا  
 فلما بلغه الخبر تضامن معي أيضا واستقال تلغرافيا .  
 وللحقيقة والتاريخ نقول : ان كثيرين من المصريين  
 المستنيرين كان لهم رأى مخالف من كتاب الشيخ  
 على عبد الرازق وفي مقدمتهم سعد زغلول نفسه الذي  
 أبدى رأيه في هذا الكتاب على النحو الذي أشار اليه  
 سكرتيره الاستاذ الجزيري في كتابه عن سعد زغلول  
 حيث قال : مساء ٢٠ أغسطس سنة ١٩٢٥ دخلت الى  
 مكتب الرئيس ويدي مجلتي «مجلة القضاء الشرعي» فتقبلها  
 بقبول حسن ثم استرعى نظره عنوان المقال الافتتاحي في  
 العدد الجديد وهو الامامة الكبرى أو الخلافة لفضيلة  
 الاستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف فقال : أو يكتبون أيضا  
 عن الخلافة ؟ فأجبت دولته نعم والمجلة تعالج موضوع  
 الخلافة منذ الغاء الأتراك لها فقال وما رأى المجلة قلت :  
 انه يلتقى مع الشيخ على عبد الرازق في بعض النقط  
 ويظهر ان ذلك كان سببا في ان عددا كبيرا من رجال السراي  
 استدعى اليه الاستاذ الشيخ خلاف ونصحوا ان يكف  
 عن الكتابة في هذا الموضوع وأفضى فضيلته الى بذلك  
 طالبا استرداد موضوعه التالي في المطبعة ففعلت . ثم سألت  
 « دولته » وما رأيكم في كتاب « الاسلام واصول الحكم »  
 فاستعد دولته كما يستعد المحاضر لالقاء محاضرة أو  
 الخطيب لالقاء خطبة ثم قال : « لقد قرأته بامعان لأعرف  
 مبالغ الحملات عليه من الخطأ أو الصواب فعجبت أولا  
 كيف يكتب عالم ديني بهذا الأسلوب في مثل هذا  
 الموضوع ؟ وقد قرأت كثيرا للمستشرقين ولسواهم فما  
 وجدت عند من طعن منهم في الاسلام حدة كهذه الحدة في  
 التعبير على نحو ما كتب الشيخ على عبد الرازق . . لقد

عرفت أنه جاهل بقواعد دينه بل بالبسيط من نظرياته  
والا فكيف يدعى أن الاسلام ليس مدنيا ولا هو بنظام  
يصلح للحكم ؟ فآفة ناحية مدنية من نواحي الحياة لم  
يتنص عليها الاسلام ؟ هل البيع او الاجارة او الهبة او أى  
نوع آخر من المعاملات لم يدرس شيئا من هذا فى الازهر ؟  
او نم يقرأ ان امما كثيرة حكمت بقواعد الاسلام فقط  
عهودا طويلة كانت انصر العصور ؟ وان امما لا تزال تحكم  
بهذه القواعد وهى آمنة مطمئنة ؟ فكيف لا يكون الاسلام  
مدنيا ودين حكم ؟ واعجب من هذا ما ذكره فى كتابه عن  
الزكاة ؟ فآين كان هذا الشيخ من الدراسة الدينية  
الازهرية ؟ . انى لا افهم معنى للحملة المتحيزة التى تشيها  
جريدة السياسة حول هذا الموضوع . وما قرار هيئة  
كبار العلماء باخراج الشيخ على ، من زميرتهم الا قرار  
صحيح لا عيب فيه لان لهم حقا صريحا - بمقتضى  
القانون او بمقتضى المنطق والعقل - ان يخرجوا من يخرج  
على انظمتهم من حظيرتهم . فذلك امر لا علاقة له مطلقا  
بحرية الراى التى تعنيها السياسة . وهنا قلت : لعل  
ما يغيظ السياسة هو ان العلماء لم يندفعوا من تلقاء  
انفسهم الى هذه المحاكمة وانما كانوا مسوقين - على رايها  
- بجهة يهملها تأييد مركز الخلافة فاستعانت بنفسود  
العلماء . فقال : « اعرف ذلك ولكن مهما كان الباعث  
فان العلماء فعلوا ما هو واجب وحق وما لا يجوز أن توجه  
اليهم ادنى ملامة فيه . والذي يؤلنى حقا ان كثيرا من  
الشبان الذين لم تقو مداركهم فى العلم القومى والذين  
تحملهم ثقافتهم الغربية على الاعجاب بكل جديد سيتحيزون  
لمثل هذه الافكار خطأ كانت أو صوابا ، دون تمحيص  
ولا درس . ويجدون تشجيعا على هذا التحيز فيما تكتبه

جريدة السياسة وأمثالها من الشناء العظيم على الشيخ على عبد الرازق ومن تسميتها له بالعالم المدقق والمصلح الاسلامي والاستاذ الكبير .. الخ . وكم وددت أن يفرق المدافعون عن الشيخ بين حرية الرأي وبين القواعد الإسلامية الراسخة التي تصدى كتابه لهدمها »

وقد يأخذ البعض على أمين الرافعي موقفه من الحجاب والسفور وهجومه الشديد على بعض الشبان الذين كانوا يتعلمون في أوروبا ثم انشأوا جمعية لمحاربة الحجاب وكذلك حديثه مع صحيفة « تصوير الافكار » التركية حول الحجاب وما يترد حوله من آراء . ومن تتبعي لمقالات أمين الرافعي وآرائه أرى أنه لم يكن يحارب السفور بصفة عامة ولكنه كان يحارب التبرج كما أنه لم يكن - وخاصة قبل الحرب العالمية الأولى - يريد الدخول بالبلاد في معارك جانبية تشغلها عن القضية الأساسية قضية جلاء المحتل ، كما أنه كان يطالب - قبل تحقيق السفور - الاهتمام بتربية المرأة تربية وطنية ودينية لتكون للمرأة إذا رفعت الحجاب حصانة تقيها من الانحلال الذي وصلت اليه المرأة في أوروبا . وللعلم وجدت ضمن مخلفات الرافعي التي أهداها إلى شقيقه عبد الرحمن الرافعي - يرحمهما الله - العديد من الخطابات التي أرسلتها إليه السيدة منيرة ثابت .

وقد حاولت لدى منيرة ثابت في حياتها - ولدى ورثتها فيما بعد - أن أحصل على أصول الخطابات التي كانت منيرة ثابت ، قد تلقتها من أمين الرافعي ، غير أنني لم أنجح في محاولتي تلك ولو أنني نجحت في ذلك لعرفت جانباً كان ولا يزال خافياً علينا جميعاً من جوانب شخصية أمين الرافعي ومن آرائه الاجتماعية : من بين

تلك الخطابات خطاب ارسلته اليه من الاسكندرية بتاريخ  
١٩ ديسمبر ١٩٢٢ قالت فيه :

« لقد سبق ان بعثت اليك عقب تشكيل الوزارة  
الجديده بمقال لم تسمح بنشره كاملا وانتفيت بنشر  
ملخصه ، وقد اصبحت بالحيرة عندما حاولت ايجاد سبب  
جوهري لذلك خاصة واننى اظن ان اسلوبى الآن قد  
تحسن ، ولم يعد محشوا « بالفلطات » كما كان سابقا »  
الى ان تقول منيرة ثابت : « لا شك ان مقالتي الاخيره  
كان بها شيء اغضبك لتعارضه مع مبدئك ، فما هو ذلك  
الشيء يا ترى ؟ اتراه يكون مطالبتي بحق النساء فى  
الانتخابات أم ماذا ؟

انك اعلم بالحقيقة والذي اعلمه فقط هو ان حرية  
النشر « تقتضى » على مدير الجريدة بنشر اية كلمة مهما  
كانت متعارضة مع مبدئه او مخالفة لرايه .

وتقول منيرة ثابت ، انها كتبت مقالا بالفرنسية ردت  
فيه على ملاحظات محرر السياسة الداخلية فى جريدة  
الريفورم « اذ كنت رأيت منذ أيام يتهمكم على الوفد  
والمعارضين عموما ويؤيد عمل الوزاريين من طرف خفى ،  
فقضيت ولم اتمالك نفسى وسطرت ما سطرت من « حاد  
اللفظ » و « جارج العبارة » مما جعل المسيو كانيفيه  
« يلطم » ويزعم انى خرقت قوانين آداب اللغه وانه  
لكاذب والله ، صدقنى ، فانى اعرف هذه الآداب أكثر  
منهم ولكنهم يزعمون ذلك لانى اعارضهم فى المبدأ والرأى  
ولكن لم يسع « كانيفيه » وزميله الدكتور « رالف »  
الا أن ينشروا مقالى كما هو حقيقيا .

وقد رد عليه الدكتور رالف فى نفس العدد ردا شديدا  
نوعا .

وتقول منيرة ثابت أيضا في رسالتها ، ان المسيو ليون  
ناسترو ارسل اليها اليوم كتابا مرجبا بجميع مقالاتها  
ايا كان موضوعها « فهل يرضيك ياسيدي الاستاذالتجائي  
اني الصحف الاجنبية وعندنا عشرات من الصحف  
الوطنية ؟ .. قد اضطر يوما الى ذلك ما دام الصحفيون  
الوطنيون يفتلون صحفهم في وجه مقالتي » . وتوقع  
كاتبة الرسالة رسالتها بالكلمات التالية :

« منيرة ثابت زعيمة المطالبات بحق الانتخاب والتمثيل  
النيابي ، ولو غضب الاستاذ الرافي بك » .

وفي ٣٠ يناير ١٩٢٣ - ومن الاسكندرية ايضا - تكتب  
منيرة ثابت خطابا الى الاستاذ امين الرافي تقول فيه :  
« اسفت وتألّت اذ علمت ما اعتزمته السلطة من  
محاكمتك عسكريا ، فلم أتمالك أن أبحت لنفسى تسطير  
كلمة لك .

« ان من يتصدر لخدمة الوطن يعرض نفسه الى ضربات  
اعداء البلاد ، ولا شك في ان من يقدم على القيام بهذا  
الواجب الوطنى ، لهو على اتم استعداد لان يتلقى صدره  
كل ما تريد ان تنزله به تلك القوة الفاشمة ، المختلصة  
للوطن والفاضضة على خدامه وجنوده » .

وتقول منيرة ثابت : « تشجع يا استاذ ولا تترك  
اليأس يظفر بمكان من نفسك ... دافع عن نفسك الى  
اقصى ما تستطيع الى ذلك سبيلا فان الحق معك ، وهم  
المبطلون : لا تأنف من كلمة التشجيع ولا تحسبنى أوجهها  
لك عن اعتقاد ضعف فى هزيمتك لا سمح الله ، كلا بل ان  
علينا واجبا نحن ايضا الا وهو تشجيع رجالنا العاملين  
والعطف عليهم فى اوقات المحن » .

وتختتم منيرة ثابت خطابها برجاء الى امين الرافعى  
« أن يحطم سريعا بسلاح الحق ، باطل تلك القوة الجبارة  
المستهترّة » .

وللخطاب حاشية جاء فيها : « أرجو الا يعلم احد  
بهذا الخطاب الخاص » .

وفى ٢٤ اكتوبر ١٩٢٤ - ومن عزية الشجر ، أبو حمص  
- تكتب منيرة ثابت الى امين الرافعى خطابا سياسيا  
ومطولا تشكو فيه من وجود « شخص ما » فى سكرتيريه  
الوفد ( بيت الامة ) لا يوصل رسائلها ، الى أم المصريين  
التي ابلغتها - ابلغت منيرة ثابت - بعدم وصول رسائلها  
اليها .

وتروى منيرة ثابت لامين الرافعى اسرار مقابلتها لسعد  
زغلول ولصفية هانم زغلول .

ومن بين ما ذكرته منيرة ثابت فى خطابها انها تحدثت الى  
سعد زغلول باشا ، بخصوص تعليم البنات وان سعد باشا  
احالها الى سعيد باشا وزير المعارف « الذى شرحت له  
مطالبى - بايجاز - فى ترقية برامج التعليم الابتدائى  
للبنات ، وتوسيع نطاقه فى الثانوى للبنات وأنشاء جامعه  
صغيرة للتعليم العالى تسمى « الجامعة السنية » للبنات ،  
بعد الفاء مدرسة معلمات السنية » .

وتتضمن الجامعة الجديدة خمسة أقسام ، عالية هى :  
الطب العالى ، الفلسفة والآداب ، الحقوق ، التربية  
والتعليم « المعلمات » ثم الفنون الجميلة .. وتقول  
منيرة ثابت انها : ستمهل سعيد باشا بعض الوقت لينفذ  
مقترحاتها ، وليعرضها على البرلمان ، والا فان لى  
وقتذاك طرقا أخرى اسلكها حينئذ معه ، وحينئذ يعلم

الكل ، كيف يجب أن ينظروا بعين الاهتمام الى مطالب  
الفتاة المصرية ، المحرومة » .

وترسل منيرة ثابت الى امين الراجعى رسالة ننشرها  
بنصها - فيما يلى - لاهميتها :

شبرا فى ٢١ يناير ١٩٢٥

عزىلو استاذ راجعى بك

سلاما وتحية وبعد فقد ورد لى كتابك المؤرخ ١٣  
الجارى المتضمن رأيك فى حقوق المرأة عامة ، ووظيفتها  
وما زلت أنتظر بقية ردودك على ما بقى من أسئلتى لآنك  
الى الآن لم تجب على سؤالى ، ولقد انتظرت بقية ردودك  
الى اليوم فلم يأتنى بشئ ورأيت أن اكتب لك هذه الكلمة  
وانتنى أستميحك فى « ملحوظة » صغيرة .

» فى كتابك المطول الأخير ذكرت مضمون أرائك فى  
المرأة ، ووظيفتها بعد أن رجعت الى بلد من مقالاتك  
القديمة كتبها منذ ١٦ سنة فى هذا الموضوع فانا أولا ،  
اهنئك لآنك رغم التطورات الاجتماعية الفجائية التى مرت  
بمصر سريعا فى هذه السنوات لم تغير شيئا من أرائك  
الاجتماعية وما زال رأيك فى المرأة . كما كان منذ ستة  
عشر عاما ، فهذا دليل على أنك « محافظ عتيق » ، راسخ  
العقيدة فى رجعتك فتقبل تهنئتى .

واذا اطال الله بقائى وتقابلنا بعد عشرين عاما فانك  
بدورك سوف تهنئنى بشباتى على آرائى ومبادئى ، التى  
تكون عند ذاك قد اثمرت ثمارا جميلة بعكس آرائك  
ومبادئك فانها للآن لم تثمر .

ولنترك هذا الى ما لا حظته فى بيانك الأخير :

لقد ابتهتهدت - لتعزير آرائك - بأراء بعض كبار  
الباحثين والكتاب الاجتماعيين وهذا ما لا أرضاه لك  
يا سيدى .

النى اردت رايك خالصا معززا بنظريات محسوسة ،  
واقعة تحت نظرنا لا ان تعزرها بأراء غيرك كان تقول مثلا  
ان زيدا ، وعبيدا وخالدا قالوا بهذا الراى الذى هو راىي  
فهذا دليل على صوابه ، فاننا لم اطالبك ان تثبت لى ان  
أغلبية الكتاب اخذوا برايك وانى طلبت اليك فقط ان  
توضح لى رايك فى بعض النقاط - اى أسئلتى - مع بيان  
الاسباب التى اوجدت الفكرة التى كونت عليها هذا  
الراى ذلك ما اود ان تتوخاه فى ردودك المقبلة ، على  
بقية أسئلتى وانى « لمنتظرة » لها وأخص بالذكر منها  
السؤالين الخاصين « بصديقتكم » هدى هاتم شعراوى  
« وخصيمنتكم » « الملعونة » منيرة ثابت وانت ادرى  
بمضمون الاسئلة فراجعها قبل الاجابة !!

الم تقرأ ما كتبته عنى الكشكول يوم الجمعة الاخير ؟  
طبعما أعجبك ، لأننى « فتاة » ملعونة خائنة استحق هذا  
الاسباب ، فجريمتى غير خافية فهى ذلك « النداء » الذى  
وجهته للشعب المصرى وتناولت فيه على اعلام ثلاثة :  
« الدستورين » ، السيدة هدى والسيد صدقى باشا ،  
وهذه جريمة لا تغفر مهما كنت مؤدبة فى تناولى فلماذا  
يا سيدى لا تؤدبنى أنت ايضا على هذه الجريمة فى  
الأخبار كما فعل الكشكول ؟

لست ادرى يا سيدى ماذا كنت قائلا لو اعلمت ان  
جميع السيدات فى الاجتماع الاول ، للجمعية العمومية  
ثرن ثورة شديدة ضد السيدة هدى شعراوى وصمن  
على اتخاذ قرارات شديدة ضدها لولا كرم صقية هاتم



التي توسطت وعارضت في ذلك ، بشجاعة ولطف كبيرين  
وقد استطعنا ان نهدي نائرة السيدات بان اخذن منهن  
لفويضها للالنتى عشرة سيدة المكون منهن مجلس الادارة ،  
ولما والى مجلس الادارة اجتماعاته الاسبوعية وقلت انا  
في وجه بعض زميلاتي ، واقنعتهن بوجوب العدول عن  
اعلان أي قرار ضد السيدة هدى .

فعلت ذلك وهي اشد الناس خصومة لى ولم افعل  
ما فعلته اكراما لها بل لان الصلحة تقتضى بعدم  
الاسترسال في هذه المنازعات .

وعلى ذلك قرر المجلس الاكتفاء باثبات القرار في محضر  
الجلسة .

هذا بعض من جريمتي . اما «ندائي» الذي تسبب في  
حملة الكشكول على فقد اقره مجلس الادارة ووافق عليه  
من حيث الآراء والتصريحات التي تضمنتها .

بل تمنى لو كنت على السيدة هدى اشد قسوة مما  
كنت في اشارتي الصغيرة .

اقول ان المجلس وافق على ندائي فوزعته على الصحف  
فما كاد ينشر حتى ثار مجلس الادارة على لانه لم يكن  
يتوقع ان يذاع بهذه الصفة ، ولا ان تعلق عليه احدي  
الصحف بمثل ما عقلت المقطم فاجتمع مجلس الادارة  
اجتماعا غير عادي ( مستعجلا ) يوم الاحد ١١  
الجاري وفي غيبي ودون دعوتي واصدر بيانه المعلوم  
الذي قرأته انت في المقطم حيث انكرت سيدات المجلس ،  
صفتي في السكرتارية محاولات بذلك انكار النداء من  
طرف خفي ، ولكن من حسن الحظ ان جميع الصحف  
- عدا المقطم - اهملت بيانهم هذا ورفضت نشره لانها

ما زالت تعتمدنى دون سواى ، لم اسكت انا على بيانهم  
المنشور فى المقطم بل رددت عليه هذا الاسبوع ببيان اعلنت  
فيه ان النداء ندائى وانى وحدى متحملة مسئوليته .  
و . . و .

وطلبت اجازة فى الاسبوع الماضى وساقدم فى جلسة  
الغد استقالتى معتذرة بعددثة سننى !! يعنى بالنسبة  
لهم ، وقلة خبرتى لانى فى الواقع لا استطيع العمل مع  
ناس يصغرون من شانى امام الجمهور ويعاملوننى معاملة  
الاطفال .

هذا وانى ارجو عدم التصريح بشئ مما ذكرته لك  
هنا سواء ، كان خاصا بأعمال اللجنة او تصرفها معى  
او موقفى منها .

وفى انتظار ردك ارجو قبول شكرى وتحياتى .  
متيرة

وفى مخلفات امين الرافعى مئات من الخطابات التى  
ارسلت الى امين الرافعى من شخصيات سياسية كبيرة  
لا على المستوى المحلى وحسب وانما على المستوى  
العربى والاسلامى وهذه الرسائل بالاضافة الى ما خلفه  
امين الرافعى من اوراق ومذكرات وبيانات ووثائق اخرى  
لم نشر اليها فى كتابنا هذا لوفرتها . . ولاضطرارنا الى  
اخراج هذا الكتاب بهذا الحجم ، تصلح وحدها ان  
تكون كتابا آخر يكمل هذا الكتاب ندعو الله ان يمتد بنا  
العمر لكى نخرجه الى الاخوة القراء فى امد قريب . وفاء  
منا لذكرى ذلك الرجل الذى نذر حياته كلها بكل ما يملك  
من جهود وامكانيات وطاقات لخدمة شعب مصر ، وفاء  
للمبادئ العظيمة ، والقويمة التى عاش لها وبها امين

الرافعى ، ثم اولا وقبل كل شىء وفاء لمصرنا الحبيبة العريقة الاصيلة الخالدة ابدا ، التى نعتز فى مقسمة ما نعتز به انها انجبت رجلا فى عظمة امين الرافعى وفى ثباته على مبدئه وتحمله كل ما يستطيع المرء ، ان يتحمله فى سبيل استقلال مصر وفى سبيل الدفاع عن الحرية والدستور .

ومع ذلك لم يلق من ابناء شعبه الا الجحود والنكران طوال ثلاثة وخمسين سنة .

ورغم نسيان الكثيرين من ابناء مصر لاعمال امين الرافعى وتضحياته .

ورغم الظلم الذى لحق بتاريخ امين الرافعى تلك المدة الطويلة الا اننى كنت على ثقة مطلقة من ان ذلك النسيان وذلك الظلم سوف يذهبان الى غير رجعة ايمانا منى بشعب مصر العظيم الخالد .

لقد كنت ولا ازال على ثقة مطلقة من ان مصر لا يمكن ابدا ان تنسى ابناءها البررة بها والمخلصين دائما لقضاياها .

كما اننى كنت ولا ازال على ثقة مطلقة من ان شعب مصر لا يمكن ابدا ان يجحد فضل ابنائه العاملين :

قد يطول زمن النسيان والجحود بحيث يتصور بعض الذين لا يعرفون جيدا طبيعة شعب مصر ان مصر قد نسيت الى الابد هؤلاء الابناء : جحدت فضلهم عليها وتضحياتهم فى سبيلها .

وقد تمر سنوات عديدة على هذا الجحود وذاك النسيان دون ان يتذكر ابناء الوطن ، هؤلاء الذين قضوا

حياتهم فى خدمة مصر وفى الدفاع عن كرامتها ، ولكن  
شعب مصر العظيم الاصيل لا يمكن ابدا ان يقبل نسيان  
مآثر ابنائه ، ولا يمكن ابدا ان يجحد جلائل الأعمال التي  
قام بها أبناء هذا الوطن .

لابد ان تجيء الساعة التي يعرف فيها أبناء الوطن  
قدر من أهملت أقدارهم من الزعماء والقادة ، ولابد ان  
تجيء المناسبة التي يرد فيها الشعب الى هؤلاء الابناء  
البررة اعتبارهم ويقول فيهم التاريخ كلمته تمجيذا  
وتخليدا لذكورهم .

وللحقيقة وللتاريخ ان احدا لم يظلم حيا ، وميتا كما  
ظلم أمين الرافعي نفسه وكما ظلمه أبناء شعبه .

وان قلة نادرة من المصريين المعاصرين هم الذين يعرفون  
أمين الرافعي أو حتى يذكرونه فلقد عاش الرجل حياته  
القصيرة ، فى صمت ولقى ربه فى صمت ولازم تاريخه  
الوضاء سوء الطالع ، وعدم الاعتراف بالجميل حتى من  
أولئك الذين تتلمذوا على يديه ، بل من هم أقرب الناس  
اليه .

وفى الذكرى الثالثة والخمسين لوفاة أمين الرافعي  
تساءلت فى ألم ممض ، وحزن عميق : الخطأ أمين  
الرافعي أم أصاب عندما عشق مصر ، عشقا أنساه ما فى  
هذه الدنيا من ملذات ، وشهوات ومغريات وعندما عاش  
حياته كلها تقيا ، نقيا صوفيا وطنيا فى وقت امتلأ  
بالفساد والهوان ، واحتقار المثل العليا وازدراء كل ما هو  
جيد وصالح ومستقيم ؟

أخطأ أمين الرافعي عندما رفض أن يتخلى مرة واحدة  
فى حياته عن المثل العليا التي رسمها لنفسه والتي جعل

منها الزاد الذى يتزود به ، بل الرثة التى منها يتنفس ،  
والقلب الذى لا يستطيع بدونه ان يعيش ؟

أخطأ أمين الرافعى أم أصاب عندما رفض ان يجارى  
الناس فى كل ما يؤمنون به ويسمعون من أجل تحقيقه ؟  
وعندما ضرب بحدائمه كل ما يعبده الناس من مال وسلطان  
وجاه ، مؤثرا ألا يترك لطفليه الصغيرين الا هذا التاريخ  
الوطنى المشرق الوضاء ، الذى لم يحتف به أحد حتى  
اليوم ؟

أنا شخصيا أومن بأن أمينا لم يخطئ ، بل أصاب ،  
وقد اختار الطريق السوى ، الذى أرضى ضميره ..  
ووجدانه الوطنى وإذا كان أمين لم يترك لطفليه  
مليما واحدا ، فحسبه ، انه ترك لمصر شعلة وطنية لم  
تنطفىء ؟ قد يخبو نورها ردحا من الزمن ولكنها لا تلبث  
أن تضئ لمن حولها ، وإذا كان أمين لم يجد من يحتفل  
بذكره طوال ثلاث وخمسين سنة مضت بعد وفاته، فذلك  
ليس لعيب فى المنهج الذى اختاره لنفسه وانما هو عيب  
فى المجتمع الذى عاش فيه ، وعاش له .

ان كل ما فى هذه الدنيا حتى بلايين الجنيهات تذهب،  
ولا تبقى الا الكلمة الطيبة .. الا العمل المخلص حتى ولو  
لم يعترف بهما أحد .

سيبقى أمين الرافعى وغيره ممن ارتفعوا فوق الماديات،  
وعاشوا وحدهم محققين فى جو المثاليات، سيبقون جميعا  
مهما ادلهمت أمامهم السبل ، وتنكر لهم المجتمع عنوانا  
على الطهارة والنقاء ، الثورى .

ذلك وحده فيه عزائهم : أحياء ، كانوا أم أمواتا عند  
رهبهم يرزقون .

قلت ذلك في ديسمبر ١٩٨٠ ولم أكن أعرف ان أمين  
الرافعي سوف ينصف ، كما لم ينصف صحفي من قبل  
وسوف يرد له اعتباره ، كما لم يرد الاعتبار لغيره من  
قبل .

لم أكن أعرف ان اسم أمين الرافعي سيصبح فجأة  
وبعد ثلاث وخمسين سنة من الجحود والنكران على كل  
لسان في مصر والعالم العربي بل العالم كله . . ففي بداية  
الاحتفال بيوم الصحفي في ٣١ مارس ١٩٨١ أعلن الرئيس  
محمد أنور السادات منح اسم أمين الرافعي قلادة النيل  
سأعلى أوسمة الدولة كما أشاد بسيادته بجهاد أمين الرافعي  
وكفاحه وكان مما قاله سيادته : في الحرب العالمية الأولى  
فرض المستعمر الحماية والأحكام العرفية على مصر وبرغم  
كل هذا بقيت صحف تماليء الاستعمار وعانت الصحافة  
الوطنية كل صور القهر وظهر صاحب قلم ارتفع الى  
المسئولية في أروع صورها : أقصد المرحوم أمين الرافعي  
الذي كان يصدر جريدة الشعب وأبت عليه الكرامة  
الوطنية أن ينشر قرار فرض الحماية فأوقف صحيفته عن  
الصدور حتى لا يلطخ صفحاتها بهذا القرار وحتى يعلن  
مقاومته للاحتلال .

« لقد أغلق أمين الرافعي بيده جريدته أربع سنوات  
كاملة لكي لا ينشر قرار اعلان الحماية » .

« هذا الموقف من أمين الرافعي موقف خالد ، لابد ان  
نسجله نحن الصحفيين جميعا بكل الفخر والاعتزاز وفي  
وجداني ان هذا عيد من أعياد الصحافة المصرية الوطنية  
وعيد نطلق عليه « عيد أمين الرافعي » .

وكانما ولد أمين الرافعي من جديد . ان تكريم

الرئيس السادات لذكرى أمين الرافعى ليس تكريما  
لأمين الرافعى وحسب انما هو تكريم البطولة وللأبطال  
فى كل زمان ومكان تكريم لشعب مصر كله لا لأمين  
الرافعى وحده .

وهكذا دائما وابدا شعب مصر وفى الأبنائه البررة به .  
ويرجم الله - فى النهاية كما فى البداية - أمين  
الرافعى ، الذى قال فيه حافظ ابراهيم ما يعتبر بحق  
مسك الختام :

ظلم من القبر أن تبلى أنامله  
فكم رمت فى سبيل الله من خانا  
عشرون عاما على الطرس الطهور جرى  
ما خط فاحشة أو خط بهتانا  
أمين فارقتنا فى حين حاجتنا  
الى فتى لا يرى للممال سلطانا  
ايلىس الخبز من لانت مهزته  
وانت تخرج من دنياك عبرياتنا  
ان القنصاعة كنز كنت حارسه  
ترى به القوت يا قسوتا ومرجانا  
فما سعت لفسير المجد تكسبه  
ولا رضيت لقبر الحق اذعننا  
اودى به السكر المضى ولا عجب  
ان يورث الخلو مر العيش احسانا  
بلغ ثلاثكم عنها تحيتنا  
واذكر لهم ما يعانى قومنا الانا  
واضرع الى الله فى الفردوس مبتهلا  
ان يحرس النيل ممن رام طفيانا

## فهرس

٧	تقديم بقلم : د . حسين مؤنس
١٢	مقدمة بقلم : عبد الرحمن الراقى
١٦	رسالة الصحفى : بقلم : فكرى أباطه
١٩	مقدمة
٤١	صحافة الراى فى مصر
٤٧	مولد صحفى كاتب
٥٩	محامى القضايا الكبرى
٧٤	الراقى فى السجن
٨٩	صحيفة الحق والمسئولية
١٠١	بين سعد زغلول والراقى
١١٧	منقبذ الدستور
١٣١	مع الحرية بلا حدود
١٤٩	معارك صحفية
١٦١	الراقى وتمثال نهضة مصر
١٦٨	من بناء نقابة الصحفيين
١٧٤	الراقى فى ذمة التاريخ





رقم الايداع بدار الكتب ٣٠٦٤ - ٨١

الترقيم الدولي : ٩ - ٩٣ - ٧٠٣١ - ٩٧٧ ISBN

## وكلاء اشتراكات مجلات دار النشر

جدة - ص - ب رقم ٤٩٣  
السيد هاشم علي نحاس  
الملكة العربية السعودية

THE ARABIC PUBLICATIONS  
7. Bishopsthorpe Road  
London S.E. 26  
ENGLAND

انجلترا :

M. Miguel Maccui Cury.  
B. 25 de Maroc. 904  
Caixa Postal 7406,  
Sao Paulo. BRASIL.

البرازيل :

ثمن النسخة في البلاد العربية لهذا العدد  
الممتاز فئة ٢٥٠ مليما للقارئ في مصر :

٣٥٠	ق ٠ س	سوريا
٣٠٠	ق ٠ ل	لبنان
٣٠٠	فلس	الأردن
٣٠٠	فلس	الكويت
٤٥٠	فلسا	العراق
٥١	ريال	السعودية
٣٥٠	مليما	السودان



## هذا الكتاب

يوما بعد يوم تزداد الصحافة اهمية وتزداد مسئولية الصحفي ثقلا ، لأن الصحفي تزداد مهمته كصانع للفكر والرأى مع الزمن ، وقد دخلت صحافتنا العربية ، مع الازمات التى تتزايد داخل الوطن العربى وخارجه خطورة .

لهذا فاننا عندما نقدم هذا الشهر كتابا عن أمين الرافعى بقلم صبرى ابو المجد فاننا نقدم للصحفيين ، والمثقفين وقراء العربية جميعا درسا عظيما فى مهنة الصحافة ومسئوليات الصحفي وما ينبغي أن يتصف به من الخصال ، وما لابد له من قوة وطنية وقومية وأخلاقية . فقد كان أمين الرافعى حقا مثلا أعلى للصحفى كيف ينبغي أن يكون ، فقد كان صادقا مع نفسه وصادقا مع وطنه ، وكان شديد الاخلاص لقضايا الوطن يضحي بنفسه فعلا فى سبيلها . وكان يحس بمشاكل الوطن احساسا عميقا شاملا لكيانه كله . من هنا فقد احتل فى تاريخ الصحافة العربية مكانا صبرا .

وقد درس المؤلف صبرى ابو المجد حياة الرافعى كما لم يدرسها أحد قبله ، واطلع على وثائق واصول لم تتيسر لغيره وعالجها باستاذية وقدره معروفة عنه فى كتابه الموضوعات القومية التاريخية .

هذا كتاب عظيم القيمة بموضوعه ويما فيه من دراسة ويما يقدمه من دروس ، ويسعدنا أن تقدمه لقراء كتاب الهلال هذا الشهر ، مضيفين به ذخرا جديدا من الذخائر التى تتكون منها سلسلة كتاب الهلال .

